

كيم بو يونج

مكتبة

أنا في انتظارك



أدب كوري
حديث

ترجمة:

محمد نجيب

المحررة

أنا في انتظارك

كيم بو يونج

عنوان الكتاب: أنا في انتظارك **당신을 기다리고 있어**

المؤلفة: **كيم بو يونج Kim Bo-Young**

ترجمة: محمد نجيب

مراجعة لغوية: محمود شرف

إخراج داخلي: رشا عبدالله

المحرسة
للنشر و الخدمات الصحفية و المعلومات

قطعة رقم 7399 ش 28 من ش 9 - المقطم - القاهرة

ت، ف:- 002 02 28432157



mahrousaeg



almahrosacenter



almahrosacenter



www.mahrousaeg.com



info@mahrousaeg.com



mahrosacenter@gmail.com

رئيس مجلس الإدارة: فريد زهران

مدير النشر: عبدالله صقر

رقم الإيداع: ١١٧٥٧ / ٢٠٢٣

الترقيم الدولي: 4-970-313-977-978

جميع حقوق الطبع والنشر باللغة العربية

محافظة لمركز المحرسة

2023

This book is published with the support of the Literature Translation
Institute of Korea (LTI Korea).

© Kim Bo-Young

All rights reserved

By arrangement with Greenbook Agency. First published in South Korea

قصص - خيال علمي

مكتبة

t.me/soramnqraa

أنا في انتظارك

كيم بو يونج

ترجمة عن الكوريّة

محمد نجيب

مكتبة
t.me/soramnqraa



دار الكتب والوثائق القومية

بطاقة فهرسة
فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشؤون الفنية

كيم بو يونج

أنا في انتظارك رواية/ كيم بو يونج؛ ترجمة/ محمد نجيب..-ط1
القاهرة: مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات، 2023

379 ص؛ 21.5x14.5 سم

تدمك 4-970-313-977-978

1 - القصص الكورية

2 - القصص العلمية

3 - القصص الخيالية

أ- نجيب، محمد (مترجم)

ب- العنوان

895.73

رقم الإيداع 2023/11757

"كتابة كيم بو يونج أشبه بقطعة فنية سينمائية تخطف الأنفاس. تُذكّرنا بالعالم الذي عشناه في أفلام على غرار ماتريكس، واستهلال Inception، ومدينة الظلام Dark City، لكنها لا تزال تقودنا إلى هذا البناء الأصيل تمامًا. كتابة بو يونج تجربة أدبية صوفية الأفكار، وسينمائية رائدة في ابتكار عواملها. باختصار: قوية ورشيقة وباهرة".

بونج جون-هو

مخرج فيلم الطفيلي (Parasite)

الحائز جائزة الأوسكار

إهداء

إلى عشيقين..
إلى كل العُشَّاق.

أنا في انتظارك

1. أنا في انتظارك
2. في طريقي إليك
3. ما وراء القصة

استهلال

أرى الأمر كذلك؛ حب شخص يعني حبَّ الكون كله. وعندما تفعل شيئًا من أجل شخص، فإنك تفعل شيئًا من أجل الكون كله. هدية إلى شخص بمثابة هدية للجميع.

1

أنا في انتظارك

رسالته الـ 1

يوم 1 من بداية الرحلة بعد يوم 1 بتوقيت الأرض

قلتُ وداعًا لأصدقائي لأنهم لن يروني حتى حفل الزفاف. أي بعد أربع سنوات وستة أشهر، على وجه الدقّة. قالوا جميعًا إنهم سيأتون. التقطنا الصور، وأعطيت كل واحدٍ إطارًا جلدِيًّا صغيرًا في نهايته طَوْقٌ قصير للاحتفاظ بالصور فيه. أعطاهما إيّاي مالِكُ قاعة الزفاف مجانًا عندما دفعت عربون حجز القاعة. أخبرتهم أن يحضروا إلى الحفل وهم يعلّقون الصور حول أعناقهم حتى لا أضطرّ للتّجولّ وسؤال كل واحد منهم عن هويته. سخروا مني أيضًا.

"لا بُدّ أن الزواج عظيم. ترك أصدقاءك المزعجين وراءك، هاه؟".

"أنتم يا مَنْ تتزوجون بين النجوم خَوَنة جميعًا".

أخبرتهم أنه لن يكون وقتًا سهلًا بالنسبة لي أيضًا. كدتُ أتلقى لكمة من أحدهم عندما أضفت أن الأمر سيستغرق ثمانية أسابيع كاملة للوصول إلى يوم زفافنا: شهرًا للوصول إلى سرعة الضوء، وشهرًا للإبطاء بدرجة كافية تسمح بهبوط آمِن. هذه هي الطريقة التي يعمل بها السفر ما بين النجوم. وهذا حتى مع أحدث محرّكٍ وآخر صيحة من أجهزة التحكم في الجاذبية. تستغرق الرحلة دائمًا شهرين على الأقل، مهما كانت السفينة مذهلة.

أذكر كيف كنتِ قلقةً قبل مغادرتك إلى "ألفا سينتوري" مع عائلتك قبل أربع سنوات ونصف.

سألتني: "هل أنت متأكد أنك ستكون بخير؟ ستكون أربعة أشهر فقط بالنسبة لي، ولكن أكثر من أربع سنوات ونصف بالنسبة لك. وهذا على افتراض أنك ستقوم برحلة فضائية من أجل تقليص مدة الانتظار بمقدار النصف. لن يكون الأمر سهلاً، كما تعلم."

قلتُ: "سأكون بخير". تلامست جبهتنا. حاولتُ أن أدفعك إلى الضحك: "حالفك الحظُّ حقاً، أليس كذلك؟! عندما نلتقي مجدداً سأكون أكبر منك بعامين، بدلاً من العكس". منحتني أخيراً ابتسامة بريئة.

مازحني أصدقائي: "أنت تعرف ما يقولونه. يسترخي الناس حقاً بعد رحلة ما بين النجوم. إمّا ذلك وإمّا يصابون بالجنون. لا بُدَّ أن الأمر يتعلق بقضاء شهور في أقاصي العالم دون القيام بأي شيء فعليّ".

أخبرتهم أنه لن يكون لديّ وقت للكسل والاسترخاء. سيكون أمامي عمل شهرين لأنجزه. دفاتر الموازنة لأفرزها، وتحليل بيانات الحسابات، وإعداد بحث عن منافسي شركتي، وأرقام المبيعات. لأكون صريحاً، سيكون كل شيء قد عفا عليه الزمن في غضون أربع سنوات ونصف، لكن كما قالوا في المكتب، لا يتوقعون الكثير مني حقاً. سوف يتطلعون فقط إلى معرفة ما إن كنت قد بذلت مجهوداً.

التقيت ببعض العرسان المقبلين على الزواج مثلي على متن السفينة، وقرّرنا جميعاً مشاركة قمرة واحدة. كل ليلة نسهر، نتحدث ونمزح ونتباهى بخطيباتنا. لن تصدقي كم هم رومانسيون بطريقة بائسة هؤلاء الرجال؛ تراءى لي المكان بفضل هؤلاء الرومانسيين المفرطين في رومانسيتهم أشبه بكعكة زفاف. علّقوا شرائط وأزهاراً ورقية في أرجاء القمرة، وكان على مضيفات السفينة ملاحظتهم في الأنحاء وهم يعلّقون كل شيء فوق الجدران بالأشرطة اللاصقة.. أوضّحت إحدى المضيفات

أنه عند توقُّف تَسَارُع السفينة، ستندعم الجاذبية، وستكون الغرفة عندئذ في حالة من الفوضى.

بالحديث عن الرومانسيين البائسين، اشترت شيئاً لك في سوق السلع المستعملة على متن السفينة. أطلقت عليه البائعة اسم "خاتم موسيقي". وقالت إنها تستطيع تخزين الأغاني التي أريدها فيه. فكَّرت في القليل من الأغاني من أجلك، وجعلتها تُخزَّنُها في الخاتم. إنَّ ضغطتِ على الحلية، فستشغلين إحدى الأغاني. أمل أن تستمعي إليها.

سفينة الفضاء مثل مدينة صغيرة. تحوي سوق سلع مستعملة ومقاهي. بالتأكيد، الشركة التي أعمل لصالحها تصنع أجزاءً من السفن الفضائية، لكنني لم أر أبداً سوى الأجزاء منفردة، ولم أر قطُّ الأجزاء جميعاً وهي مجمعة ومُثبتة معاً. استمتعت بقراءة تعليمات المستخدم لأجزاء السفينة المختلفة، المطبوعة على ملصقات مُعلَّقة في أرجاء السفينة. أنا من حرَّرها. حتى إنني التقطت بعض الصور لأبين لأصدقائي أهمية عملي على أرض الواقع.

ومع ذلك، انتابني الضجر بعد يوم تقريباً على متن السفينة. فكَّرت في أنني سأتمكَّن من رؤية الكثير من النجوم في الفضاء، لكنني لم أستطع رؤية ولو نجم عندما سنحت لي الفرصة للنظر من النافذة. تعرفين كيف لا يمكنك رؤية أي شيء عندما تكونين في منزلٍ إضاءته باهرة وخارجَه مُظلم؟ حسناً، إنه ليلٌ سَرمديٌّ في الفضاء. لكن لا بأس في ذلك. الرحلة لن تدوم سوى شهرين.

يطلق الأشخاص الموجودون على متن السفينة على هذه الطريق "مدار الانتظار". ترسم الطريق مساراً أشبه بالحلزون حول الشمس، ثم تعود إلى المكان الذي غادرت منه.

الجميع على متن السفينة يهاجرون إلى زمان مختلف، وليس إلى مكان مختلف. محاولة الوصول إلى المستقبل بشكل أسرع، لأي سبب كان. بعض الأشخاص يسافرون إلى العام الذي تتبلور فيه خطط تقاعدهم، ويأمل آخرون في أن تنخفض الضرائب العقارية أثناء مدة سفرهم. ويوجد أيضًا فنانون يعتقدون أنهم وُلدوا في العصر الخطأ. حتى إنني قابلت طالبًا في المدرسة الثانوية ينتظر تطبيق امتحان القبول بالجامعة الجديد الذي من المفترض أن يُوضع حيّز التنفيذ. وثمة حمقى آخرون مثلي، بالطبع، يسافرون من أجل الرجوع إلى الأرض في التوقيت نفسه الذي تسافر فيه خطيباتهم إلى هناك، قادمات من أنظمة نجمية أخرى.

سيكون العام الذي ينتهي بنا المطاف فيه جميعًا أفضل من العام الذي غادرنا فيه. يُفترض أن لا يكون التحيز ضد الأشخاص العائدين من أنظمة نجمية أخرى بهذا السوء، كما أن المعاشات ومستوى الرفاهية سيكون قد تحسّن أيضًا. ستتهمك خلية البشر المكتظة على الأرض في جميع الأشياء معًا، وتفكيكها، وإصلاحها، في الوقت المناسب لنا لكي ننتفع منها فور رجوعنا. مع أنني أعتقد أن هذا نوع السلوك الذي يحقره الناس بقولهم "الصعود على الأخرين".

قد أبدو مبالغًا، لكن عندما أفكر في حفل زفافنا، يتملّكني حماسٌ شديد، لدرجة أنني أعجز عن النوم. أتقلّب وأستدير في سريري كطفل صغير، وأحتضن وسادتي بقوة، وأدندن إلى نفسي حتى أنام. عندما أفتح عيني في الصباح، أتخيّلك مستلقية بجانبني. حتى مجرد تخيلنا هكذا يغمرنني بالسرور. أحيانًا أختبئ تحت البطانيات، وأحلم كيف سيبدو أن أكون أبًا. حتى إنني أتخيّل طفلاً يتلوّى على السرير بيننا. لا أعرف كيف سأتمكّن من الانتظار شهرين آخرين. يوم آخر واحد يصعب تحمّله. أتمنى أن أكون معك الآن.

أحبك.

رسالته الـ 2 بعد شهر من بداية الرحلة بعد حوالي 4 سنوات 4 أشهر بتوقيت الأرض

تلقيتُ رسالتك فقط عندما وصلنا إلى سرعة الضوء. إذًا ستصلين إلى الأرض بعد شهرين من الموعد المخطّط له. لا، بعد ثلاثة أشهر بتوقيت الأرض...

لا بأس. لم يكن بوسعك فعل أي شيء عندما تلقيتُ سفينتك إشارة استغاثة مع عدم وجود سفن أخرى في الجوار لتستقبل المكاملة. قال أحد الحاضرين هنا: "هذا ليس شائعًا، ولكنه ليس نادرًا أيضًا". ماذا يعني ذلك حتى؟ أعتقد أنه كان يعني أنه رغم لا محدودية الكون، تقع طرق السفر على إحداثيات ثابتة ومعلومة؛ لذا تحدث أشياء من هذا القبيل في بعض الأحيان.

سألت عمّا إن كان بإمكانهم تمديد رحلتنا قليلاً حتى لا أُجبرَ على الانتظار طوال الأشهر الثلاثة على الأرض، لكنهم قالوا إن ذلك غير ممكن. الجدول الزمني للسفينة ثابت، ولا يوجد خيار آخر، سأضطرُّ فقط إلى الانتظار لمدة ثلاثة أشهر بعد هبوطنا.

كنت أنظر من النافذة، شاعرًا بالاكئاب، عندما رأيت سفينة تجارية متصلة بسفينتنا. كانت صناديق الوجبات الخفيفة وأكياس الطرود تُنقل بين السفينتين. حدّقتُ في السفينة التجارية مدّةً من

الوقت، ولكن فجأة عُدت إلى صوابي. سألت إلى أين تتجه، وشرح لي أحدهم أنها سفينة تمرُّ على سفن الرُّكَّاب، حتى تبيع البضائع. سألت عن اليوم المحدد لعودتها إلى الأرض، وهل تصدِّقين؟! كان بعد ثلاثة أشهر بالضبط! وكأنني فزت باليانصيب.

تسبَّبت في بعض الجلبة عندما قلت إنني سأنتقل إلى السفينة الأخرى. لم أستطع رؤية أين تكمن المشكلة.

سألتُ: "لماذا لا يمكنني تغيير السفن؟ ها هي السفينة التي أرغب في الانتقال إليها".

جأر قبطان السفينة: "قد تبدو لك تلك السفينة ثابتةً، لكننا نتحرَّك حاليًّا بسرعة 293000 كيلومتر في الثانية. الأعاصير التي تدمِّر المباني السكنية تنطلق بسرعة عشرات الكيلومترات فقط في الثانية في أقصى تقدير". كان فارع القامة لدرجة أنه فاقني طولًا، وبدا وكأنه محارب لا يعرف الرحمة. أتمنى أن أريك وجهه. كان ليتأقلم مع الحياة في أحد سهول منشوريا حيث سيقضي وقته هناك في قطع رؤوس الناس من على صهوة حصان يعدو... لو كان قد وُلد فقط في العصر المناسب.

سألت لماذا لا يستطيع الناس الانتقال ذهابًا وإيابًا بين السفينتين في حين تستطيع الأشياء الجامدة. قال إنهم لا يستطيعون فحسب. سألته لماذا لا، قال: لأنه لم يحدث من قبل قطُّ.

رفضت الاستسلام وواصلت قائلاً: "الأرض تدور حول الشمس بسرعة ثلاثين كيلو مترًا في الثانية، والشمس تدور حول المجرة بسرعة مائتين وعشرين كيلو مترًا في الثانية. مجرتنا تُحلِّق تجاه عنقود مجرى

العذراء⁽¹⁾ بسرعة ستمائة كيلو متر في الثانية. لكن ذلك لا يهدد وجود المباني السكنية على الأرض، أليس كذلك؟".

رغم مجهوداتي الضئيلة، ظلُّ يُصرُّ قائلاً إنه لا ذِكْرَ للأمر في التعليمات.

ما حلمت قطُّ في أبشع كوابيسي أنني سأضطرُّ إلى العيش ثلاثة شهور أخرى من دونك. شرحت للقبطان أنني عريس في طريقه إلى عروسه، وأنه لو كان عليَّ الانتظار لثلاثة شهور إضافية، فلرَّما سأنكمش مقهورًا وأموت. أخبرته أنه لو قتلني الانتظار، فسأصبح روحًا عزباء، هائمة، تواقَّة للانتقام، تجول الكونَّ بشعور عدم ارتياح أبديٍّ، وتطارده في أحلامه كل ليلة.

لحسن الحظ، لم يَبِدْ أنه قد فهم كلمة واحدة ممَّا قلتُ.

فقط بعد أن غيَّرت السفن الفضائية، تساءلتُ إن كنتُ قد اقترفت خطأ. كانت قاعة زفافنا محجوزة في ذلك التاريخ، وقد دفعت عربونًا ضخماً.

مَن يعرف إن كانت الرسالة بأننا نحتاج إلي تأجيل الزفاف مدة ثلاثة شهور ستصل إليهم؟ وماذا بوسعنا أن نفعل لو رفضوا إرجاع العربون إلينا؟

يعتريني القلق بشأن المستأجرين الذين أجَّرتُ لهم شقتي على الأرض. كان الاتفاق أن يعيشوا هناك مدة أربعة سنوات ونصف ثم يُخلوا الشقة. لكن لو ذهبوا من وراء ظهري، وادَّعوا حقَّهم في ملكية

(1) عنقود مجرى العذراء: تَجْمُعُ عظيم للمجرات يبعد عن مجرتنا نحو تسع وخمسين مليون سنة ضوئية بالمقارنة بقطر مجرَّة درب التبانة الذي يبلغ نحو 110 ألف سنة ضوئية. ويوجد هذا التجمع في كوكبة العذراء. ويحوي التجمُّع نحو 1300 وربما 2000 من المجرات. (المترجم)

الشقة لأنني لم أرجع في التاريخ الذي حدّدته؟ عليّ أن أهروّل إلى البيت مباشرة بمجرد هبوطي في الميناء الفضائي.

على متن السفينة، لا تشعرين بأنك تتحرّكين. لا رياح أو ضوءاء. والنجوم تميل دائماً إلى أحد الجوانب، وتمرقّ كلمح البصر عبر النافذة. كل نجوم الكون تتلأأ في مكان واحد. هنا، الكون بأكمله، الأرض، ومنزلي، وأصدقائي يمرقون أمامي بسرعة الضوء، في حين ينتابني إحساسٌ أنني -أنا- أقف في سكون تام. الزمن بدوره يقف ساكناً بالنسبة إليّ.

قال أحدهم مرة إن المكان والزمان في الواقع الشيء ذاته. هذا يعني أن السفر إلى زمنٍ مختلفٍ يضاهي السفر إلى مكانٍ مختلف. عاش أبي حياته كلها في بلدته الأم، لكن قرابة الوقت الذي مات فيه، تراءى الأمر له وكأنه جاب العالم بأكمله. وقد فعل ذلك في الحقيقة. إذ بحلول الوقت الذي رحل فيه، كانت بلدتنا مكاناً مغايراً تماماً عن ذاك المكان الذي وُلد فيه. سُيِّدَت المباني ورُصِفَت الطرقات، واستوت الجبال، وانحرفت مسارات الأنهار. حرّكها الزمن إلى مكانٍ مختلفٍ كلياً. مَنْ بوسعه حقاً أن يقول إنّه عاش في مكان واحد طيلة حياته؟

سألني القبطان العجوز لسفينة الفضاء التجارية، فأخبرته عنك. سألني كيف بمقدوري أن أظلّ مغرماً بك بعد الانتظار كل تلك المدة. شرحت له أنني كنت أنتظر خمساً وعشرين سنة من حياتي قبل أن ألقاك.

كلّما فكّرتُ في المسألة، ازداد شعوري بروعة الأمر؛ لم يبقَ الكثير. أنا متيقنٌ أنك ستكوّنين تماماً كما أتذكرك. ولن تكوني قد تغيّرت ولو قليلاً.

قال القبطان وهو يصبُّ لي كأسًا أخرى: "لا يملكون دَرَّةً من تأنيب الضمير، أولئك الرجال الذين يستقلُّون هذه السفن". كان كل شيء على ما يرام حتى تلك اللحظة، لكن عندما أردف: "لا يملكون أصدقاء أو أسرة، وحتى لو كان لديهم، لا يحبونهم كثيرًا..."، تركته فقط ورجعت إلى قمرتي.

مكتبة
t.me/soramnqraa

رسالته الـ 3 شهر و 3 أيام في الرحلة بعد 4 سنوات و 8 شهور بتوقيت الأرض.

آسف يا عزيزتي.

آسف جداً، لم أعرف حقاً أن الأشياء ستؤول إلى ذلك المطاف.

قال القبطان إنه ارتكب خطأ، وأخفق في حسابات التَّسارُع والزمن. سأل أحدهم كم من الوقت سيستغرق تصحيحُ هذا الخطأ، فقال إنه بالنسبة لنا لن يستغرق الأمر سوى بضع دقائق. ثم أضاف أن وصولنا إلى الأرض سيكون بعد ثلاث سنوات بتوقيت الأرض. عاد إلى داخل قمرته بتعبير جامد على وجهه، مثل قبطان طائرة أعلن للتَّوَّعُّد عن تأخيرٍ لمدة عشر دقائق بسبب سوء الأحوال الجوية. بدأ التجار بملابس عربية وهندية الطراز ينهضون واحداً تلو الآخر، ويرجعون إلى قمراتهم دون حتى أدنى أمارة عبوس. بدوا وكأنهم يفكِّرون، "ثلاث سنوات، هاه؟ هذا ليس سيئاً، اعتقدت أنها ستكون خمساً على الأقل".

بعد مدَّة وجيزة، حضرت مضيئة لتوزيع ورق رسائل، وطلبت منَّا أن نكتب إلى عائلتنا أو أصدقائنا المقربين. عندما سألت: "ألا تستخدمون البريد الكمي أو شيئاً من هذا القبيل؟" أوضحت لي أن الأجزاء الوحيدة من السفينة التي صنعت في القرن الحادي والعشرين

هي الهيكل والمحرك. حتى نظام التحذير من الرياح الشمسية يعمل
بآلية مشابهة لعمل منبه زنبركي. أضافت: "عندما يتعلّق الأمر بالآلات،
فإن أبسطها يدوم مدّة أطول".

سألت كيف سُرّسَل رسالتي، فقالت إنها ستتحول إلى شفرة مورس
أو شيء من هذا القبيل، ثم تُنقل إلى أثير الفضاء الخارجي. السفن
التي تمرُّ في الجوار ستلتقط الإشارات، وتضخّمها، وترسلها مرة أخرى.
ستعاود السفن التي استقبلت الإشارات المضخّمة إرسالها، وهكذا
تمرّرها حتى تصل لوجهتها. فكّرت: واو، يا لها من طريقة مؤكّدة
للنجاح! لماذا لم تفكر خدمة البريد مطلقاً في إلقاء الرسائل من شاحنة
مسرعة إلى أخرى؟

أخبرت المضيفة أنني قد حجزت قاعة زفاف، وأن عروستي كانت
بالفعل في طريقها إلى هناك، مسافرة في تلك اللحظة بسرعة 4.37 سنة
ضوئية حتى تصل في الموعد المتّفق عليه. كيف بحقّ الجحيم بوسع
عريسٍ أن يتأخّر عن زفافه ثلاث سنوات؟! رسمت المضيفة تعبير "يا
لك من مسكين" على وجهها، لكن لم يبدُ أنها تهتم حقاً. ربّبت على
كتفي، وقالت: "إن كان لديك موعد هام، فمن الأحسن أن تستقلّ
سفينّة تديرها شركة ضخمة ببوليصة تأمين شاملة".

استيقظتُ عشر مرّات في الليل. ماذا لو لم تصل رسالتي إليك؟
ماذا لو استلمتها وغيّرت رأيك بشأن زفافنا مدفوعةً بالغضب؟ ماذا
لو غضبت وغيّرت رأيك فعلاً ولكنك لم تكتري بكتابة ردّ؟ ماذا لو
كتب ردّاً ولكنني لم أستلمه؟

في كل مرة أستغرق فيها في النوم، يراودني الحلم نفسه: أهبط على
الأرض لأجدك قادمة نحوي رفقة أحد أصدقائي وطفل بين ذراعيك.
ثم تقولين: "رسالة؟ لم أستلم أي رسالة"، ثم تبدئين في الضحك. ثم

أجد نفسي في حانة ما مع أصدقائي. كلهم يثرثرون بعيداً عني، وأنا
أجلس في الزاوية وحدي، أتجرّع كؤوساً من السوجو.

لا تضحكي! أعني ذلك. ما الشيء الأكثر إثارة للشفقة من ذلك؟

أتوسّل إليك يا حبيبتي.

انتظريني.

ثلاث سنوات فحسب، أرجوك. ثلاث سنوات فقط. أعدك أنني
سأكون حنوناً معك ما تبقى من حياتنا معاً. ما قولك، ها؟

رسالته الـ 4 شهر و25 يومًا في الرحلة بعد 7 سنوات و8 شهور بتوقيت الأرض

تلقيتُ رسالتك!

إدًا فقد وصلتِك رسالتي بعد كل شيء. كانت مفاجأة حقيقية. لأكن صريحًا، وصول رسالتي إليك أكثر دهشة حتى من استلامي ردِّك، هنا على متن هذه السفينة العتيقة. كان كلانا محظوظين، أليس كذلك؟ رغم أنه يبدو من الغباء قول هذا في تلك الظروف؟

ليس لديَّ أي فكرة عن العمليات التي مرَّت بها رسالتك، لكنني تلقيتها في صورة بريد صوتي. كان من الغريب الاستماع إلى كلماتك يتلوها صوتُ رَجُل. بدا الأمر وكأنه لم يفهم محتوى ما كان يقرؤه، كما لو كان ينظر فقط إلى الرموز المكتوبة وينطقها. كان من الصعب استيعاب ما يقول؛ لذلك استمعت إلى الرسالة مرارًا. ثم، بمجرد أن استوعبتُ المعنى؛ استمعت إليها أكثر.

أفهمُ. كل هذا بسببي. لا شيء من هذا كان خطأك. في حالتك، فعلتِ الشيء الصحيح بتغيير السفن. أما أنا فقد غيَّرتُ السفن لأنني لم أستطع تحمُّل الانتظار ثلاثة أشهر أخرى حتى أراك. لكن بالنسبة لك، الأمر سيستغرق ثلاث سنوات.

قلتِ إنكِ مجرد هبوطك على الأرض تقريبًا، صعدتِ إلى السفينة التالية المغادرة. أنك كنتِ في عجلة من أمرك، فأخذتِ أول تذكرة سفر تمكّنك من المغادرة، وصعدتِ على متن سفينة بحثية ذاهبة للتنقيب في الفضاء بدلًا من سفينة ستكون محض "مدار انتظار". هذه السفن البحثية عتيقة جدًا الآن، والكثير منها لا يزال يعمل رغم أنها تجاوزت بسنوات طويلة تاريخ انتهاء خدمتها حيث يُفترض أن تُباع كخردة.

حمدًا للرب أنكِ تمكّنتِ من الاحتماء بعد الحادث، حتى لو كانت المنشأة التي لجأتِ إليها بعيدًا عن الطرق المعتادة.

لا تبكي، يا حبيبتي. في كثير من الأحيان في الرسالة كان هناك صوت تأوّه غريب، وتساءلتُ طويلًا عن ماهيّته. في نقطة ما في أثناء تسجيل رسالتكِ، لا بدُّ أن الآلة نسخت بكائك بهذه الطريقة.

إحدى عشر سنة حقًا!؛

أستمعُ إلى رسالتك مرة أخرى. هذا ما يمكنني سماعه.

أنا بخير. مجرد خدوش قليلة. لكن توفي أحد أفراد الطاقم وهو يُصلح السفينة. ومع ذلك، فهم يقولون لولا فرد الطاقم ذاك، لما نجحنا في الوصول إلى ذلك المدى.

يقول قبطان السفينة إن ناقلات الشحن أو السفن البحثية -فقط- هي التي تمرُّ بهذه المحطة الفضائية. ويمكنهم أن يأخذوا عددًا مُعيّنًا فقط من الأشخاص معهم؛ لذلك كان علينا إجراء قرعة. جاء الرقم الذي سحبتَه بخيارين. يمكنني الانتظار هنا لمدة شهرين آخرين ثم ركوب سفينة ضوئية للعودة إلى ألفا سينتوري، أو استقلال ناقلة

شحن ستصل إلى هنا الشهر المقبل، حيث سأسافر على متنها في حالة السُّبات المُحفَّز⁽¹⁾ إلى الأرض.

سألت متى ستصل ناقلة الشحن إلى الأرض. قالوا: بعد أحد عشر عامًا من الآن. أخبرني القبطان أن أستقلَّ السفينة الضوئية وأرجع إلى ألفا سينتوري. أن الأرض بعد إحدى عشرة سنة من الآن ليست مكانًا سيرغب أيُّ أحد في أن يعيش فيه. أن الأرض ستكون غير صالحة للسُّكنى حتى للأشخاص الذين أمضوا حياتهم هناك طوال حياتهم، ناهيك بالعائدين بعد سنوات طويلة من الحياة في كواكب أخرى.

قلت إن عليَّ الذهاب إلى الأرض على أي حال. ضحك جميع الرُّكَّاب الآخرين عندما شرحت لهم أن خطيبي سينتظرنني. وفقًا لهم، لا يوجد رجلٌ واحد على قيد الحياة ينتظر أحد عشر عامًا حتى يتزوَّج بامرأة. أعلم أنه قد يبدو غريبًا... لكنني لست ذاهبة إلى هناك فقط لأنني أعتقد أنك ستكون في انتظاري.

بحلول الوقت الذي ستلقَى فيه هذه الرسالة، سأكون بالفعل في سُباتٍ عميق. اكتب ردًّا على رسالتي. سأكون قادرة على قراءة أي شيء ترسله عندما أستيظ. مهما قرَّرت القيام به، سأحاول ألا أنجرح. لقد اتَّخذتُ قراري، وستكون أنتَ قد اتَّخذتَ قرارك.

آه.. آه.. آه.

لا، هذا ليس صحيحًا.

لا توجد كلمات يمكن أن تصف كم أرجو أن تنتظرنني. الأمر يفوقني لدرجة أنني لا أقوى حتى أن أرجوه. لذلك سأخلد إلى النوم...

(1) سفينة فضائية يقضي فيها معظمُ أو كلُّ طاقم السفينة الرحلة (عادة تكون طويلة) في نوع من السُّبات المُحفَّز كوسيلة للأخار الطاقة. والسُّبات هو حالة من انخفاض النشاط الفسيولوجي في الجسم، وعادة عن طريق انخفاض درجة حرارته ومعدَّل الأيض. يمكن السُّباتُ الإنسانَ من البقاء على قيد الحياة خلال فترات عدم توافر الغذاء (المترجم).

بتلك الطريقة، ستوقّف الأفكار المؤلمة.

هل ستأتي لمقابلتي بغضّ النظر عن أي شيء؟ مهما كان قرارك، مهما كانت الحالة التي ستكون فيها عندئذ، لا أمانع. أعتقد أنني سأكون حزينّة جدًّا لو لم يكن هناك أحد ينتظرني عند وصولي. لو لم تكن هناك في الميناء الفضائي سأذهب إلى قاعة الزفاف. حتى لو كنتُ بمفردي، أستطيع أن أذهب وأمارس لعبة التخيّل.

ثم تنتهي الرسالة بصوت جافٍّ يتأوّه طويلًا. آه.. آه.. آه.

أنا آسف يا عزيزتي، أنا آسف جدًّا. لكن لا يمكنني الانتظار أحد عشر عامًا.

نحن بالفعل متأخّران مدة ثلاث سنوات. مرّت سبع سنوات ونصف بتوقيت الأرض. حتى لو عدتُ الآن، فليس هناك ما يضمن أن شقتي أو وظيفتي ستظل موجودة. بمجرد انقطاع سُبُل الاتصال بأحدهم لمدة ثلاث سنوات؛ تصبح قيمته أدنى ممّا لو كان ميتًا. لو أفرغَ أعمامي حسابي المصرفيّ وتقاسموا الأموال مع بنات وأبناء أعمامي معتقدين أنني ميّت، فلا يمكنني أن أجعلهم يعيدونها. لو ادّعى المستأجر أن شقتي ملكٌ له، فلا يوجد شيء يمكنني قوله. لن يكون غريبًا لو تعرّض أرباب عملي للإفلاس، مع الأخذ في الاعتبار كيف كان وضع الاقتصاد عندما غادرتُ. ولو أن الشركة قد بيعت لمستترٍ جديد، فلماذا يكلفون أنفسهم عناء إعادة موظف قديم مثلي للعمل؟

خلال إحدى عشرة سنة، لا، بل ثماني عشرة سنة! خلال ثماني عشرة سنة، سيكون أصدقائي قد كبروا في السن، ولن يكون لديّ أحدٌ لأتسكّع معه. وأين بحق الجحيم يمكنني الاستفادة من معرفة عفا عنها الزمن بثمانية عشرة سنة في أي مهنة؟ كل شيء أعرفه سيصبح عديم الجدوى. لا حاجة لتخمين ما إن كان العاملون العاديون في

شركات إمدادات قطع غيار السفن الفضائية سيزالون قادرون على كسب رزقهم أم لا. بعد ثماني عشرة سنة دون أدنى معرفة بما يحدث في العالم، ماذا يمكنني أن أفعل لكسب رزقي، وتدبّر أمور حياتي؟ أنا آسف. أرغب في العودة إلى الديار. هذا ليس صوابًا. بالطبع يمكننا اللقاء بعد إحدى عشرة سنة من الآن، لكن ما فائدة الزفاف لو كان العريس حُثالة، مُفلسًا ومتشرّدًا؟ أظن أن كلاً منّا ليس مُقدّرًا لأن يكون في علاقة مع الآخر. لا أعرف ما الشيء الخاطئ الذي حدث أو متى بدأ، لكن كل شيء آل إلى فوضى.

يجب أن تحافظي على صحتك. اعتني بنفسك. يقولون إن للسُّبات المُحَقَّز أثره على الجسم. عندما تَصِلين إلى الأرض، سأغدق عليك بالطعام الجيد. سأكون هناك لمقابلتك. يمكنني أن أعدك بذلك القدر. سأكون هناك، لن أنسى.

أحبك.

رسالته الـ 5 شهران في الرحلة بعد 7 سنوات و9 شهور بتوقيت الأرض

كيف حالِك؟

لم تَرَيِ الرسالة الأخيرة بعدُ، أليس كذلك؟

نعم، بالطبع لم ترينها. سوف يستغرق ذلك بضع سنوات أخرى.
لكنك ستفعلين.

ستكونين قد قرأت الرسالة الأولى قبل شروعكِ في قراءة هذه
الرسالة.

أنا... حسنًا.. عُدْتُ الى الديار. في الواقع، رجعت فقط إلى الميناء
الفضائي على الأرض. لم أستطع الرجوع إلى المنزل. حسنًا، لم أستطع
الذهاب إلى الميناء أيضًا. عَلِقْتُ داخل السفينة لمدة أسبوع، ولم أتمكَّن
من وضع قدمي على الأرض. أخضعونا لجميع أنواع الاختبارات.
التعقيم بالبخار، واللقاحات، وحتى فحص السلامة العقلية. ملأت
عشرين صفحة من الاستثمارات، وكان عليّ أن أقوم بذلك ثلاث مرات.
عندما قلت: "لقد ملأت هذه سَلَفًا"، صرخوا فيّ. يبدو أن هناك ثلاثين
قسمًا مختلفًا يعمل على تقييم حالات الواصلين. أظهر التلفزيون
الموجود على متن السفينة الأخبارَ فقط، وعبر قناة تلفزيونية واحدة

فقط. تعطلت جميع بوابات الإنترنت أيضًا؛ لذلك لم أتمكن من الوصول إلى إيميلاتي.

بعد أسبوع من بقائي مُجبرًا على متن السفينة في الميناء الفضائي، اندفع شاب جريء، لا يزال غصًا وتنقُصه الخبرة، إلى الداخل، يتبعه مجموعة من الجنود، وبدأ يتكلم. كان حادًا المزاج كما لو كان يعاني من آلام في المعدة. وما انفكَّ يتحدث عن أن كل هذا بسبب الجيل القديم، الناس مثلنا؛ كسلنا وتقاعسنا الذي أوقع البلاد في مثل هذه الفوضى. اعتقدت أن هذا كان مبالغًا فيه. مرّت سبع سنوات فقط.

وفقًا لهذا الشاب، استولت جماعة إرهابية على سيول. لكن المدينة كانت لا تزال آمنةً. لم أستطع فهم ما كان من المفترض أن يعنيه ذلك. قال إن القوات الوطنية الباسلة ستوقف التمرّد قريبًا، لكن لا يمكن التعامل معنا كما يستلزم الأمر إن نحن دخلنا الميناء؛ لذلك يجب أن نغادر، ونعود لاحقًا. سرّت ضجة كبيرة وسط الناس الذين يطالبون بالنزول والرجوع إلى منازلهم، لكن الشاب الغاضب والوفد المرافق له غادروا فحسب.

بعد ذلك بقليل جاءت امرأة من الصليب الأحمر أو "حقوقيون من أجل الديمقراطية" أو من منظمة ما، وأخبرتنا عن اندلاع انقلاب عسكري. كان الحزب الذي خسر الانتخابات قد أعلن الأحكام العرفية، وسيطر على مجلس النواب، لكن المواطنين كانوا يقاومون. عندما سألت أحدهم عن دور الأمم المتحدة، أوضحت أن أمريكا قد أعلنت إفلاسها العام المنصرم، وكان العالم بأسره في حالة انهيار اقتصادي في أعقاب ذلك؛ لذا فإن الوضع العام لم يكن عظيمًا.

قالت إنه لو عدنا بعد عشر سنوات تقريبًا، سيكون الاقتصاد العالمي غالبًا في حالة أفضل، وستكون الأمور أكثر استقرارًا. قالت لنا أن نتحرك في أسرع وقت. أن هذه فرصتنا الأخيرة للهروب، حيث ما

تزال البلاد آمنة نسبيًا". لو انتظرنا لمدة أطول وصدر إعلان يقيد حركة المرور في الموانئ الفضائية، فستكون السبل قد تقطعت بنا حقًا.

استطعت أن أستحوذ على انتباه موظفة الإعانة، وشرحت لها أنني حجزت قاعة زفاف. سألتها أن ترى إن كان بوسعي استرداد العربون الذي دفعته، لكنها طرقت بعينيها إليّ عدة مرات، ثم رحلت.

مهلاً، أتعرفين؟ في حين أقلعنا من الميناء الفضائي، لم تخطر ببالي سوى أمنية واحدة: ألا تصلك الرسالة الأخيرة التي أرسلتها إليك!

كان يجب أن أنتظر بضعة أيام قبل إرسالها، حتى أعود فعلاً إلى الأرض، وأستوضح الموقف أولاً.

ما الذي كان ملحاً حتى أضطرّ للرد على الفور؟ رد لن تتسلميه إلا بعد بضع سنوات قليلة على أي حال.

لكان من الرائع لو لم أرسلها. ولكان لديّ عُذرٌ أقدمه إليك لتبرير رجوعي للمنزل في ساعة متأخرة بعد قضاء الليل في شرب الكحول بعد العمل: "أوه، ما الصعوبة في انتظاري بضع ساعات بين الحين والآخر؟! هل نسيتِ بالفعل أنني انتظرتكِ لمدة أحد عشر عامًا كاملة".

أحلام اليقظة مثل هذا الحلم تجعلني أشعر بتحسُّن. ولكن بعد ذلك أتذكّر أن السفينة قد أبحرت بالفعل، ورسالتي قد أرسلت، فيتملّكني الاكتئاب مرة أخرى.

كنت أتساءل عمّا إن كان بإمكانني بطريقةٍ ما ابتزاز قبطان سفينتك حتى يعدم الرسالة قبل وصولها إليك. لكن بعد ذلك سمعت أنه ذكاء اصطناعي. كيف يمكن للمرء ابتزاز كمبيوتر؟ ربما يمكنني أن أحاول التحدث بلطفٍ معه، مع وعدٍ بتزويده بشرائح ذاكرة جديدة.

تعلمين، يا عزيزتي، أَلن يكون الأمر مضحكًا حقًا إن هبطنا في
الميناء في التوقيت ذاته؟ في اللحظة التي أراك فيها، سأحتضنك بشدة،
وأخبرك أنني أحبُّك، وأتوسَّل إليك حتى تغفري لي. وللاحتفال بهذه
المناسبة، دعينا نضرم نارًا ونرسل كلَّ أثر لرسائلنا إلى السماء في صورة
دخان.

رسالته الـ 6 4 أشهر من بداية الرحلة بعد 13 سنة و9 شهور بتوقيت الأرض

مضى وقت طويل.

انتظري، لن تعرفي ذلك، أليس كذلك؟ سمعت أنه لم تصلكِ رسالتي الأخيرة. عادت إليّ رسالة تفيد بأن المستلمة كانت في سُباتٍ عميق. ستُجمَع أي رسائل وتُعطَى لكِ جميعًا دفعة واحدة عندما تستيقظين. قائدك هذا ينجز الأشياء حقًا. أنتِ في أيدي أمينة.

عدتُ إلى الأرض. أبكرَ قليلًا من السنوات العشر المخطط لها. كانت السفينة كلها في حالة اضطراب عارم. باتت الإمدادات شحيحةً بعد مغادرتها الأرض في عجالةٍ آخر مرة. كانت الشاكية الأعلى صوتًا حتى الآن سيدة قالت إن بشرتها ستتلف إن لم تستطع شراء مخزونٍ كافٍ من مرطّب البشرة المفضّل لديها. وهُدّد أحدهم بمقاضاة شركة التأمين على السفينة، واستمرّ رجل آخر في الحديث عن صداقته مع عضو مجلس نوابٍ مُنتخَب للدورة الثالثة على التوالي. عندما احتجّ الناس، ذهبت وصرخت مع الغوغاء. كنتُ قَلِقًا بشأن كل أنواع الأشياء، بالطبع؛ شقتي وحسابي المصرفي ووظيفتي. جهزت الكثير من الوثائق؛ كان مجرد فرزها جميعًا عملاً شاقًا. وثيقة إثبات الهوية، وثيقة إثبات

محل الإقامة، فواتير الإيجار التي لم يدفعها مستأجر شقتي. أعددت أيضاً أوراقاً لاستعادة أصول ممتلكاتي في حال سرقها أي شخص.

لم يكن القبطان في عجلة من أمره. في الواقع، بدا أنه لم يكن مهتماً بالرجوع على الإطلاق. بالتفكير في الأمر الآن، ربما تلقى الطاقم معلومة سرّية بطريقة أو بأخرى.

في النهاية، عدنا إلى الميناء الفضائي بعد ست سنوات بتوقيت الأرض، مع أن الأمر لم يستغرق سوى شهرين بالنسبة لنا.

كلّما دَنَوْنَا من الأرض، شعرنا بشيء غريب. لم أستطع رؤية كوريا. استغرق الأمر بعض الوقت قبل أن أدرك السبب. لم تكن ثمة أضواء. في الليل، كانت شبه الجزيرة الكورية متألّثة دائماً، كما لو كانت مرشوشةً بغبار الذهب. لكنها كانت الآن مظلمة. كما لو لم يُشعل أحد الأضواء. كما لو لم يكن هناك أحد على الإطلاق.

عندما هبطنا، قُذِفَت من مكاني إثر ارتجاج السفينة بعنف. عندما اشتكى الركاب، الذين كانوا بالفعل على حافة الانفجار، قال القبطان إن مدرج الهبوط كان في حالة من الفوضى. هبط الناس من السفينة، وهم يتمتمون بأشياء مثل "عذر أقبح من ذنب" و"يا له من هراء"، لكن المدرج بالفعل كان في حالة من الفوضى. نَمَّت الأعشاب بكثافة في بقع من التربة وسط حارات مدرج الميناء الفضائي. مالت اللافتة الصدئة في الميناء، مهدّدة بالسقوط.

انتظرنا بجانب السفينة، لكن لم تصل أي حافلة. بدأ الناس في المشي إلى قاعة الانتظار، لكن الأرض كانت ملأى بالطين اللزج. تحدّث أحدهم عن الصيانة الرديئة للميناء.

كانت قاعة الانتظار فارغة. في الداخل، كان كل شيء مُغطى بطبقة من الغبار البُنِّي، وغمرت المياه الأرضية المتداعية. انتشرت الأعشاب المائية في البركة الكبيرة، مع تفقيس الحشرات وتكاثرها. السيدة التي

كانت تصرخ حول مكان وجود متجر السوق الحرة من أجل مرطب
البشرة، وقفت فاغرةً الفم.

رجع ذهني إلى التفكير في أن السفر عبر الزمن لا يختلف عن
السفر عبر المكان. كان ذلك عندما صدمتني الحقيقة المرؤعة. لا
أستطيع العودة إلى المنزل. المنزل الذي غادرته عند انطلاق رحلتي
قد تبخّر، تركته ورأيي في مرحلة ما من الماضي. لا سبيل للرجوع.

كان الجميع متسمّرين هناك في حالة ذهول، ممسكين بأمعتهم
عندما سقط شخصٌ بجانبني على الأرض. لم أستطع أن أفهم لماذا سقط
على هذا النحو في حين لم يكن هناك شيء حتى يتعثّر فيه. الجميع
بدا مثلي. حتى بدأت البركة تتحوّل إلى اللون الأحمر. ثم سقط
الشخص الثاني.

في خِصْمٍ كل الصراخ والصراع، مضى الوقت ببطء شديد، ثم في
لحظات مُعيّنة راح يجري بسرعة كبيرة، لدرجة أنني لم أتمكن من
استيعاب أي شيء. ركضتُ واختبأت. دفعت الناس وركلتهم جانبًا.
حتى بعد أن استعدت صوابي، شعرت أنني لا زلت مهزوزًا. لمدة
طويلة بقيت ساكنًا حتى بعد أن ران الصمت. عندما زحفت أخيرًا
خارجًا من مخبئي، كانت ثمة جُثث مبعثرة في كل مكان.

علا صوتٌ يأمر من لم يُصَب بأذى بمساعدة الجرحى. اندفعت في
الأرجاء مثل شبح. السيدة التي كانت تبحث عن مرطب، تئن وتتاوّه
بينما أغير ضماداتها. ثم سكتت فجأة، وأدركت أنها ماتت.

مثل المرة السابقة، جمعنا أشخاص مُسلّحون معًا، وألقى رجلٌ
خطابًا. على ما يبدو لو لم يأتوا لإنقاذنا لكننا جميعًا قد قُتلنا. حسنًا،
عادِلٌ بما يكفي. غضب الرجل وقال إن الناس من الماضي كانوا جاهلين
بما يحدث. أطلقت المجموعة على نفسها اسم "ميليشيا مدنية"،

وطلبوا منّا عدم الرجوع لأن هناك عصابات من اللصوص تجوب الميناء الفضائي، وتنقضُّ على المسافرين المطمئنين.

قال لنا الرجل إننا محظوظون. لكنني لم أستطع أن أرى كيف. على ما يبدو، كانوا الوحيدين الذين يبحثون عن الحمقى القادمين من الماضي. وبهذا، أغاروا على حقائبنا والسفينة بأكملها، واستولوا على كل شيء. مع ذلك، ربما كانوا حقًا أشخاصًا صالحين. تركوا وراءهم الأشياء التي توَسَّل الناس إليهم ألا يأخذوها. بالكاد تمكَّنتُ من الاحتفاظ بخاتم الموسيقى الذي اشتريته من أجلك. شرحتُ للرجل الذي كان يمرُّ علينا بحقيبة، أن الجوهرة ليست حقيقيَّة؛ مجرد لعبة. ضغطت على الخاتم لتشغيل أغنية، فدوَّى مقطع الأغنية "عزيزتي، كم أحبك..." شخر الرجل، ورمى الخاتم في وجهي، ومضى.

تبعته. لم أستطع أن أحمل نفسي على سؤاله عن مسألة قاعة الزفاف، لكنني تلعثمت قائلاً له إن ناقلة شحن ستصل في غضون خمس سنوات، وطلبتُ منه البحث عنها. نظر إليّ مرة أخرى وقال إنها لن تأتي. تغيَّر مسار جميع السفن التي تلقَّت الأخبار. قلت إن خطيبي لن تعرف ذلك لأنها نائمة. سأل: "لماذا هي نائمة؟" ثم ابتعد قبل أن أتحدث.

تجوَّلنا جميعًا مدة طويلة مثل موظفين مُسِنَّين مُسَرَّحين من عملهم في عملية إعادة هيكلة. غادر قِلَّة من الناس قائلين إنهم ذاهبون إلى منازلهم. كانت حقائبهم الممزقة تخشخش من ورائهم. أصلحنا الراديو في السفينة، واستمعنا إلى الأخبار. كان نوعًا من الراديو حيث يتعيَّن عليك تركيب هوائي وضبط التردد، وهو نموذج لم أره إلا في المتاحف. ومع ذلك، في مثل هذه الحالة، كان هذا الشيء الوحيد الذي أفلح.

سمعنا عن حدوث انفجار في منشأة نووية في الجنوب. أعدمت قيادة الأحكام العرفية مجموعةً من الفنيين النوويين، وفي اليوم التالي وقع حادث ضخم. أُغْلِقَت وسائل الإعلام لمدة شهر في أعقاب ذلك، واختبأ جميع المتخصّصين الآخرين. مع وجود اثنتين وعشرين محطة طاقة نووية أخرى في البلاد ورحيل كلِّ مَنْ كان يديرها منذ مدة طويلة، قالوا إن محطة أخرى قد تنفجر في أي لحظة. أُعلِنَت شبه الجزيرة الكورية منطقة كوارث، وأصدرت دول أخرى قرارات تحظر السفر إلى المنطقة بأكملها.

أعلن القبطان وطاقمه أنهم ذاهبون إلى نظام شمسي آخر. أخبرتهم أن عليّ العودة إلى هذا الميناء في غضون خمس سنوات، وأن عروسي في طريقها إلى هناك. بالطبع، ذكرت حجز قاعة الزفاف أيضًا. أنني سلّمت سلفًا دعوات الحفلة إلى أصدقائي.

أظنُّ أن القبطان اعتقد أنني أبدو مثيرًا للشفقة. سمح بفصل مركبة فضائية صغيرة عن جسم السفينة وقال إنه يمكنني الحصول عليها. يبدو أنها مصنوعة في حوالي القرن العشرين. علّق القبطان: "البساطة تعني المتانة".

كانت المركبة بحجم حُجيرة تقريبًا، وتراءت مناسبة حتى يعيش فيها شخص واحد. قال القبطان: "لن تكون قادرًا على الصمود طويلًا داخل هذا الشيء؛ لذا اقطع مسافة قصيرة بها ثم استقرّ في مكانٍ ما". قلت إنني سأكون بخير. عندما كنت عاطلًا عن العمل، بقيت منعزلًا في غرفتي لمدة شهرين ألعب ألعاب الكمبيوتر. وهكذا، وبدون أن ينبس ببنت شفة، وضع القبطان يده على كتفي وأجلسني.

فتح مفكّرًا وبدأ في رسم المخطّطات، وشرح ما كان عليّ القيام به. بهذه المركبة الضيقة، لا يمكنني السفر إلى نظام نجمي آخر. قال: "سيكون الأمر أشبه بمحاولة عبور المحيط الهادئ على متن زورق".

اعترضتُ قائلاً إنه ليس عليّ الذهاب إلى نظام نجمي آخر. لم أستطع أن أقول سوى: "زوجتي المستقبلية في طريقها..."، عندما قاطعني: "أيًا يكن ما تقول يا بني". شرح أن تسريع هذه المركبة يعتمد على الرياح الشمسية وبطارية شمسية. أخبرني أن أسلك طريق مدار المشتري إذ إن قوة الجاذبية ستساعد على دفع السفينة للأمام. ثم حسب مقدار الدفع الذي ستمنحه لي. وحسب أيضًا مقدار السرعة الذي بإمكان هيكل المركبة، لا داعي لذكر جسمي أيضًا، احتمالاه. مع أخذ كل شيء بالاعتبار، فإن قوة الدفع القصوى ستساوي مقدار تسارع الجاذبية. لم أستطع تذكّر معنى "تسارع الجاذبية"⁽¹⁾. قال القبطان: "نحو عشرة مترات في الثانية، في حين سرعة الضوء حوالي ثلاث مائة ألف كيلو متر في الثانية". جلست هناك متسمّرًا في مكاني يعلو وجهي تعبير جامد تمامًا. ستستغرق الرحلة سنتين أخذًا في الاعتبار عدد مرّات التسريع والإبطاء.

كان القبطان مُصمّمًا أنني لن أستطيع فعل ذلك. أنه من المستحيل شحن حمولة عامين من الطعام داخل المركبة. وحتى لو أفلحت في ذلك، فسوف يتعفن قبل الأوان. وستعجز المركبة عن الإقلاع، وهي محمّلة بمقدار عامين من الطعام على أيّة حال.

(1) في علم الفيزياء، يوصف تسارع الجاذبية أو تسارع الثقالة على أنه تسارع جسم نتيجة قوة الجاذبية، إذ يتسارع أي جسم في حقل الجاذبية بنفس المعدل، بغض النظر عن كتلة الجسم. وعلى سطح الأرض، يقال بأن جميع الأجسام تسقط بتسارع يقع بين 9.78 و 9.82 m/s² اعتمادًا على دائرة العرض، مع الاصطلاح على القيمة القياسية. (المترجم).

رسالته الـ 7 سنة وشهر بعد الرحلة بعد 14 سنة و6 شهور بتوقيت الأرض

آسف لأنني استغرقت طويلاً حتى أكتب إليك.

بصراحة، احتجتُ وقتاً طويلاً لأعرف كيف أرسل رسالة على الإطلاق. بدا الأمر غريباً في البداية، لكن بمجرد فهم المبادئ العامة، أعتقد أنه من الممكن إرسال رسالة حتى لو كانت الحضارة البشرية بأكملها قد تلاشت.

انطلقتُ بالمرحلة في البداية دون إعادة تفكير في الموضوع. ثم عندما استهلك نصف إمداداتي من الطعام، رجعتُ إلى الأرض. فتشّيتُ في المتاجر المهجورة، وجمعت الأطعمة المعلّبة، ثم عُدتُ إلى الفضاء. فعلت ذلك عدّة مرّات.

صدّقيني، مع الحالة التي كنت فيها آنذاك، كان هذا أقصى ما يمكنني فعله.

حاولت الذهاب إلى بلد آخر أيضاً، لعلّ وعسى. قالت امرأة التقيت بها هناك إن حقيقة عدم إسقاط القراصنة مركبتي كان ضرباً من الحظ السعيد الذي لا يمكن أن يتحقّق أكثر من مرة كل قرن. قلت: "ماذا تقصدين؟ لم يمرّ قرنٌ حتى منذ انطلاق رحلات السفر

ما بين النجوم لأول مرة". قالت إنه لا بُدَّ أن سبب ذلك أن مركبتي كانت صغيرة جدًّا، وربما لم يدركوا حتى أنها سفينة على الإطلاق. يا له من شيء لتقوله.

ومع ذلك، بفضل هذا اللقاء، ظفرت بآلة صانعة الطعام. الطريقة التي تعمل بها تشبه إلى حدٍّ ما طابعة ثلاثية الأبعاد. تقنية لم تكن موجودة حتى قبل عقد من الزمان. أيًّا كان ما تضعه داخل الآلة؛ الأوساخ أو الحجارة أو أي شيء آخر، يخضع للتفكيك إلى المستوى الجزيئي ثم يُعاد تجميع الجزيئات. عندما يصبح جاهزًا، يخرج من الآلة شيءٌ صالح للأكل، أشبه بطعام الكلاب.

عندما أعطتني المرأة صانعة الطعام، قالت إنني من نوعية البشر المحظوظين الذين لا يظهرون إلا مرة أو مرتين كل ألف عام. وأضافت أنه إن لم يكن حدسها صحيحًا، فسأمت بالتأكيد في رحلتي التالية. سألتني: "ماذا كنت تفكر عند ركوبك سفينة صغيرة كهذه، والسفر في الفضاء؟"، عندما أجبت أنني لم أفكر في أي شيء على الإطلاق، قالت إنها خمّنت ذلك.

في المرة الثالثة التي عدت فيها إلى الأرض، عثرت على سيارة وقُدتها إلى مكان عملي القديم. كانت الشوارع هادئة لكنني شعرت أنني أتعرّض للهجوم. كانت الطريق ملأى بأخاديد واسعة داكنة وتراءت واجهات المتاجر أشبه بمحاجر عيون فارغة تحدّق في وجهي. تجوّلت زمرة من الكلاب في الشوارع، وتصرّفت وكأنها لم تُروّض من قبل أبدًا. عوت بشراسة، كما لو كانوا يثبتون لي أن الكلاب لا يمكن أن تتصرّف بطريقة أخرى.

احتجت إلى جهاز لجمع جزيئات الفضاء الشاردة. انتشرت من حولي جزيئات الهيدروجين والأوكسجين والكالسيوم والصوديوم، والماء، ومواد عضوية، بكميات بالغة الصغر. لكن لو جُمعت بسرعة الضوء،

فستتراكم وتتكدّس. لذا لا بُدَّ أن أعبّر الفضاء بسرعة كافية. استنتجت أن بوسعي التفكير في الأمر كأنه أشبه بمكنسة عملاقة. ذهبت إلى ورشة حتى أجلب الأجزاء التي أحتاج إليها، وتأكدتُ من كل الأسماء، وشغلت الآلات في مكان عملي القديم باستخدام مولّد الطورائ. لا أعرف بشأن أي شيء آخر، لكن كتيب إعدادات المصنع كان لا يزال محفوظاً ويُمكن فتحه بكلمة سرِّ وضعتها أنا. كان عليّ أن أصنع الجهاز بسيطاً بقدر الإمكان حتى أستطيع إصلاحه بمفردي.

بينما كنت أعمل، رأيت من النافذة على مبعده ناطحة سحاب بدأت في الميل. في البداية ظننتُ أن جسدي كان منحنيًا، ثم انتشر الغبار وانهار المبنى الضخم دون صوت. مثل تهدُّم قلعة رملية في المدِّ الصاعد، مثل سقوط شجرة ميتة جافة.

غمغمتُ وأنا أشاهد المنظر: "هلاً نظرت إلى ذلك؟!". في الماضي عندما كان هذا المبنى في طور الإنشاء، قال الناس إن المبنى لن يستمرَّ أكثر من عشر سنوات.

فكّرت في تلك المرة عندما زرنا المنزل الريفي الذي تركته عائلتكِ فارغاً بضع سنوات. في خلال فترة قصيرة، أصبح هذا المنزل قبيح المنظر. كان المرحاض مسدودًا، وتشقّقت أنابيب الصرف والتدفئة، وانفجرت. كانت الأماكن التي تسطع فيها الشمس جافة ومفتّنة، في حين أن الأماكن التي لم تصل إليها كانت لزيجة بالعفن.

يبدو أن المنزل قد شاخ بفعل الوحدة والإهمال حتى صار قشرة صدئة كأنما يقول: ما الفائدة من الصمود والمواصلة عندما تكون الحياة وحيدة هكذا؟ كما لو أنه خلال عامين فقط، عاش ما يضاها عقدين من الزمان بمفرده.

قلت لي وأنت تربّتين على إطار الباب الذي بهت لونه: "أخبرتكَ؛ إذا لم يكن هناك أي أحد يعيش في منزل، فسيكون هذا مصيره في وقت قصير جدًا. كان يجب أن أكون هنا من أجله".

شعرت وأنت تربّتين على إطار الباب، كأنك تمسّدين شعري أنا. كما لو كنتِ تتحدّثين إلى ذاتي السابقة التي كانت وحيدة جدًا قبل أن ألتقي بكِ. إلى ذاتي تلك التي لطالما كانت بمفردها.

انقضت الآن ثلاثة أشهر منذ أن انطلقت بالمرحلة آخر مرة.

استغرق الأمر ثلاثة أشهر حتى أعود إلى رشدي. والآن وقد استعدتُ قدرتي على التفكير السليم، أدركت مدى جنون الشيء الذي فعلته.

أخبرتكَ، أليس كذلك، أنني قضيت ذات مرة بضعة أشهر وحدي في غرفتي دون الخروج منها أبدًا.

أعتقد أنني أعرف الآن. لم تكن تلك الفترة فعليًا حياة بمفردي. لم أعش بمفردي من قبل حقًا. حتى وأنا منعزل في غرفتي، كان الناس يزيلون القمامة التي تركتها خارج الغرفة، ويفرغون خزّان الصرف الصحي. أداروا محطات الطاقة وربطوا خطوط الكهرباء، وتفقدوا صمامات الغاز واستبدلوا الماء في المبرد ونظفوا المصارف. وفي مكان آخر غلوا الشعيرية ووضعوها في طبق أمام باب غرفتي من أجلي، ثم عادوا ليجمعوا بقايا الطعام والأطباق الفارغة ونظفوها واستخدموها مرة أخرى. لم أعش بمفردي أبدًا، ولا مرة واحدة. كيف يمكن حقًا العيش بمفردك؟

حينذاك كانت مجرد حقيقة العيش تعني أنني لست وحدي.

في كل مرة أستيقظ أفكر: لا يمكن أن يحدث هذا. سأموت. إن لم أمت اليوم، فسأموت غدًا.

لا يمكنني الحفاظ على الطعام في معدتي بعد الآن. أتقيأ كل شيء كلما حاولت تناول الطعام. أرتطم بالجدران وأصرخ، "يجب أن أعود! فلينبذني أحدهم!"، ولكن حتى لو أردت العودة الآن، فلا يزال يتعين علي قضاء المدة نفسها التي كنت فيها بالخارج هنا بالفعل، في إبطاء سرعة المركبة.

كل شيء على ما يرام.

كل شيء على ما يرام. إنها سنتان فقط.

بسببي، لأنني فعلت شيئاً غيبياً؛ أنتِ قادمة إلى هذه الحقبة الخطرة وأنت تجهلين ماذا ستجدين. ماذا لو أتيت دون أن تعرفي ماذا تتوقعين، فقط حتى يحدث لك شيء مريع مثلما حدث لي؟

رسالته الـ 8

3 سنوات وشهرين في الرحلة بعد 19 سنة وشهرين بتوقيت الأرض

ذهبت إلى الميناء الفضائي في اليوم الذي كان يُفترض أن تصلي فيه.
فكّرتُ أنه لو ظهر أمامي عصبة من قطاع الطرق أو الخارجين
عن القانون فسأقتل في لحظةٍ، لكن لم يأت أحد.

في غضون ذلك، لا بُدَّ أن فيضانا قد حدث أو شيء من هذا القبيل؛
إذ كان الميناء مُغطى بالتراب، وأصبح سهلاً بريئاً. على التراب نمت
نباتات حبق الماء وحشيشة الجبل غزيرةً وخضراء. ذكّرني هذا المشهد
بالمرة التي ذهبت فيها إلى مكتب الحي لتقديم شكوى بسبب عدم
قدومهم للقيام بأعمال الإصلاح بالسرعة الكافية بعد اندلاع فيضان في
قريتي القديمة. لم أدرك من قبل أن هناك جدولاً مائياً صغيراً يخترق
منتصف الميناء مباشرة. أظنُّ أن مسار الماء حتى تلك اللحظة كان يُعاد
توجيهه إلى البحر بواسطة مضخة أو شيء من هذا القبيل. كانت قاعة
الانتظار مغطاة بالكرومات الزاحفة، وتراءت لي أشبه بربوة صغيرة.

كانت النوافذ كلها مكسورة أو مهشّمة الزجاج، مجرد إطارات
فارغة. لكن، ورغم كل ذلك، لا تزال توجد أغلفة بسكويت مبعثرة،
وأثار للأماكن حيث كُنّا نجهّز وجبات الطعام هناك قبل خمس
سنوات. اضطررت إلى الضحك.

لم تأتي.

انتظرت طوال الليل، واليوم التالي كله لكنك لم تأتي.

استلقيت في الحقل المجاور للميناء الفضائي، وراقبت النجوم تظهر ثم تتلاشى. شاهدت بحرًا من النجوم يطفو متجاوزًا حدود الأرض. تخيلت لو أنني على متن قارب عملاق. وهو ما كان صحيحًا بقدر ما. فكّرت، لا بأس. لو كانت رحلة تستغرق حوالي ساعة، فليس من الغريب أن يتأخر المرء عشر دقائق. وقياسًا إلى ذلك، من الطبيعي أن يصل المرء في رحلة تستغرق عشر سنوات، متأخرًا بسنة.

لم أنتظر سنةً كاملةً. لكنني انتظرت أربعة شهور وثلاثة أيام. نمت في السفينة، وأعددت وجبات من التربة باستخدام آلة صنع الطعام الكهربائية.

لم تأتي.

لكن لسبب ما لم أكن حزينة. حسنًا، لم أكن سعيدًا أيضًا.

فقط هادئ. شعرت وكأنه تحوّل طبيعي وحتمي تمامًا للأحداث. إن كنت ظهرت من وسط عيدان الحقل الطويلة، فربما كنت لأقول شيئًا مثل، "واو. من كان يعلم أن مثل هذا الشيء المنافي للعقل يمكن أن يحدث حقًا؟ إنه لأمر غريب جدًا. سيتعيّن عليك العودة من حيث أتيت، والخروج مرة أخرى بعد مدة وجيزة حتى أصدق أن هذا حقيقي".

بعد ذلك أقلعت بالسفينة.

ما كان لديّ سبب حقيقي للمغادرة. لم يعد لديّ أي سبب بعد الآن للسفر إلى المستقبل. لكنني لم أستطع تصور ما سأفعله لو بقيت. على الأقل إن ذهبت إلى المستقبل، فسيكون التلوّث قد خفّ، وستكون

البيئة أكثر ملاءمة للعيش. لم أفكر فيما هو أبعد من ذلك. لم أمتلك
الأعصاب للتفكير على الإطلاق حقًا.

فكّرتُ أن أيّ مكان ما عدا هنا، سيكون جيدًا. مكان لن يُذكّرني
بأي من هذا. بما في ذلك أنتِ.

رسالته الـ 9

5 سنوات وشهران من بداية الرحلة بعد (ربما حوالي) 74 سنة بتوقيت الأرض

أسف. مضى وقت طويل منذ آخر مرة كتبت فيها إليك، لكنك تعرفين، عندما أرسلت آخر رسالة، كنتُ في حالة نفسية سيئة. لم أرغب في التفكير بك. أظن أنني -لتحرّي الدقة- لم أمتلك الطاقة للتفكير على الإطلاق. في بعض الأحيان، شعرت بالخيانة في خِصَمِّ تَصَوُّراتي لدرجة أنني صرّرت على أسناني، وفي أحيان أخرى كانت ثمة شطحات في خيالي جعلتني أشعر برغبة في البكاء.

في لحظة أفكر أنك ربما لم تكوني قادرًا على إرسال الرسائل. أو ربما لا تزالين تكتبين إيميلات إلى عنوان بريدي القديم. ثم في اللحظة التالية يعتريني الغضب من حقيقة أنك لم ترسلي أي كلمة. في لحظة أفكر، ربما لم تتلقَ أيًا من رسائلي. في اللحظة التالية أكون غاضبًا مرة أخرى، معتقدًا أن ذلك -ولا بُدَّ- مستحيل. وبعد ذلك أشرع بالبكاء مرة أخرى.

سأعترف. لمدة طويلة، حاولت النجاة فحسب.

تفقدتُ أشياء ذات يوم ووجدت كل تلك الوثائق التي جهّزتها سلفًا مثل دفتر الحسابات الذي كتبت به والأوراق القانونية التي جمعتها معًا. لا بُدَّ أن ذلك أثار إحساسًا معينًا بداخلي. مرّقتُ الوثائق جميعًا

إلى قصاصات، ثم أطلقت العنان لدموعي. لا بُدَّ أنني فقدت الوعي بعد ذلك.

ذات يوم تبوّلتُ فوق جدران المركبة. تركت قطرات البول في الهواء، تطفو من حولي. تسلّلت إلى داخل أنفي وفمي، وتناثرت في جميع الفجوات الموجودة في المركبة. كنتُ عاجزاً تماماً، مثل مريض سرطان في أيامه الأخيرة.

ثم مرضت حقاً. كل ما يدخل جوفي، أتقيّؤه مباشرة بطريقة أو بأخرى. لم أستطع التعامل مع الأمر. شعرت وكأن كياني كله ينسكب خارجي. وأني سأتلاشى قريباً. بالكاد تمكّنتُ من التَّنَفُّس، لكن في كل مرة أستنشق فيها، كان الهواء ملوّثاً بالبول. فقط عندما بدأت قطرات منه تتراكم في أنفي وتسدُّ قصبتي الهوائية، عدتُ إلى رُشدي. رحلت أتلّمس طريقي إلى لوحة القيادة، وشغلت المُسرِّع. عندما سرى تأثير الجاذبية، سقط البول على أرضية المركبة مثل المطر. كل شيء كان يطفو في الأرجاء تهادى على الأرض. غِبتُ عن الوعي متكوّماً في مكاني.

لا أعرف لماذا عِشتُ. لكن عند التفكير في الأمر، لا أعرف أيضاً لماذا كنت أحاول الموت. حسناً، هذه هي طبيعة الموت، أن يعزف المرء عن فعل أي شيء على الإطلاق؛ مثل تلك المدينة المهجورة. عليك أن تفعل شيئاً، أي شيء، لتبقى على قيد الحياة. يجب أن تمتلك نوعاً من الإرادة، ولا تستسلم.

عانيت من حمى شديدة، و فقط عندما بدأت في التعافي، تذكّرت أنني كنت أسافر بسرعة الضوء. ما هي المدة التي غبت فيها عن الوعي؟ ساعة؟ يوم؟ شهر؟ سنة؟ كم من الوقت مرَّ بالخارج؟ لم يُخبرني المشهد المحيط بي بأي شيء. هززت الساعة التي أعطاني إيّاها القبطان العجوز، لكن تروس الساعة لم تَدُرْ بشكل صحيح. كُفّت الساعة الغيبية عن العمل. لم تكن هناك طريقة لمعرفة الوقت.

أبطأت المركبة من سرعتها، وعندما ظهرت الأرض في مرمى بصري، تحوّل الإحساس السيئ بداخلي إلى رعب. بدت الأرض كالقمر. مظلمة ووعرة السطح كأنه لم يكن هناك وجود للحياة عليها قط.

فقط بعد أن اقتربت، أدركت أن السطح الكئيب الخشن المنظر كان في الواقع غيومًا داكنة. كانت الأرض كلها مغطاة بالغيوم. لم تكن ثمة طريقة لمعرفة المكان الذي يجب أن أهبط فيه. كانت مجرد دوامة هائلة من سُحُب سوداء.

بعد برهة قصيرة، أدركت أنني كنت أصرخ. عندئذ أرحت رأسي فوق لوحة القيادة وبكيت. عندما كنت صغيرًا، شاهدت انهيارًا أرضيًا يحدث بالقرب من الباحة الخلفية لمنزلنا. ابتلع التراب منزلًا آخر عن بكرة أبيه. لحسن الحظ لم يكن هناك أحد بالداخل في ذلك الوقت، لكنني صرخت وأنا أشاهد ذلك يحدث. قالت أمي إنها اضطرت إلى إمساكي بقوة بين ذراعيها مدة ساعة تقريبًا قبل أن أهدأ. لطالما صرخت في وجه الأشياء التي تختفي. في مواجهة الأشياء التي تُخرَّب، تتفكَّك، تشيخ، يعفو عليها الزمن، تتحلَّل، تموت، تنهار. رثيت الأشياء التي ضاعت في ضربة واحدة وحشية، دون إمكانية استعادتها أبدًا.

خطرت الفكرة في بالي أن ثمة حربًا قد اندلعت. قبلت رهيبة داخل معمل أبحاث انفجرت، وارتفع رمادها إلى طبقة الستراتوسفير من الغلاف الجوي، ثم ظل الرماد الذي ارتقى إلى هناك يغطي الأرض. أو ربما كويكب أو جسيم غريب ضخم قد ارتطم بالأرض. سمعت في مكان ما أنه سيكون لمثل هذا الارتطام تأثير مشابه. أو...

لماذا أنا هنا؟ لماذا يمكنني رؤية شيء كهذا؟

أريد أن أرجع إلى المنزل. حاولت أن أتخيل أنني دخلت آلة زمن، وأحظى الآن بإطلالة على المستقبل. يمكنني فحسب أن أقول لنفسي:

"أهه، إذًا هكذا سيبدو المستقبل" ثم سأرجع إلى زماني، وأتباهى بذلك أمام أصدقائي:

"لن تخمّنوا أبدًا! لقد ذهبت وألقيت نظرة على المستقبل؟".

"ماذا؟ حقًا؟! اليانصيب! هل تحقّقت من أرقام اليانصيب؟".

"أوه، اللعنة، لقد نسيت النظر إليها".

"كيف يمكنك أن تكون غيبًا إلى هذه الدرجة؟".

لكن لا يمكنني الرجوع بالزمن. كيف يمكنني ذلك؟ لو رجعت إلى المنزل، هل سيكون في انتظاري شيء لأفعله على أي حال؟ ثمة قاعة زفاف قد حجزتها. كنّا نخطّط للزواج. ماذا يجب أن نفعل حتى يتوافق ميعاد وصولنا؟

توجّهتُ نحو الميناء الفضائي. عندما اخترقت المجال الجوي، وهبطت، أمكنني رؤية سطح اليابسة. خطر ببالي أن أغادر مجددًا دون الهبوط، لكنني تخيلتُ الكثير من السيناريوهات المروعة ففكّرت أنه سيكون من الأفضل أن أشاهد ما حدث حقًا.

كان الوقت نهارًا، لكنه لم يكن مختلفًا عن منتصف الليل. كان الميناء مدفونًا تحت الثلج، وكانت عاصفة جليدية تحوم في الأفق مثل عاصفة رملية بيضاء؛ لذا لم أستطع أن أتبيّن شيئًا. تشكّل الجليد على طول الساحل؛ لذلك كان من المستحيل التعرف على التضاريس القديمة. خوفًا من تجمّد مُحرك سفينتي من شدة البرد؛ فكّرتُ في الإقلاع ثانية.

ثم توقّفتُ.

لمحت آثار هبوط سفينة. ذابت بقعة ضخمة من الثلج على شكل سفينة، أقلّ ذوبانًا وأكثر كثافة من الثلج حولها، واتخذت شكل يشبه وعاء ضخمًا مضغوطًا في الجليد. كانت الرياح العاتية والثلج

المتشكّل حديثًا يغطيانها بسرعة. لا بُدَّ أنها موجودة هنا منذ وقت ليس ببعيد. أسابيع قليلة على الأكثر، ربما بضعة أيام، أو قبل قليل فحسب.

ركضتُ تجاهها، وقدماي تغوصان بعمق في الجليد مع كل خطوة، ونبشت بيدي داخل الحفرة. كأنني لو حفرت بعمقٍ كافٍ سأجد السفينة. أثناء الحفر رأيت المزيد من الآثار. بدا الأمر وكأن السفينة نفسها قد هبطت في وقت سابق. وهبطت مرات أخرى كثيرة قبل ذلك.

شققْتُ طريقي عبر الثلج مثل رجل مجنون يحاول الوصول إلى مكان معين. غاصت قدماي، وحاصرني الثلوج، وسقطت أرضًا. صرخت باسمك بكل ما أوتيت من قوة، لكنَّ العاصفة الثلجية الهادرة ابتلعت صوتي. وراء الضباب المعتم، اصطفت ناطحات سحاب مثل حشد من الأشباح.

لا ضمانه أنها كانت سفينتك. لكن لا ضمانه في المقابل أنها لم تكن. كنت قد هرولت إلى داخل سفينتي لأكتب هذه الرسالة. سأشُدُّ الرحال إلى الميناء الفضائي هذه المرة بعد عشر سنوات من الآن. لو أنكِ نظرتِ إلى مكان وزمان هذه الرسالة، ستكونين قادرة على تحديد التوقيت. إن استلمتِ هذه الرسالة، فأرجوكِ، تعالي إلى الميناء. سأكون في انتظاركِ.

رسالته الـ 10

7 سنوات وشهران من بداية الرحلة بعد (كما أظن حوالي) 84 سنة بتوقيت الأرض

لم تأتي.

صادفت في المقابل سفينة نسيت أمرها تمامًا. يبدو أنهم أتوا بعد تلقي رسائلي. تعرفين، أول سفينة استقلتها؟ تلك التي قلت أنها كانت أشبه بمدينة صغيرة. السفينة المزودة بمقاهٍ وسوقٍ للسُّلع المستعملة. استطعت التعرف عليها، لكنها كانت مختلفة بشكلٍ ما. غطَّت عوامل الزمن السفينة بقشرة غريبة مثل الطحالب أو العفن. كانت مصفّرةً ومتعفّنةً وتَبِنَة الرائحة قياسًا بما كانت عليه عندما استقلتها. عندما شاهدت أناسًا على متنها، تذكّرت ما قاله أصدقائي لي قبل رحلتي الأولى. "تعرف، الأشخاص الذين يسافرون ما بين النجوم يصبحون إمّا مسترخيين حقًا أو مجانيين حقًا. أعتقد أن أولئك الناس يأتون تحت تصنيف "مجانين". لا يعني ذلك أنني أفضل حالًا.

حتى قبل أن أخرج من مركبتي، كان الناس غاضبين بالفعل. أعتقد أنه لا يمكن لأحد أن يتخيّل قدرة إنسان على قيادة مثل هذه المركبة الصغيرة بمفرده طيلة الطريق حتى هنا. لا أقصد بـ"هنا" هذا المكان، ولكن هذا الزمان. أنا متأكّد من أنهم جميعًا كانوا مقتنعين بأنهم

سيقابلون سفينة أشبه بـ"مجمع تجاري ضخم" زاخرة بالشعرية الجاهزة للتسخين، واللحم المجمّد، وغيرها من الإمدادات.

جرّني الناس خارج مركبتي، وقلبوا محتوياتها رأسًا على عقب. اقتلعوا أجزائها، وانتزعوا الأسلاك، وفحصوا مؤشرات الأجهزة، والأدراج، وكل شيء، ثم قذفوا بكل شيء في الثلج. عندما حاولت منعهم، ضربوني في كل مرة حاولت فيها منعهم، تعرّضتُ للضرب. في النهاية توقفتُ في مكاني فحسب. لكن هذا لا يعني أنهم كفّوا عن ضربي. بمجرد أن فحصوا كل شيء وقلبوا السفينة من الداخل إلى الخارج، بدا أن غضبهم قد تضاءل. فاحت من المركبة بأكملها رائحة البول، ولم يجدوا أي شيء صالح للأكل.

ربما توقّعوا في أسوأ السيناريوهات التي تخيّلوها، سفينة حربية ضخمة، وكانوا مستعدّين لقتال من فيها، لكن الشيء الوحيد الذي كان عليهم التغلب عليه الآن هو أنا فحسب؛ لذلك بدا أنهم يشتعلون غضبًا. كنت على يقين من أنني سأموت، لكن ربما اعتقدوا أن قتلي لا فائدة منه. إن متُّ، لن يتمكنوا من مواصلة ضربي. ولن يكون من الممتع ضربي بمجرد أن يغمى عليّ ولا أستجيب؛ لذلك تركوني وشأني.

حبسوني في زنزانة داخل السفينة الكبيرة، حيث قابلت القبطان مرة أخرى. أتعلمين، ذلك الرجل الذي قلت لك إنه بدا وكأنه يعيش في العصر الخطأ. يبدو كما لو أنه وجد زمانه المثالي. بدا الآن وكأنه أسدٌ عجوز نجا في وسط غابات السافانا. كان رشيّقًا ونحيلًا وواثق النفس بدرجة جعلتني أشعر بالذهول. وشت عيناه أنه ترك مسألة نجاته حتى يقرّها شيء مثل العناية الإلهية.

يبدو أنه قرأ كل رسائلي. أطلع على كل رسالة منها، في حين أقف هناك. خفق جسدي بقوة لدرجة أنني لم أستطع التحرك. فيما يقرأ، كان يكتّم ضحكته. أوضح أنه بسبب عدم تمكّنه من مشاهدة أي

مسلسلات تلفزيونية هذه الأيام، كان الاستماع إلى رسائلي مصدرَ سرور نادر له. طلب مني حتى أن أكتب المزيد من الرسائل. ارتجفت، وقد داهمتني فكرة غامرة بأن عليّ أن أسحق ابن العاهرة ذاك مرة واحدة وإلى الأبد. في رأسي، رحمت أخلق سطوراً من كتاب مصوّر هزلي على غرار: "لقد عرّى أعرق نقاط ضعفي وسبّب لي الإهانة. يجب أن أدمّره". أنت تعرفين هذه النوعية من الأشياء. سألتني كيف استطعت الصمود حتى هذه اللحظة بمفردي، وعندما لم أجه، بدأ يخنقني. ثم أرخى قبضته وكأنه شعر بالرضا أن حياة وموت إنسان في يده. كان تعبير وجهه لا يُطاق.

عندما سألته لماذا لم يذهبوا إلى نظام نجميٍّ آخر في حين كانت بحوزتهم مثل هذه السفينة الكبيرة، أخبرني أنهم ذاهبون إلى الوطن-كوريا. عندما أجبته أن الوطن لم يُعد موجودًا، قال إن ذلك لا يهم؛ ما زالوا سيعودون. إن كل شخص آخر على متن السفينة، أراد الرجوع إلى دياره. لكنني كنت أعلم أنه من المستحيل أن يقدر أي شخص يتحكّم في المصير النهائي للآخرين؛ قرار حياتهم وموتهم بين يديه، أن يعرف حقًا ما يريدونه.

سمح لي بالخروج من الزنزانة لألقي نظرة في أرجاء السفينة. أنا متأكّد من أن السماح لي بالذهاب منحه القدر نفسه من المتعة التي كان سيحصل عليها من قتلي إذ مارس سلطته عليّ. بقيتُ على متن السفينة معتقدًا أنه بمجرد أن تلتئم جراحي سيتعيّن عليّ المغادرة مرة أخرى. عندما ذهبت إلى الطيبة المتواجدة على متن السفينة، وطلبت منها تضميد جراحي، تراءى لها الأمر سخيفًا، لكنها تساعدني على أي حال. كنت أعلم أنها ستساعدني لأنّ مَنْ كانوا على متن السفينة لم يضربوني لأنهم تصوروا أن بوسعهم جني أي شيء من ذلك. ضربوني فقط حتى يمارسوا سلطتهم عليّ. لو كنت على متن تلك السفينة أيضًا، فمَنْ يدري ما كنت لأقترفه في حقّ مسافر وحيد.

فكّرت كيف كان عدم حضوركِ للقاءٍ ضربًا من الحظ.

وداهمتني فجأة حقيقة أنني الآن لن أتمكن من مقابلتك مطلقًا.

أدركت أنه لو كان بوسعك أن تصلي إلى هذا الحد، فلا بُدَّ أنكِ في سفينة كبيرة حقًا. وأنه لو كنتِ على متن سفينة كبيرة، فلن تتمكني من إجبارها على الذهاب أُنّى تشائين. مركبة بهذا الحجم لن تغيّر مسارها لمجرد السماح لكِ بمقابلة رجل واحد، لا سيما شخص في مثل هذه الحالة الشائنة وكأنه شحاذ.

لا يمكنكِ المجيء لمقابلتي.

نحن أشبه بإنسائين يدعوون من أجل أن يصادف كلُّ منّا الآخر في حين نندفع في اللحظة ذاتها على امتداد نهر واسع بلا حدود يتدفق في اتجاه واحد. لا نهاية للنهر، ولا توجد طريقة للسفر ضد التيار.

قال أحد العلماء الذين عاشوا في القرن العشرين ذات مرة إن وجود كائنات فضائية أمرٌ أكيد، ولكن لا يمكننا مقابلتهم. لا تكمن المشكلة في عدم القدرة على عبور الفضاء، بل لأن الوقت الذي يستغرقه السفر يحجب المسافة بين نجم وآخر. الطريقة التي شرح بها الأمر كانت مُضحكة. أنه رغم أن الأرض موجودة منذ 4.5 مليار سنة، إلا أن البشرية وُلِدَت فقط قبل مليوني سنة، ومرّت عشرون ألف عام فقط منذ أن بدأنا الجلوس في الأرجاء لتناول وجبات الطعام وإجراء محادثات مفيدة؛ لذلك حتى يتكبّد فضائي عناء القدوم ولقائنا من أجل احتساء فنجان من الشاي، سيتعين عليه السفر لمسافة طويلة والوصول إلى نقطة اللقاء خلال إطار زمني قصير جدًا.

في حين تناوب رُكّاب السفينة الضخمة على الذهاب إلى الشاطئ والعودة من هناك في طابور كالبطاريق، ملقين بشباكهم في المياه ومحضرين ما اصطادوه، رجعت إلى مركبتي التي كانت في حالة مُزريّة. جمعت كل شيء ألقوه في الأرجاء، وبدأت في تركيبه معًا. لحسن الحظ،

أشرفت الشمس، وإلا لكانت كومة الأشياء قد تجمّدت في مكانها،
وتحوّلت إلى حفريات.

بينما يمضي الوقت، بات لديّ جمهور. أحضروا حتى الأجزاء التي
لم أمتلك ما يكفي منها. عندما احتجت إلى مُكوّن، ذكرت اسم المادة
اللازمة. أحضروا حتى ألعاب الأطفال وانتزعوا الأزرار من الملابس حتى
أستعملها. من بين أولئك الأشخاص، كان هناك بعض مَنْ أوسعوني
ضربًا سابقًا حتى فقدتُ وعيي. لم نتبادل أيّ كلمة. مَنْ يعرف، لو
تبدّلت الأدوار، ربما كنت لأنضم إليهم في الضرب. ربما كنت لأشترك
بكل ما أوتيت من قوة، محاولاً أن أترك انطباعًا جيدًا.

عندما ملؤوا مخزن طعامهم، صعدت على متن مركبتي أيضًا.

عندما أغلقت كوة المركبة، اعتقدت أنني سمعتكِ تقولين لي: "يجب
أن تذهب معهم. ستكون قادرًا على العيش مدّة أطول قليلًا". شعرت
أنك تمسكين بيدي لحظة إغلاقها الكوة. "لا يهّمُ إلى أي مدى ستمضي
قدمًا، لا يمكننا أن نلتقي. يجب أن تفعل ما بوسعك للبقاء على قيد
الحياة".

رددتُ بحدّةٍ على صوتك بأن القبطان قد اعترض رسائلي كلها.
لهذا السبب كان ذهابي معهم مستحيلًا.

رسالته الـ 11

8 سنوات و8 شهور من بداية الرحلة بعد 145 سنة (تقريبًا) بتوقيت الأرض

عندما رجعت، كانت الأرض متجمّدة تمامًا ما عدا منطقة محدودة حول خط الاستواء. انقشعت الغيوم، لكن اكتشفت أن غطاء من السحب السحب ورائها.

سمعت ذات مرة أن الأرض في الواقع تكاد تكون كوكبًا جليديًا. أن البشرية تشبه إلى حدّ كبير نباتات بعمر افتراضي لا يتجاوز يومًا واحدًا، تزدهر خلال صيف قصير جدًا. وسمعت أن فصل شتاء طويل نسبيًا يمكنه أن يكون سببًا في قدوم عصر جليدي. إن تساقطت ثلوج أكثر قليلًا من العام السابق، وزادت مساحة الرقعة الصقيعية قليلًا، فسيخفض الثلج المتزايد قليلًا درجة حرارة الأرض جزئيًا، ثم في العام التالي ستساقط ثلوج أكثر قليلًا من العام السابق في دورة متكررة لا تنتهي.

تلك الغيوم المظلمة بمقدورها حجب أشعة الشمس مدة عام. وذلك يكفي لإحداث عصر جليدي.

سيتراجع الخط الساحلي وتتشكل الأنهار الجليدية. خريطة الأرض التي عرفناها ذات يوم ستتغير ملامحها بالكامل. ستتغير تيارات المد

والجزر وستلتهم التيارات المتغيرة اليابسة بطرائق مختلفة. ستدفع
الأنهار الجليدية الجديدة اليابسة وتغيّر التضاريس بحيث تتحوّل
جغرافيا الأرض إلى الأبد، وبشكل لا رجعة فيه. الزحف البطيء للأنهار
الجليدية من شأنه أن يسحق كل آثار الحياة البشرية بكتلتها الثلجية
التي تزن مئات الملايين من الأطنان. البقايا المثيرة للشفقة التي قد
تنجح في الصمود بين الأعشاب والأعواد المائية ستتحول جميعها إلى
غبار.

أبطأت من سرعتي بما يكفي فقط لأتأكد من على مبعده أن ذلك
ما حدث فعلياً، ثم زدت من سرعتي مرة أخرى. فكرت، ربما سأرجع
عندما تكون حرارة الأرض قد ارتفعت قليلاً.
لن يستغرق الأمر وقتاً طويلاً على أي حال.

رسالته الـ 12

9 سنوات وشهرين في الرحلة بعد 170 سنة (تقريبًا) بتوقيت الأرض

أنا في انتظارك.

حتى لو لم يكن بوسعي العثور عليك في أي مكان. حتى لو كنت قد استقررت قبل سنوات طويلة على سطح نجم قصي، وقابلت رجلًا طيبًا، وأنجبت منه عشرة أطفال، وعشت أيامك محاطة بعائلة حنونة. أو ربما كنت تسافرين عبر مسار ضوئي بعيد في انتظار تعافي الأرض. حتى لو، بطريقة أو بأخرى، كنت تخرجين للتو من سفينة في نظام نجمي بعيد، وتذكرينني مثل ذكرى قديمة من أيام شبابك. "آه، أجل، تعرّفتُ على رجل يشبه هذا ذات مرة. لكن لا بُدَّ أنه مات منذ زمن طويل، في خط زمني آخر".

تتطلب النجاة يومًا آخر عمل يوم كامل. لو رفضتُ يدي عن الأمر، حتى ولو لبضع ساعات، يتمدد الزمن إلى ما لا نهاية. يساورني هذا الهاجس: في اللحظة التي أفقد فيها السيطرة على الزمن المتمدّد إلى ما لا نهاية، ستكون تلك نهايتي.

ضبطت المنبه بحيث يرن على فترات منتظمة. بغضّ النظر عن الساعة في الخارج، أنام في التوقيت نفسه، وأستيقظ في التوقيت نفسه. أتمرّن في الساعة ذاتها كل يوم، وأتناول القدر ذاته من الطعام في

مواقيت ثابتة أيضًا. في نهاية المطاف، لا أحد هنا ليعالج جسمي لو انهار. لا تزال المركبة تُصدر صريرًا من مكان ما. أنا متأكد من أن الرطوبة التي تسببت فيها عندما كنتُ أتبول في كل مكان لا تزال تُسبب مشاكل في هيكل السفينة. لو شرعت في محاولة إصلاح عطل ما، يضيع يوم بأكمله. أدرس كتيب تعليمات عمل السفينة يوميًا. في النهاية، لن يقرأه أحد نيابة عني.

بدأت أزرع النباتات في المركبة. ببذرة واحدة، تستطيع أن تحصل على مئات البذور خلال شهور قليلة. أحتاج إلى الأوكسجين الطبيعي الذي تنتجه. في البداية مات معظمها، لكن يبدو الآن أنها جميعًا قد تأقلمت إلى حدٍ كبير مع الظروف داخل السفينة. وهو ما يعني أنني مؤخرًا صرت قادرًا على تناول شيء بجانب الطعام الذي تنتجه آلة صنع الطعام من التراب.

ذات يوم، استيقظتُ شاعرًا أنني لا أستطيع التنفس. فكرت: يجب أن أفتح نافذة. كان عليّ أن أفتح نافذة وأسمح بدخول بعض الهواء. خيم الليل بالخارج. لا بُدَّ أنني قد نمت حتى ساعة متأخرة حقًا. ثم أدركت: أوه، اللعنة، اليوم يوم الزفاف. أمامي الكثير من الأمور لأستعدَّ لها. ذهبت حتى أفتح النافذة. لم تنفتح. أي نافذة خرقاء لا تمتلك مقبضًا؟! وهكذا أخرجت مفتاح الربط الذي كنت أحتفظ به في جيبي. فكَّرتُ: سيتعيَّن عليّ أن أهشم النافذة لأفتحها. كنت متأكدًا من أنني سأموت لو اضطررت إلى احتمال دقيقة أخرى والنافذة اللعينة مغلقة. كم مضى على آخر مرة هُوِيَت فيها السفينة؟ فاحت من المكان رائحة عرق وبول قذرة. كنت على وشك أن أهشم النافذة عندما أمسكت يدي بالأخرى التي كانت تلوح بمفتاح الربط. ظللت محنيَّ الظهر مُدَّةً، متشبَّثًا بتلك اليد المرتعشة حتى جمعت شتات نفسي. سمعتكِ تقولين: "أنا هنا. أنا في انتظارك".

ما كنت لأقدر على استعادة سيطرتي لو لم تراودني تلك الخاطرة.
لذا فقد أنقذت حياتي. مهما كان عمرك الآن، وسواء كنت ميتة
بالفعل أو لا تزالين حية في مكان ما، تسافرين عبر مجموعات لا نهائية
من النجوم.

رسالته الـ 13

9 سنوات 7 شهور من بداية الرحلة بعد (ربما) 223 سنة بتوقيت الأرض

عندما كنت نائمًا، بدأت المركبة تهتز. بدا الأمر وكأنه ليس قاصرًا على سفينتي، بل وكأنها النظام الشمسي بأكمله يرتجُّ بشدة. نظرت من النافذة ورأيت نيزكًا ضخماً يصطدم بالأرض. لا بُدَّ أنه كان يندفع بسرعة مخيفة، لكن بسبب ضخامته بدا وكأنه يسير ببطء. حتى من هذه المسافة البعيدة، كان بإمكانني رؤية المحيطات تفور من جراء قوة التصادم. انتشر الماء الذي انفجر، وفاض فوق المناطق المحيطة به، وفي لحظة، غلى وشكّل ريحًا حمراء ساخنة اجتاحت اليابسة. لكن الأرض بدت صغيرة جدًا لدرجة أنني لم أشعر بأي شيء.

عندما كان ذلك الكوكب مليئًا بالبشر، كان بإمكانهم فعل شيء حيال ذلك.

بينما كنت أحدق فيها مباشرة، أصبحت الأرض كرة من اللهب. بهذا المعدل، كان الغلاف الجوي بأكمله سيحترق. وستتبخر المحيطات كلها. لن يبقى شيء على قيد الحياة...
ثم استيقظت.

ولكن حالما استيقظت، لم أستطع معرفة أين بدأ الحلم، وأين انتهى. عندما كان يراودني حلم يبدو حقيقياً جداً، أفكر في أي جانب كان الحلم غير قابل للتصديق تماماً، وبعد ذلك أفكر، آه، هذا صحيح، يجب أن يكون الجانب غير المعقول هو الحلم، لكن في هذه الأيام لا يمكنني التمييز بين الحقيقة والحلم.

كانت الموسيقى تتدفق من الخاتم الذي تركته فوق المنضدة. فكرت: الخاتم يغني. لا بُدَّ أن ذلك حلم. عندما نظرت حولي، كان العرسان المنتظرون الذين سعدوا على متن السفينة نفسها يشخرون، وكلهم متكدِّسون جنباً إلى جنب فوق الأرضية. تدلَّت أزهار وشرائط من الجدران، ولافتات مكتوب عليها كلمات "على وشك الزواج" معلَّقة هنا وهناك.

خرجت من الغرفة لألقي نظرة داخل سفينة الركاب الأشبه بمدينة صغيرة. كان الناس يتجولون وهم مهندمون وكأنهم ذاهبون في نزهة صيفية. بدوا جميعاً متحمسين وسعداء. فكرت: آها! إنه مجرد حلم. حمداً للرب أنه مجرد حلم. على السقف العالي للسفينة، بجانب وجه القبطان الذي ينظر إلينا، علَّقت لافتة نيون متوهجة كُتِب عليها "نحن عائدون إلى الوطن". لذلك بالطبع فكرت، انتظر لحظة، هذا مستحيل.

وجدتكِ تجلسين ضمن زمرة من الناس، تبدين تماماً كما كنتِ عندما رحلتِ. لا، بل تماماً كما بدوتِ عندما التقينا أول مرة. تماماً كما لطَّختُ دوماً قصد ملابسكِ التي اشتريتها حديثاً بالآيس كريم أثناء عملي في وظيفتي ذات الدوام الجزئي.

أنا الذي انفجرت في البكاء بعد ذلك، خائفاً من أنني سأضطرُّ إلى التخلي عن راتبي بالكامل كتعويض. وأنتِ التي أخذتني إلى الحمام،

قائلة: "لا تقلق، يمكننا إخفاء الحادث برؤيته عن مديرِكَ". عملنا معًا للتخلص من بقعة الشوكولاتة التي بدت وكأنها لن تنمحي أبدًا.
"يا إلهي! انظروا إلى ذلك الرجل هناك."

اكتست وجوه الأشخاص الذين كانوا يجلسون معك بالصدمة عندما رأوني. "العريس يبدو أكبر بكثير. أوه، ماذا يمكنها أن تفعل الآن! الأمر مُحرج".

لا تعرفين كيف تتصرفين، فتنكِّسين رأسك.. تهمس في أذنيك المرأة التي كانت تبحث عن مرطب، الآن توجد ضمادات ملطخة بالدماء، ملفوفة حول بطنها: "ذلك الشاب الذي وقعت في غرامه قد رحل الآن. حتى لو قابلته، فهو ليس الشخص ذاته. الزمن شيء وحشي، كما تعلمين".

شقت طريقي بين الناس، وأمسكت بيدك وشَدَدتِك حتى تنهضي. "عليك أن تخرجي من هنا. وتبتعدي عن هؤلاء المهرجّجين. هؤلاء الناس عالقون في الماضي. لم يكبروا ولم يشيخوا يومًا واحدًا".

لقد كبرت. كل يوم أشيخ يومًا. كل شهر، أشيخ شهرًا. كل عام أشيخ عامًا. عشت والزمن يتراكم داخل جسدي. وهذا يعني أنني مناسب لكِ تمامًا. أصبحت شخصًا أكثر ملاءمة لكِ ممّا كنت عليه قبل عشر سنوات. أصبحت شخصًا جيدًا أكثر مقارنة بما كنت عليه قبل مئات السنين. غدًا سأصبح شخصًا أكثر ملاءمة لكِ مقارنة باليوم. في العام المقبل، سأصبح أكثر ملاءمة من ذلك بكثير.

عندما فتحت عيني، كنت داخل مركبتي. كنت طافيًا مع كل شيء آخر موجود هناك. فقط الخاتم الذي يعزف أغنية كان التفصيل الوحيد المشابه للحلم.

أغمضت عيني وفتحتهما مرة أخرى. عندما فتحت عيني، كنت هنا معي. كنتٍ مستلقية فوقي. حسنًا، اعتمادًا على الطريقة التي تنظرين بها إلى الأمر، يمكنك القول إنني أنا الذي كنت مستلقياً فوقك.

تحدّثتِ معي. "دعنا نحظى بطفل هنا والآن".

ضحكت: "هنا؟!".

همست في أذني: "في هذا العالم الذي يتدفّق بسرعة الضوء. في عالمٍ حيث الزمن لا يمر. لن يعتقد الطفل أنه أمر غريب على الإطلاق. تيار الزمن هذا سيكون دارنا. سيكون ذلك كل ما يتعيّن عليه معرفته. على النقيض، سيعتقد أن المسارات الزمنية الأخرى التي تتدفّق ببطء غير طبيعية. لن يخاف أو يشعر بعدم الانتماء إلى المكان مثلنا في كل مرة يصل فيها إلى مسار زمني جديد. تمامًا مثلما لم تجد أنت غرابة عندما انتقلت من عمر العشرين إلى الحادية والعشرين. سيعتقد أن العيش ألف أو ألفي سنةٍ طبيعي تمامًا. لن يحزن بشأن الزمن الفائت. لن يبكي من مشاهدة الأشياء تختفي. سيعتقد أن ذلك طبيعي وحتمي. لن يضطرّ ابننا إلى تلمّس طريقه كالتائهين مثلما نفعل. لن يتجول في الأنحاء مُقيّدًا بمفاهيم الجاذبية. سيحلّق إلى حدود لا متناهية. ستُتاح له الفرصة لرؤية ما عجزنا نحن عن رؤيته".

أجل، سيكون ذلك مذهلاً.

لو أننا فقط نستطيع اللقاء.

رسالته الـ 14

10 سنوات وشهران من بداية الرحلة لا توجد أدنى معرفة بتوقيت الأرض

كنت بالخارج أحاول إصلاح جناح السفينة عندما انطلق جهاز الإنذار. كان ذلك يعني أن الرياح الشمسية تقترب. حتى بعد سماعي للإنذار، كنت أتطلع إلى الفضاء بالخارج وأنظر إلى مجموعة نجمية تتهاطل.

قلت لجهاز الإنذار: "حسنًا، حسنًا". لم أكن أنوي الموت. علمت أن لديّ خمس دقائق كاملة، ويمكنني بسهولة الاحتماء خلال ذلك الوقت. لا، لست متأكدًا. كنت أهدق في النجوم فحسب. فكّرت في عددٍ لا يُحصَى من الحياة المتوهّجة هناك على الجانب البعيد من الزمن.

رجعت إلى السفينة بعد أربع دقائق. دخلت كبسولة الملجأ في غضون دقيقة واحدة، وغلبني النعاس من فوري. لا أعرف ماذا حدث بعد ذلك، لكن عندما حاولت الخروج، كان الباب مقفلاً.

لم أبك. فكّرت فحسب: سيكون من الغباء أن أموت عالقًا هنا. تذكّرت كل المرات السابقة التي كان من الممكن أن أموت فيها، فكّرت أنني كنت سأكون أفضل حالًا لو كنت قد مت حينها. لكنني لا

أعتقد أن الموت كان سيكون سهلاً مهما كانت الطريقة التي يحدث بها. ثم نمت مرة أخرى.

بمجرد أن استغرقت في النوم، كنت أمامي. عندما رجبت بكِ بـ"أنتِ هنا!"، بدأت فجأة تحكين لي ما حدث. قلت: "ذهبت إلى الكنيسة في اليوم الذي اتفقنا عليه. أين كنت؟ بحق الجحيم ما الذي كنت تفعله طوال هذا الوقت؟ لم يُهن أي رجل عروسه بهذه الطريقة من قبل أبداً".

استعملت كل طاقتي في محاولة مواساتكِ.

عندما استعدتُ رشدي حقاً، ساعدكِ ذلك على أن تصبحي هادئة أيضاً.

قلت: "ثبتت حقيبة أدواتكِ إلى ساقكِ، تتذكر؟ ثبتتها بشريط لاصق".

"أوه، نعم. لا أفكر على نحوٍ صحيح حقاً".

عندما مددت يدي إلى أسفل، قلت: "لا تُسقطها. لن تتمكن من العثور عليها مرة أخرى هنا".

باستخدام مفك البراغي، عثرت على الفجوة الموجودة في الباب، ووجدت المزلاج الذي سقط في مكانه على الجانب الآخر.

تماماً مثلما حاولت أنا وأنت تنظيف بقعة آيس كريم الشوكولاتة عن ثيابكِ، تلامس رأسانا وتعرقنا بغزارة في أثناء عملي على فتح الباب.

قلت: "المزلاج عالق حقاً. ماذا لو انكسر مفك البراغي أولاً؟".

أجبتكِ: "هذا ممكن. لكنني أريد أن أفكر في ذلك بعد حدوثه. لو اعترانا القلق بشأن ذلك مقدماً، فسنفكر بلا داع في الأمر مرتين".

كان ذلك عندما أدركت أنني كنت أكرّر بالضبط ما قلته أنت في ذلك اليوم كلمة بكلمة. تذكّرتُ أيضًا كيف حدقتُ بك ببلاهة عندما قلتُ ذلك. وكيف، في تلك اللحظة بالذات، وقعتُ في غرامك.

قلتُ: "ذلك مضحك".

سألتني: "ما هو المضحك؟".

"رغم أننا مفترقان بتلك الطريقة، فإنني أعِدو شبهك أكثر فأكثر".

أجبتني وأنت تحدّقين إلى المزلاج عبر الفجوة في الباب: "لسنا مفترقين. نعيش في التيار الزمني نفسه حتى لو لم نكن معًا، فنحن نعيش في الزمن نفسه. نشيخ معًا، نكبر في العمر معًا".

أطلقتُ ضحكة خاوية.

"تمامًا مثلما كنا نعيش في سفينة الفضاء التي نسميها الأرض. في سفينة الفضاء الهائلة تلك، ومع تدافُع المجرات من حولنا، نأكل وننام ونشيخ".

تمتت: "ليس صحيحًا".

"كنا نساfer معًا حتى قبل أن نلتقي. الأمر فقط أن السفينة كانت ضخمةً إلى حدّ ما".

صرخت: "هذا ليس صحيحًا! أنت لستِ هنا. حتى لو كنتِ هنا، فلم يكن لديكِ نيّة لمقابلتي. لو لم يكن الأمر كذلك، لكنكِ تركتِ من أجلي إشارةً معيّنة، بطريقة أو بأخرى. لكّبتِ رقم هاتف أو شيئًا فوق كومة من الحجارة في مكان ما في الميناء الفضائي حتى أتمكّن من رؤيته من السماء. أو حاولت الوصول إلى إحدى القنوات الإذاعية، وقدّمتِ التماسًا عن شخص مفقود...".

بدا الأمر كما لو كنتِ قد قرّرتِ إطباق فمك، ثم أخذتِ تختفين من أمام عيني. عندئذ انفتح المزلاج.

خرجت من الكبسولة، غارقًا في العرق.

خطر ببالي أنه من الآن فصاعدًا، لن أتمكن من رؤيتك مرة أخرى أبدًا، ولا حتى في مخيلتي. بمجرد أن فكّرتُ في ذلك، بدأت أفقد أي إرادة بداخلي لمواصلة العيش. حاولت أن أحارب هذا الشعور وأن أنكره. كان الأمل في مقابلتك هو كل ما جعلني أستمر.

انتهى.

أنا فقط عرفت ذلك.

قُضي الأمر.

عرفت ذلك فحسب. انتهيتُ.

فكّرتُ في العودة إلى الديار.

لم أعتقد أنني سأتمكن من العيش لمدة أطول. كنت وحيدًا بشدة، ووحدي في كل هذا بصورة مُوحِشة. سأصبح خرابًا مثل منزلك الريفي. حتى أنني فكرت، "فلتُنهِ الأمر الآن". لكن بعد ذلك فكّرتُ، إن كنتُ سأُنهي كل شيء، فالأجدى أن أرجع إلى الوطن، وأقوم بذلك هناك.

عندما خطرت لي هذه الفكرة، تجسّدت في ذهني صورة مكان معيّن. يبدو أنه سيكون مناسبًا كمثوى أخير.

رسالته الـ 15

لم يتبقَّ شيء يُمكنك تسميته ميناء فضائي. وصلت إلى هناك من خلال حساب خطوط الطول والعرض. امتدَّت غابة خضراء كثيفة من أشجار التُّوب على طول الساحل. كانت هذه المرة الأولى التي أرى فيها مثل هذه الغابة الواسعة والجميلة.

حتى لو حاولتِ المجيء، لا أعتقد أنكِ ستتمكَّنين من العثور على الميناء الآن. حتى هذه اللحظة، لا تزال تخالجنى أفكار من هذا القبيل.

في النهاية قمت بهبوط اضطراري. تغيَّر وضع الأرض كثيرًا. كان الساحل في موقع غريب، ومستوى اليابسة مرتفعًا جدًا. أدت الدقَّة نحو البحر لتخفيف تأثير الهبوط، لكن مستوى سطح البحر كان أخفض بكثير ممَّا كنت أتوقع. لو لم أهرع إلى كبسولة الملجأ، لانسحق جسدي مع السفينة. ولو لم تتحطَّم آلية القفل في الكبسولة في الخريف، لبتُّ محاصرًا بداخلها مرة أخرى، ومثُّ.

صعدت إلى الشاطئ، وواصل جسمي الارتعاش مدة طويلة، ثم أفرغت من جوفي كميات كبيرة من مياه البحر كنتُ قد ابتلعتها. شاهدت سفينتي تغرق تحت الماء.

فكَّرتُ: كل شيء على ما يرام.

نعم، كل شيء على ما يرام. لقد وصلت إلى هذا الحد. هذا أكثر من كافي.

عَلِقَ الرَّمْلُ بِحِذَائِي الْمَبْلَلِ؛ مِمَّا صَعَّبَ عَلَيَّ الْمَشْيَ. انْتزَعْتَ حِذَائِي، وَبَدَأْتَ السَّيْرَ حَافِي الْقَدَمَيْنِ. انْتَشَرَ ضَبَابٌ أبيضٌ حَوْلَ أَرْضِيَةِ الْغَابَةِ، وَاخْتَرَقَتْ أَشْعَةُ الشَّمْسِ الضَّبَابَ، قَوِيَةً وَسَاطِعَةً. قَطَرَاتٌ مِنَ النَّدَى تَشَكَّلَتْ عَلَى صُورَةِ حَبَّاتٍ خَرَزَتْ عِنْدَ أَطْرَافِ أَصَابِعِي. مِنْ بَيْنِ الْأَغْصَانِ، طَارَ سَرَبٌ مِنَ الطَّيُورِ الزَّرْقَاءِ مَعَ رِفْرِفَةٍ جَمَاعِيَّةٍ لِلْأَجْنَحَةِ. مَفْزُوعَةٌ مِنَ الصَّوْتِ، انْطَلَقَ قَطِيعٌ كَبِيرٌ مِنَ الْيَحْمُورِ، وَاثْبَةٌ عَبْرَ الْغَابَةِ. كَانَتْ جَمِيعُهَا نَشِيطَةً وَذَاتَ أَلْوَانٍ زَاهِيَةٍ وَمَفْعَمَةٌ بِالْحَيَاةِ. بَدَأَ الْأَمْرُ كَمَا لَوْ أَنَّهُ لَمْ يَزْعَجْهَا أَيُّ بَشَرٍ قَطُّ طَوَالَ حَيَاتِهَا وَكَأَنَّ لِسَانَ حَالِهَا "مَمَّنْ سَنَحْتَاجُ الْاِخْتِبَاءَ؟" كَانُوا جَمِيعًا بِالْوَانِ مُبْهِجَةً كَالْوَانِ الطَّاوُوسِ.

فِي رَأْسِي، اقْتَلَعْتُ. غَابَةُ التُّنُوبِ وَأَعَدَّتِ السَّهْلَ الْفَارِغَ الَّذِي كَانَ هُنَاكَ مِنْ قَبْلِ. هَذَا الْحَقْلُ مِنَ الْأَعْشَابِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَمُدَّ جَذْوَرَهُ عَمِيقًا فِي الْأَرْضِ لِأَنَّ الْأَسْفَلَ لَا يَزَالُ عَالِقًا تَحْتَهُ. السَّهْلُ الزَّاخِرُ بِزَهْوَرِ الْأَقْحَوَانِ الْعَمَلِقَةِ وَزَهْوَرِ الْكِشَاتِبِينَ. أَزَلْتُ ذَلِكَ أَيْضًا، وَفَكَّرْتُ فِي قَاعَةِ الْاِنتِظَارِ. انْتزَعْتَ الْكِرُومَاتِ الْمَتَشَابِكَةَ الَّتِي كَانَتْ تَلْتَوِي فَوْقَ الْجِدْرَانِ كُلِّهَا، وَرَفَعْتَ الشَّرْفَةَ الْمَتَسَاقِطَةَ إِلَى حَيْثُ كَانَتْ فِي السَّابِقِ. أَعَدَّتْ طَلَاءُ الْجِدْرَانِ؛ حَيْثُ تَشَقَّقُ الطَّلَاءُ بِالْكَامِلِ، وَمَسَحَتْ الْمِيَاهُ عَنِ الْأَرْضِ الَّتِي كَانَتْ عِبَارَةً عَنِ بَرَكَةِ ضَخْمَةٍ. وَأَعَدْتُ النَّاسَ. فَكَّرْتُ فِي أَنْاسٍ يِقْتَرِبُونَ وَيَتَحَدَّثُونَ بِصَخْبٍ. وَأَنْاسٍ يَنْتَظِرُونَ.

فَكَرْتُ فِي نَفْسِي وَأَنَا أَنْتَظِرُ.

اهْتَرَّتْ سَاقِي وَانْهَرْتُ أَرْضًا. بَعْدَ أَنْ مَكَّثْتُ مَتَكُومًا بِتِلْكَ الْكَيْفِيَّةِ مَدَّةً طَوِيلَةً، نَهَضْتُ وَسَرْتُ مَرَّةً أُخْرَى. عِنْدَمَا لَمْ أَسْتَطِعْ الْمَضِي أَكْثَرَ، كُنْتُ أَفْقَدُ الْوَعْيَ بِجَانِبِ جَذَعِ شَجَرَةٍ، وَأَنَامُ. مَعَ شُرُوقِ الشَّمْسِ،

أنام، وفي الليل أمشي. لأن القيام بذلك كان أفضل للحفاظ على حرارة جسدي.

في حين توغَّلتُ أكثر، بدأ حطام المدينة يظهر شيئًا فشيئًا. كانت المدينة كلها ملأى بالأعشاب المائية، ولكن لا تزال ثمة آثار لها باقية. مبنى تلو الآخر، بدأت أعيد نصب المباني المتهالكة والمتصدعة في مخيَّلتِي. رُكِّبتِ النوافذ حيث انفجرت وصقلتها وطلبتها مرة أخرى، وأشعلت الأنوار. شغلت المحركات في السيارات المهجورة على جانبي الطريق. ضبطت إشارات المرور المنحرفة في وضع مستقيم، وأعدت لصق الأرقام على ظهر حافلة، وشغَّلت كشافاتها الأمامية. فكَّرت في الناس وهم يخرجون من الحافلة في موقف الحافلات. فكَّرت في نفسي، أنتظر أمام الموقف.

رأيتك تنزِلين من الحافلة ووجهك مدفون في كتاب. رأيتك تحاولين التَّكهُنَّ بمكانك، بعد أن كنتِ منخرطة تمامًا في القراءة وتنظرين في الأرجاء ثم وقَّعتِ عيناكِ عليَّ. اقتربتِ وتعبير بالسرور يعلو وجهك. مررتُ بمنتهزه ترفيهي حيث وقف تمثال جالبٍ للحظ دون أي عيون في رأسه. تجمَّعت المياه في أرجوحة على شكل سفينة فايبكينج، وانسكبت براعم الأعشاب المائية على جانبي القارب المعلق. مشيت على طول قضبان القطار حيث نبتت الأزهار الحمراء. مررت عبر نفق قطار أنفاق مغمور بالمياه حتى نصفه. تبدَّى أمامي قطار أنفاق، تدفعه المياه، ومن داخله، شرع الركاب المغمورون تمامًا بالماء، بالخروج تتقاطر المياه الموحلة من ملابسهم.

تترجِّلين من القطار أيضًا، تائهة في أفكارك. قلقة من أنكِ ربما تكونين قد نزلتِ في المحطة الخطأ، تجولين بعينيك حولك حتى أتوجه إليك، في ملابسِي القديمة الملطخة بالزيت، وأرُبت على خدك.

الضيوف في سيارة مغطاة بالكرومات المزهرة. يترجّلون منها، وينفضون العشب وأوراق الشجر عن ملابسهم. يقطفون الأزهار، ويحملونها بدلاً من مظاريف نقود التهئة، ويدخلون المبنى المغطى بالطحالب واللبلاب وأزهار مجد الصباح.

أنتِ هناك، واقفة في المدخل. تثبين من ساق إلى أخرى، قائلة: "كيف لي أن أتحرك في هذا الفستان!". حاملاً تلاحظيني أقرب ضمن الضيوف، تلوّحين إليّ.

"أنت متأخر!".

أقول وأنا أنفض الرمل عن قدمي الحافيتين: "أجل، هذا صحيح. أعتقد أنني كنت متوتراً؛ فهذه المرة الأولى لي".

تجمّدتُ في مكاني.

الكنيسة التي ربّنا لعقد قراننا فيها كانت ماثلةً هناك أمام عينيّ. فوجئت بشدة؛ كل ما يمكنني فعله هو التحديق من حولي.

كانت الكنيسة المبنى الوحيد الذي لا يزال قائماً، بمفرده، في وسط مدينة خربة. وكأنه يقول إن كل تلك المئات من السنين لم تكن شيئاً؛ كأنه يضحك في وجه كل تلك الأعاصير والأمطار والثلوج والحروب، وكأنها لا تمتلك فرصة أمامه. كما لو أن ذلك المبنى قد اجتاز تياراً مختلفاً تماماً من الزمن. كان ربّاً ومتهالكاً، وانهار أحد أركان السقف، لكنه ظلّ ثابتاً.

صعدت السُّلم وضغطت على إطار الباب الذي كان مسوداً وقد طالته يد الزمن. كان عليّ لمسه لأنني اعتقدت أنني ربما ما زلت أتحيل. عندها فقط فُكّرت فيكِ وأنت تضربين إطار باب المنزل الريفى. فُكّرتُ في ما قلته.

المباني التي لا يكفُّ الناس عن دخولها والخروج منها تبقى قائمة.

منازل يفتح فيها أحدهم الأبواب ويغلقها، ويهوي المكان، ويفرش
الملاءات، ويستلقي للنوم ثم يستيقظ، ويشعل الموقد ويطبخ وجبة،
ويزيل الغبار وينشف الماء. تصمد.

عندها فقط تذكّرت رسالتك.

استمعت إليها مرارًا؛ ما لا يقلُّ عن خمسين مرة. كيف لم أفكر في
ذلك حتى الآن؟ ما الذي قلته في النهاية...

إن لم تكن هناك في الميناء...

سقط شيء يشبه بطاقة من أعلى الباب. يبدو أنها قديمة جدًّا
لدرجة أن حبال القماش التي استُخدمت لتعليقها قد قُطعت.
التقطتها. كانت عتيقة ومتعفّنة، لكن أمكنني تمييزها. كانت الإطارات
الجلدية التي أعطيتها لأصدقائي. بيدي المرتجفة، التقطت الصور
بالداخل. خلف الصورة الأولى التي التقطتها في ذلك اليوم، كانت
صورة أخرى بدت وكأنها التُقطت في الكنيسة في يوم كان من المفترض
أن يكون يوم زفافنا.

بدا الأمر كما لو أنهم استمرّوا في القدوم حتى بعد ذلك أيضًا. لا
تزال توجد المزيد من الصور التي التقطوها مع أحبّتهم، أو أطفالهم.
كانت توجد أيضًا صورة لرجل مُسنٍّ يرقد على سرير، ويرسم بأصابعه
علامة النصر في مواجهة الكاميرا. كان مكتوبًا على ظهرها: سأموت
قبلك أيها الرعيد.

تهمسين في أذني: "إن لم تكن هناك في الميناء، سأذهب إلى قاعة
الزفاف. حتى لو كنتُ بمفردي، يمكنني الذهاب وألعب لعبة التخيل".
السجادة المتعفّنة تصرُّ تحت قدمي العاريتين مثل الثلج المضغوط.
في كل مرة كنت أخطو فيها، يتصاعد منها غبار أبيض مثل دخان

البخور. كانت الكراسي صدئة ومتهاكّة، لكنها كانت متراصة في صفوف.

لَقَّت انتباهي طبقات وطبقات من قطع الورق الباهتة المعلقة على الحائط خلف المذبح. ربما كانت ذات يوم ورقًا ملوّنًا، لكنها كانت كلها رمادية الآن. هناك، بخط اليد، بالحبر، كُتِبَت أشياء متشابهة مرات كثيرة.

أنا في انتظارك... لقد مررت ثانية بالمكان... لا زلت هنا... لا تنسني... أنا في انتظارك.
تعثرت.

استعدت توازني، وواصلت المسير. تحوّلت الورقة إلى غبار بين أصابعي. يبدو أن كل قصاصة عُلِّقت في وقت مختلف. بعضها قبل مئات السنين وأخرى قبل عقود. بدا وكأن هناك فاصلًا زمنيًا بضع سنوات بين كل قصاصة ورق وأخرى.

مشيت بمحاذاة الجدار، وأمسكت بالستارة المعلقة هناك. انهارت دفعة واحدة. خلفها، كانت الأوراق والأشرطة الملتصقة على الحائط ممزّقة كما لو أن أحدهم قد قطعها في موجة غضب. علاوة على ذلك، رسم أحدهم بعبوة رشّ: ماذا تفعلون بحق الجحيم. لقد رحل. لا بُدَّ أنه مات منذ مليون سنة.

وقفت أمامها مدة طويلة. مزّقت الكلمات قلبي حتى صارت الدماء عاجزة عن المرور من خلاله. انهرت على الأرض وجلست هكذا مدّةً طويلة.

تمت أن ذلك كان للأفضل. في قرارة نفسي، قلت بالطبع شيئًا مختلفًا. لكن مع ذلك، كانت كلماتي أن ذلك كان للأفضل. كان من الأفضل أنك استسلمت.

مكثت هناك ما لا بُدَّ أنه كان ساعات، ثم، عندما كنت على وشك النهوض، رأيت قصاصة من الورق عالقة على الستارة المتساقطة. لفتت انتباهي لأنها كانت صفراء.

كانت صفراء فعلاً.

حقيقة بقاء اللون تعني أنه لم يبهت بسبب نفاذ ضوء الشمس عبر النوافذ. ربما علقت هذه الورقة قبل مدة وجيزة. تذكّرت الكتب على الرفِّ بجانب نافذة غرفتي عندما كنت صغيراً. تحوّلت الأغلفة تقريباً إلى اللون الأبيض قبل مرور بضع سنوات حتى.

انتزعت الورقة عن الستارة. لم يكن ذلك يسيراً. هذا يعني أن بقايا المادة اللاصقة لا تزال موجودة. هل يمكن أن تكون قد علقت هناك العام الماضي؟ قبل شهر؟ البارحة؟

قبل لحظات؟

عندما انخفضت الشمس، سطعت مباشرة من خلال النوافذ. أطلقت حزمةً فضيةً من النور داخل المبنى وأصبح كل شيء بداخله مرئياً. أشياء مثل الأرضية التي كُنست، والمذبح الذي كان مُغطى بورق جديد، والمزهرية الموضوعة فوقه، وآثار شخص أشعل ناراً، وصولاً إلى إناء النيكل الفضي الذي وُضع بشكل أنيق فوقه. استطعت الآن رؤية آثار أقدام شخص جاء وذهب، وحتى آثار فرش ملاءات. هبّت عاصفة من الرياح عبر الباب المفتوح، وتطايرت قصاصات الورق القديمة الباهتة بحفيفٍ حتى تهادت على الأرض. عندما غاصت أشعة الشمس إلى أسفل أكثر، توهّجت الحروف فوقها بلون ذهبيّ متلألئ.

أنا هنا...

أنا في انتظارك.

2

في طريقي إليك

رسالتها الـ 1

يوم واحد من بداية الرحلة يوم واحد بتوقيت الأرض

كيف حالك؟

أنا في طريقي إليك الآن.

كُتبت لك ذلك، وأنزلت القلم الرصاص لحظة ثم نظرت خارج النافذة. أنا أنتظر في الواقع صعود الجميع على متن السفينة. يمكنني رؤية طابور لا نهائي من الأشخاص بالخارج، يحملون حقائبهم على ظهورهم أو فوق رؤوسهم. أطفال يعبثون، وآخرون منهكون فحسب، يُمسكون بأيدي آبائهم، تبدو الغرابة على وجوههم، وهم يصارعون النوم. زوجان مُسنَّان يستند كلُّ منهما على الآخر عند المدخل، اليد في اليد، وأشخاص في مثل عمري أيضًا يتناولون وجبات خفيفة ويدردشون، ويتجادلون حول هذا وذاك. في زاوية أخرى، حشد من الناس يتبادلون العناق، ويتشاركون وداعًا طويلًا.

لم أستطع إحضار الكثير معي. لم أرغب في المخاطرة بأن يُمسك بي بينما أحاول تمرير الأشياء غير المسموح بها خلسة. لكنني تمكّنتُ من حزم قارئ كتب إلكترونية. إنه رخيص حقًا، مع شاشة بحجم وجه الساعة. صغير جدًا بحيث لا يمكن القراءة منه، ولكن لا بأس من الاستماع إلى الكتب الصوتية بواسطته. حملتُ على ذاكرته حوالي مائة

عمل من الكلاسيكيات؛ لذا يجب ألا أشعر بالملل في الشهرين اللذين سيستغرقهما الوصول إليك.

أعتقد أنك ستُفاجأُ جدًا بالحصول على رسالة مكتوبة بخط اليد مني- فوجئت أيضًا عندما أعطتني المضيئة قلماً رصاصاً وورقة. سألتها: "لماذا هذا؟"، فقالت: "يمكنك الكتابة به حتى في حالة عدم وجود جاذبية". أشارت بيدها كأنها تكتب من أعلى إلى أسفل، وأضافت: "كما تعلمين، إن حاولت الكتابة بقلم حبر جاف فلن يفلح ذلك، لكن القلم الرصاص سيعمل"؛ لذلك قلت، لا، لا، هذا ليس ما أثار استغرابي، وسألتها لماذا يستخدمون الورق على الإطلاق. قالت: "حسنًا، التكنولوجيا تتغيّر دائمًا"، لكنني ما زلت لم أفهمها؛ لذا أوضحت أنه بغض النظر عن مدى سهولة صنع جهاز مراسلة، سيوجد دائمًا أشخاص لا يمكنهم استخدامه. كبار السن والأطفال، أشخاص من أنظمة نجمية أخرى، وأحيانًا الفقراء أيضًا. لكن كل شخص يستطيع كتابة رسالة، بغض النظر عمّن يكونون.

لذا، على ما يبدو، إن كتبت على هذه الورقة؛ فسوف يلتقطون صورة لها ويرسلونها لا سلكيًا، وحيثما يلتقطونها سيحوّلونها بالشكل الذي يرونه مناسبًا حتى يتلقاها المستلم في النهاية. لذا ربما حوّلوا رسالتي إلى ملفّ صوتي بحلول الوقت الذي ستصل فيه الرسالة إليك.

نهرتني إحدى المضيفات الآن عندما أمسكت بي أتجوّل داخل السفينة، وأنفق كل شيء. كان الأمر محرّجًا حقًا؛ لذلك أنا حبيسة غرفتي الآن. أنت تعرف طبيّعي. يجب أن أتفقّد محيطي بمجرد وصولي إلى مكان جديد. لا أستطيع الاسترخاء حتى أوّمن مكانًا للاختباء، وطريقًا للهروب. عندما تعيش مع عائلتي... هذه بالطبع العادة التي تكتسبها من جرّاء ذلك.

أندھش في كل مرة يتحدث فيها الذكاء الاصطناعي المُساعد. يستخدم الجُمَل التي تخطر ببالي في لحظة كتابتي. من الجنون أن أحدهم لا يزال يستخدم ذلك السيناريو في برمجة الذكاء الاصطناعي على كتابة الرسائل.

جميعنا نشعر بالضجر بالفعل. أنا ورفقائي في الغرفة الآن في منتصف لعبة "الطهي والتنظيف". هل تعرفها؟ كنت أعبها طيلة الوقت عندما كنتُ صغيرة. لكن هي لعبة للفتيات؛ لذا ربما لم تسمع بها من قبل. عندما يجتمع كُتّاب سيناريو محادثة الذكاء الاصطناعي، يلعبون هذه اللعبة كما لو أن حياتهم تعتمد على الفوز.

في حالة أنك لم تلعبها من قبل، دعني أشرح لك قواعدها: شخصان يعطيان أمرًا إلى نظام ذكاء اصطناعي في التوقيت نفسه. يأمره أحدهم بإنجاز مهام التنظيف ويأمره الآخر بطهي وجبة، ويفوز الجانب الذي يحدّد الذكاء الاصطناعي أمره له كأولوية. نَقَدت أنظمة الذكاء الاصطناعي المبكّرة الأوامر دائمًا بالترتيب الذي أُعطيت به لها، لكنها في هذه الأيام تُجري مداولات وتحليلات أكثر تعقيدًا. على سبيل المثال يُعطي الذكاء الاصطناعي الأولويّة لأوامر مثل "التنظيف بحلول الساعة السابعة والنصف هذا المساء" على الأوامر البسيطة، مثل "تحضير العشاء". النطاق الزمني المحدّد يعطي الآلة إحساسًا بالإلحاح. في الواقع، ثمة أشخاص يقولون إن الدراية بالفوز باللعبة تشبه الدراية بجعل الأزواج يقومون بالأعمال المنزلية. حتى إن ثمة شائعة أن اللعبة مصمّمة حتى تتمكّن الفتيات من التدرّب بأكثر الطرق فعالية على إقناع أزواجهن المستقبلين بفعل أشياء تتعلق بالأعمال المنزلية.

من الصعب تصديق أنني في مكان ما بعيد جدًا لدرجة أنني يجب أن أطيّر أربع سنوات وأربعة أشهر واثنى عشر يومًا بسرعة الضوء للوصول إليك. وهو ما يعني أن عليّ حتى ألتقي بك أن أسافر مسافة تسعة تريليون ونصف كيلو متر مضروبة في أربعة حتى أصل

إلى عائلتي، ثم أقطع ثلث تلك المسافة مجددًا لأصل إليك. بالطبع، يظل الزمن ثابتًا عندما تصل سرعة السفينة إلى سرعة الضوء؛ لذا فإن تلك السنوات ستترأى لي وكأنها شهران. الشهر الذي يستغرقه تسريع السفينة إلى سرعة الضوء والشهر الذي يستغرقه تبطيء السرعة.

أتذكر أنني أخبرتك أنني يجب أن أذهب أولاً إلى ألفا سينتوري. قلت إنني سأرافق عائلتي في هجرتهم، ثم سأعود مباشرة إلى الأرض للقائك. شرحت أنه نظرًا لأن أي شخص يسافر إلى نظام شمسي آخر يحصل على تصريح إقامة في الكواكب الخارجية، فسيكون من الأسهل بالنسبة لي العثور على وظيفة مناسبة عند عودتي؛ أن هناك الكثير من المزايا عندما يتعلّق الأمر بالضرائب وأشياء من هذا القبيل؛ كان هذا يعني فقط تدبّر شؤون حياتي هناك مدة أربعة أشهر.

قلت لي: "هذا من منظورك"، مُحدِّدًا في وجهي وأنت تحصي الفترة الزمنية على أصابعك. "أمّا أنا فسأضطر إلى الانتظار تسع سنوات- ثماني سنوات وثمانية أشهر أكثر من شهورك الأربعة".

"نعم". أغمضت عيني، في انتظار ما ستقوله.

كنت أتوقّع شيئًا مثل: "لقد وجدتِ حقًا طريقة ذكية للانفصال عني. في هذه الحالة، أنا أحرّر نفسي من التزامات هذه العلاقة. سأذهب للبحث عن شخص جديد".

لكنك لم تفعل. بدلًا من ذلك، أتيت في اليوم التالي بمجموعة من المنشورات عن الزواج ما بين النجوم، وقلت إنك إذا أدخرت المال مدة أربع سنوات ونصف تقريبًا، فستتمكّن من شراء تذكرة لأخذ ما يطلقون عليه "مدار الانتظار". أوضحت أنها عبارة عن سفينة تدور حول الشمس بسرعة الضوء حتى يتمكّن الركاب من الوصول إلى الزمن نفسه الذي يسافر فيه الأشخاص من النجوم الأخرى.

"سيتعيّن عليّ الانتظار ما يزيد قليلًا عن أربع سنوات ونصف".

حالما نطقت هذه الكلمات، عانقتك، وشرعت في البكاء.

أخبرتني أنه سيكون ذلك رائعًا حقًا. بهذه الطريقة أو تلك، كانت التكنولوجيا تتحسن عامًا بعد آخر، وتقنيات عظيمة سوف تستمر في الظهور. قلت إن السفر بضع سنوات في المستقبل كان رهانًا مضمونًا أكثر من الحصول على بوليصة تأمين.

يبدو أنك فهمت.

فهمت أنني احتجتُ بشدة إلى أن أترك عائلتي على الجانب الآخر من العالم.

تركي عائلتي في النظام الشمسي ذاته لن يُجدي. هاتيك الأيام، يستطيع الناس اللقاء في الزمن الحقيقي عبر الإنترنت حتى من الجانب الآخر من العالم. الابتعاد عنهم حقًا وفعليًا، يقتضي مني تركهم في بُعْدَيْن مكاني وزمانيٍّ مختلفين. حتى لو كانوا سيلاحقوني بسرعة الضوء، فسيستغرق ذلك أعوامًا. مع تلك المسافة الشاسعة بيننا، حتى لو دخل أبي في حالة من الهياج، وراح يصرخ: "أخبريني، أين أنتِ الآن؟"، وأجبتُه أنا: "يا إلهي، حسنًا..."، فسيستغرق تبادل مثل هذه الرسائل ثماني سنوات وثمانية شهور وأربعة وعشرين يومًا.

كثيرًا ما أفكر في تلك المرة بعد مدة وجيزة من بدء رؤية أحدنا الآخر حين واصلتُ إلغاء موعد لقائي معك في اللحظة الأخيرة، وانقطع عن التواصل معك أيام متتالية. اعتقدت أنك ستفقد الاهتمام بي كالآخرين. ولكن ذات يوم، أرسلت لي رسالة نصّية: "هيا، لنتق. لا يهمني كيف سيبدو مظهرك".

قلت إنك ستنتظر.

بعد أيام قليلة، عندما ذهبت أخيرًا إلى المقهى، كنت جالسًا على مائدة قرب الباب، وتبدو في حالة مزرية. بصراحة تراءيت لي كأنك

قضيتَ الأيامَ القليلةِ السابقةَ نائمًا في الشارع. وما كان منظري أحسن حالًا. كنتَ أعتَمِرُ قُبَّعةً، وأرتدي معطفًا وواقيةً للعين، وقد لفتت وشاحًا حول نصف وجهي اتِّقاءً لهذا الطقسِ القائلِظ. تمكَّنتُ من تغطية الكدمات على جسمي بالثياب. لكن خدي المنتفخ وعيوني المتورمة كانت ولا بُدَّ جليَّةً للناظرين. كنتَ أرتعد خوفًا في ذاك اليوم. كرهتك واستأت منك لأنك كنتَ مُلِحًا في رغبتك في رؤيائي، لأنك أظهرت صبرًا لم يترك لي خيارًا سوى الخروج رغم حالتي المثيرة للشفقة.

لكنك على عكس ما توقَّعتُ، لم تمطرني بالأسئلة على الإطلاق. مضيت في الحديث عن أشياء مثل طرائق لتقليص التورم، وعلاجات قديمة مُجربَة للكدمات، ثم غلبك النوم فوق أريكة المقهى أثناء محادثتنا.

قلتَ لي في المرة التالية التي التقينا فيها: "تعرفين، العائلة ليست مسألة ضخمة. فعندما يتعلق الأمر بالعائلة، يمكنكِ دائمًا بناء عائلة جديدة. لهذا اخترع العالم هذا الشيء العظيم المسمَّى بالزواج. نظرًا لأن متوسط عمر الإنسان المتوقع يطول باستمرار، فسوف نعيش حتى نبلغ من العمر مائة عام. ولو عشتُ معكِ من الآن حتى بلوغنا ذلك العمر، فسوف أكون عائلتكِ مُدَّةً تعادل أربعة أضعاف المدة التي قضيتها مع عائلتكِ الأولى"، ثم مازحتني: "لذا هيا فلنُعجِّل بالزواج! فلنترَوِّج فور استطاعتنا ذلك".

لهذا أنا في الطريق إليك الآن.

حتى أكون عائلة أربعة أضعاف المدة التي كُنْتُها مع عائلتي الأصلية، رفقة الشخص الذي اخترته أنا.

انتظِرنِي.

رسالتها الـ 2 شهر واحد في الرحلة سنة و4 أشهر لاحقًا بتوقيت الأرض

أنا مستاءة جدًّا.

غدوتُ دراميَّةً تمامًا، وأرسلتُ إليك رسالة من شأنها أن تدفعك إلى البكاء، والآن هذا. ذلك ليس عادلاً إلى أبعد حدٍّ. أنا آسفة يا حبيبي. آسفة حقًّا.

استمع إليّ. ما حدث أننا وصلنا إلى سرعة الضوء ثم قالوا إنهم تلقَّوا إشارة استغاثة. تعرَّضت سفينة مجاورة لكارثة، وانجرفت بعيدًا عن مسارها. تلت القبطان البثَّ اللاسلكي وصوتها منخفضٌ بشكل غير طبيعي: "وفقًا للوائح التي تنظِّم العلاقات ما بين النجوم؛ سنبدأ الآن في تشغيل المكابح، والتوقُّف لتنفيذ عمليات الإنقاذ". بصراحة، أصدرت القبطان إعلانًا من جانب واحد دونما حتى محاولة الحصول على موافقتنا! في ذلك الكون الفسيح كله، لماذا تعرَّضت هذه السفينة للمشاكل بالقرب من موقعنا؟

أنا لا أقول إنه لا ينبغي لنا أن إنقاذ السفينة المنكوبة- أعرف، أعرف أنه الميثاق الأخلاقي لرواد الفضاء. وليس الأمر كما لو كان بإمكانهم فقط الاتصال برقم النجدة في هذا البحر المفتوح والممتدِّ إلى ما لا نهاية. المشكلة أننا كنَّا نطير بسرعة الضوء؛ لذلك بغضِّ

النظر عن مدى سرعة القبطان في إبطاء السرعة، سيستغرق الأمر شهرًا للتوقف، وشهرًا كاملًا آخر لتعجيل السرعة مرة أخرى.

هذان شهران! انتظر، بتوقيت الأرض... ثلاثة أشهر!

حتى دون أن أدرك ما كنت أفعله، تشبَّثُ بأحد المضيفين الذي كان يمر بالجوار واحتججت: "هل سمعت هذا الصوت العالي الآن؟ هذا صوت تحطُّم خطوبتي. أنا عروس ذاهبة إلى حفل زفافي، وقد كتبتُ بالفعل لخطيبي أفضل رسالة يمكنك تخيلها. ماذا ستفعل حيال ذلك؟"، بعد أن استمع إليَّ بعدم اكتراث، أجرى المضيف مكاملة بأحدهم، وقال: "لدينا راكبة هنا لديها حفل زفاف قادم أكثر أهمية من حياة ثلاثين شخصًا. من فضلك اعتنوا بها جيدًا". ثم ظهر رجلان قويًا البنية من العدم، وحملاني مثل قطعة خفيفة من الأمتعة، وأعاداني إلى غرفتي.

حقًا! ماذا فعلت لأستحقَّ ذلك؟ أردت فقط أن يعترفوا بحقيقة أننا جميعًا نقدِّم تضحيات هنا!

بعد قليل جاءت مضيفة أخرى بتعبير صارم على وجهها. قالت إنه سيتعيَّن علينا مشاركة غرفتنا عندما يصل الناجون على متن السفينة، وطلبت من جميع الركاب التوقيع على استمارة موافقة. عندما سألت عن عدد الأشخاص الذين سيأتون، قالت إنه سيأتي ثمانية. ثمانية أشخاص آخرون، في غرفة تتسع لأربعة أشخاص!

لذا سألت عمًّا سيحدث إن لم أوافق، فقالت فحسب: "لا يوجد شيء يمكننا القيام به حيال ذلك"، ثم أغلقتُ فمها مثل سمكة بطلينوس، ووقفت هناك في منتصف الغرفة. واو، لم تكن تستخدم سكينًا، لكنها كانت سرقة كاملة. سرقة!

بمجرد رحيلها، نفَّست أنا وزملائي في الحجرة عن إحباطنا معًا مدة طويلة. كيف يمكن أن يفعلوا هذا بنا؟ كلنا أناس طيبون! دفعنا جميعًا

تكلفة الرحلة بطريقة عادلة تمامًا! لماذا علينا أن نتحمّل الضربة؟ جعلنا هذا الاستنزاف العاطفي نشعر بالجوع؛ لذلك ورغم أن ساعة تناول الطعام قد فاتت، طلبنا الكثير من الأطعمة الحارّة، والتهمنا الطعام كما لو أننا لم نتناول وجبة منذ أيام. ثم شغلت قارئ الكتاب الإلكتروني، وبدأت الاستماع إلى "فاوست" لـ"جوته". بغضّ النظر عن القصة، اعتقدت أن الاستماع إلى شيء مألوف وقديم سيساعدني على تهدئة أعصابي.

أسفة يا حبيبي. أسفة حقًا.

تركتك بمفردك لمدة أربع سنوات ونصف. والآن سأجعلك تنتظر ثلاثة أشهر إضافية. دون أن يبدر مني أي خطأ، سوف ينتهي بي الحال متأخرًا على حفل زفافي بالتحديد من بين كل المناسبات الهامة في حياتي، ولن تكفّ أنتَ أبدًا عن تذكيري بذلك.

اغفر لي هذه المرة فقط. سأقدم لك دفترًا به عشرون قسيمة أمنيات بمجرد وصولي إلى هناك... تمام؟ ماذا عن ثلاثين؟
"فاوست" هذا رجُلٌ مضحك.

التفكير في أنه سيقبل بالموت بكل سرور، وسيدع الشيطان يقيّده، و يُلقِي به في عذابٍ أبديٍّ فقط لو كان بوسعه أن يقول "آه، انتظر قليلًا! أنت محبوب جدًا!" إلى شخصٍ ما أو لحظة ما، مرة واحدة فحسب في حياته؛ لو كان بمقدوره الإحساس بمثل هذه الفرحة، حتى لو كانت عابرة. ما الذي جعله متطرّفًا جدًّا؟ هل بلغ حالة من اليأس التام؟ أم أنه كان متلهفًا للحياة أكثر من الموت؟

أعتقد أن العالم سيكون قد تغيّر كثيرًا بحلول الوقت الذي أرجع فيه. هذه الطريقة التي سارت بها الأمور من قبل أيضًا. سواء كانت مباني أو متاجر أو حتى شوارع، لا يصمد أي منها أكثر من بضع

سنوات. المتجر الذي ظهر في اليوم السابق سيغلق أبوابه في اليوم التالي، وسيختفي المبنى الذي كان موجوداً في الشهر السابق قبل مرور شهر آخر. كما لو أن البلد بأسره كان مُحاصراً في دوامة من كراهية الذات، تدفعه إلى تمزيق نفسه باستمرار. حتى عندما يتعلق الأمر بالأشياء العتيقة، الأشياء التي يمكن الاحتفاء بها.

العيش في مكان كهذا اقتضى منّا تطوير عادة عدم التعلُّق بأي شيء. كيفنا أنفسنا على عدم الشعور بالندم أو الحزن مهما فقدنا. لم يتبقَّ من هذه الأشياء الآن سوى ذاكرتنا.

أتعرف ماذا، يا حبيبي، عندما أفكّر في الأرض، لا يوجد شيء واحد يمكنني الزعم أنه ملكي. تركت منزلي وعائلتي وكل متعلقاتي ورائي، كل شيء، على الجانب الآخر من الكون. عندما أعود إلى الأرض، من المحتمل أن تختفي أيضاً جميع الشوارع والمباني التي كنت أعرفها. مع ذلك، لا تعتريني ذرّة خوف واحدة.

خطرت لي هذه الفكرة. أن منزلي ليس مكاناً، بل شخص. وهذا الشخص هو أنت. أنت بيتي، وحيث أتوق أن أكون... تجرّأت الآن وقلت لك شيئاً رومانسياً حقاً، عليك أن تسامحني على تأخري.

أنا في طريقي إلى المنزل الآن.

انتظري.

رسالتها الـ 3

4 شهور و10 أيام من بداية الرحلة بعد 4 سنوات و9 شهور و10 أيام بتوقيت الأرض

مرحبًا يا حبيبي! مرحى!

تلقيت رسالتك بمجرد وصولنا إلى الميناء الفضائي.

عزيزي، أيها المسكين. غيّرت السفينة في محاولة منك للتوفيق بين موعد وصول كلِّ منّا، ولكن سارت الأمور بشكلٍ خاطئ، وستتأخَّر ثلاث سنوات؟! كان عليك أن تبلي بلاء أحسن من ذلك!

عندما سمعتُ بما حدث معك، انفجرت ضاحكة وفكَّرتُ، واو! إنه حقًا يرتقي بمستوى أدائه. بحثتُ عن سفينة أخرى على الفور، وعثرت على سفينة تستعدُّ للإقلاع. حالفني الحظ!

يا له من عالمٍ رائع! كل ما يتطلبه الأمر هو رحلة على مركبة ضوئية، وبغضِّ النظر عن مدى انحراف موعد لقائنا عن مساره المفترض، يمكنك تصحيح ذلك. سواء كان التأخير ثلاث سنوات أو مائة سنة، من المستحيل ألا نلتقي في نهاية المطاف.

ينتابني شعور بديع الآن. تألمت جدًّا عندما علمتُ أنك ستنتظر بسببي ثلاثة أشهر أخرى، لدرجة أنني فقدت الكثير من الوزن، لكنك الآن من ستتأخر كثيرًا. بحلول الوقت الذي نلتقي فيه، سأكون قد

انتظرت عامين وتسعة أشهر أكثر منك، من يوم زفاننا المحدد. عليك أن تكون طيبًا معي حقًا في المستقبل يا زوجي!

لا تقلق حيال أي شيء. حللتُ بنفسي كلَّ تعقيدٍ نَجَمَ عن التأخير!

اتصلتُ بقاعة الزفاف، وتواصلتُ مع أصدقائك. صدموا قليلًا من الأخبار التي تفيد بأننا سنتأخر ثلاث سنوات، لكنهم جميعًا قالوا إنهم سيكونون هناك. يبدو أنهم التقوا بالفعل في القاعة في التاريخ الأصلي، وقضوا وقتًا ممتعًا.

أبلغتُ المستأجرين في مسكننا، وعدّلنا شروط العقد. رئيسك في العمل لم يتلقَ الأخبار جيدًا، للأسف. ولكن مع ذلك، الموظف الذي كان يملأ مكانك الشاعر سعيد الآن بتمديد عقده.

جاءت رسالتك إليّ كتسجيل صوتي. حملتها على قارئ الكتاب الإلكتروني، واستمعت إليها مرات عديدة، حتى الآن. في كل مرة أصل إلى الجزء الذي تتوسّل فيه إليّ وترجّاني، "انتظريني... لو سمحت... سأكون حنونًا معك لبقية حياتنا معًا"، أضحك بشدة لدرجة أنني أعجز عن التنفس.

أتعلم يا حبيبي؟

لأُكِّن صادقًا معك: لا أمانع في تأخُّرك قليلًا. هذا يعني أنه ستفصلني ثلاث سنوات أخرى عن عائلتي. أه يا حبيبي كيف عرفت بالضبط ما أردت؟ لو كان بإمكانني فقط أن أمنحك قبلة كبيرة.

كما تخيلت، تغيّر كل شيء على الأرض حقًا. باتت السيارات كلها على الطرقات عربات ذاتية التشغيل. لحسن الحظ، لم أزعج نفسي سابقًا بالحصول على رخصة قيادة! توجد حارات منفصلة مخصّصة للكراسي المتحركة أيضًا، وفي الميناء الفضائي يوجد روبوت مُترجم للغات الإشارة. كنت أقرأ الأخبار اليوم، ومن الواضح أنهم سيبدوون في تقديم التعليم العالي المجاني من العام المقبل.

كنت على حقٍّ. الأمور تتحسن شيئاً فشيئاً. بعد ثلاث سنوات من الآن ستغدو الأحوال أفضل.

السفينة التي استقلتها سفينة أبحاث تقوم باستكشافات جيولوجية. سمعت أنهم أيضاً يزودون المحطات الفضائية المجاورة بالمواد أثناء سفرهم في الأرجاء لجمع عينات تُربة من الكويكبات. أعادوا تخصيص بعض المقصورات أيضاً لاستيعاب الركاب. يستمر عدد المسافرين في الفضاء في التنامي عامًّا بعد عام، لكن عدد السفن لا يتزايد؛ لذا تأخذ هذه السفن الركاب على متنها عن طريق استغلال ثغرات في القانون. لا تأمين على حياة الركاب، لكن تذكرتي كانت رخيصة جداً.

كل شخص على متن السفينة إمَّا باحث أو بائع متجوِّل. أنا المسافرة العادية الوحيدة. سألوني لماذا ركبت هذا النوع من السفن، وهكذا أخبرتهم أنني في طريقي للزواج. انفجروا جميعاً ضاحكين. ناولني بائع سمك جافٍّ، في منتصف العمر، قطعةً من سمك البولاك المجفَّف، وقال إنه لا يوجد رجُلٌ سينتظر كل هذا الوقت، إن هذا الرجل الذي تعاهدت معه على اللقاء لا بُدَّ وقد استقر مع إنسانة أخرى بالفعل.

استفزني كلامه، وقلت بانفعال إن مَنْ سأتروجه ليس أيَّ رجُلٍ، بل "رجلي". كل ذلك بينما أقضم السمك المجفَّف! شعرت بالحرج الشديد لأنني جعلت من نفسي فُرجةً، وبعد ذلك أخفيت وجهي في مقابل الجدار.

مع أنني قصدت ما قلته. أنت لستَ أيَّ رجُلٍ. أنت رجلي. وأنا لستُ أي امرأة. أنا امرأتك. وهكذا، نحن مختلفان عن أي من الآخرين.

لماذا يشعر الناس بالحاجة لقول مثل هذه الأشياء؟ أشخاص لم يلتقوا بنا من قبل ولا يمتلكون أي اهتمام حقيقي بنا، يتجولون

في كل مكان، وهم يطلقون نصائح سطحية، كما لو أنهم أصبحوا أنبياء، وتلقوا كلمة الرب، كما لو أنهم ذهبوا وحصلوا على مؤهل في التدخل في حياتنا. بغض النظر عن مدى تميُّز الشخص أو ذكائه، الحياة الوحيدة التي يعرفها المرء حق المعرفة هي حياته.

مَقَّتْ أَبِي كُلَّ رَجُلٍ تَقَرَّبَ مِنِّي. وثار عندما أخبرته أننا سنتزوّج. ألقى بكل شيء في غرفة نومي في الشارع، وأخبرني أنني سأرجع إليه، أبكي وأتوسّل المغفرة بمجرد أن أتذوّق مرارة الحياة كلها، وأتخبّط في بؤسها. الآن، أتساءل عن الأساس الذي ارتكز عليه حتى يتوقّع لي هذا المصير بالتحديد، في حين أنه في الحقيقة من جعل أمي تمر بكل ذلك. الآن بعد أن وصلت إلى هذا الحد، أعتقد أنني فهمت. ما كان أبي يكرهه كثيراً وبخرقة، هي ذاته.

بخلاف نفسك، لا يوجد من يعرفك حتى الصميم؛ وبالتالي لا يوجد من يكرهك أكثر من نفسك. تمامًا كما لا يوجد أحد يمكنه أن يحبك أكثر مما تحب نفسك.

يجب أن يكون هذا السبب في أنه كرهني كثيراً لأنني من صلبه، وأشبهه. لا ينبغي أن تتحدّث أبداً عن الماضي. كأن تتمنى لو كان والداك قد فعلا شيئاً من أجلك عندما كنت أصغر سناً، أو التفكير بحسرة أنه كان من الممكن أن تكون أفضل حالاً لو كنت قد فعلت هذا أو ذاك في مرحلة ما من حياتك. تكلم فقط عما يحدث الآن أو سيحدث في المستقبل.

دأبت على أن تقول لي من حين إلى آخر: "لا يوجد ماضٍ. كل هذا مجرد وهم".

عندما سألتك أن تفسّر لي وجهة نظرك، حككت رأسك كما لو كان من الصعب عليك شرح ذلك.

"فكّري في الأمر. كل ما نعتقد بالخطأ أنه ماضٍ، لا يعدو كونه الحاضر. كل شيء يحدث في الحاضر..."

أعتقد أنني أفهم أخيراً ما يعنيه ذلك الآن.

نظراً لأن الماضي يتدفق مبتعداً في نهر الزمن، والمستقبل لم يأت بعد، كل ما له وجود هو الحاضر، هذه اللحظة الآنية التي تظهر، ثم تختفي مثل مثل وميض ضوء. الجروح القديمة التي تلسع القلب في الواقع عبارة عن مواد كيميائية يفرزها الدماغ في أثناء اجتراه الذكريات.

كنتَ على حقّ، ليس هناك ماضٍ. الماضي موجود فقط في الذكريات، والذكريات تُستدعى إلى الحاضر. لا يوجد مستقبل بعد أيضاً، وهذا بدوره مجرد شيء أفكر فيه الآن.

حسناً إذًا، لن أفكر في هؤلاء الأشخاص بعد الآن. سأفكر فقط في الأمور الجيدة، وسأصنع حاضري من كل ما هو جيد.

لا أنفكُ أفكّر في اللحظة التي سأقول فيها: "لقد عدت!"، وأركض نحوك في الميناء الفضائي، مباشرة بين ذراعيك. عندما أتصوّر ذلك فحسب، أشعر أن حاضري كله متوهّج.

أوه نعم، قلت إنك اشتريت خاتم موسيقى تنبعث منه أغاني الحب؟ ذلك رائع. يجب أن تضعه في إصبعي في حفل الزفاف. سينفجر ضيوفنا كلهم ضحكاً لرؤية ذلك المشهد.

منزلي، المكان الذي أتوق أن أكون فيه. أنا في طريقي إلى المنزل الآن. نَم جيداً.

أحبُّكَ.

رسالتها الـ 4

5 شهور و26 يومًا من بداية الرحلة

7 سنوات و8 شهور و24 يومًا بتوقيت الأرض

يا إلهي.

عزيزي ماذا عليّ أن أفعل؟

التقطت قلبي الرصاص مرة أخرى بعد بكاء طويل.

أرسلت لك رسالة منذ مدة، لكنني أكتب رسالة أخرى الآن. مضيفات السفينة في حالة ارتباك شديد، لدرجة أنني أشكك في أنهم ربما لم يرسلن الرسالة حتى.

يوجد الكثير من الناس حولي، والمضيفات يواصلن المجيء والذهاب؛ لذلك لا يمكنني البكاء بقدر ما أحتاج. بعض الناس فاقدو الوعي، وثمة رجل ينزف من معدته، ولن تتوقف المضيفات عن فتح الباب دون استئذان لطرح أسئلة لا طائل من ورائها ثم يختفين. عندما اشتكيت من ذلك، قلن إنَّ السبب أنهم فقدن صوابهن أيضًا. إنَّ كانت المضيفات غير قادرات على التركيز، فأبي أمل تبقى للركاب؟

أنظر من النافذة وألاحظ جانبًا كاملاً من السفينة ممزقًا. على ما يبدو، احتكَّ كويكب مُسنن بنا. فقط عدد قليل من المقصورات في السفينة آمنة الآن. عليك حتى أن ترتدي بدلة فضاء حتى تخرج

إلى المرحاض، لكن ارتداء واحدة يستغرق ثلاثين دقيقة، وحتى ذلك يجب أن يكون بالتناوب. لذلك عليك أن ترفع يدك نصف ساعة قبل أن تشعر حتى بالرغبة في قضاء حاجتك، ولكي تفعل ذلك عليك أن تحجز تذكرةً لدخول المرحاض قبل حوالي ساعة. سخيف، أليس كذلك؟

قبل قليل، جاء القبطان واشتكى طويلاً من الدمار الذي لحق بالسفينة من جراء هذا التصادم بالكويكب، ثم خرَجَ مرةً أخرى. بفضل ذلك، عرفت كل شيء عن حجم أملاكه، وعدد أطفاله، وكم لديه من مدخرات. مضحك، أليس كذلك؟

السفن الوحيدة التي تمرُّ بهذا الطريق هي سفن الشحن أو سفن بحثية أخرى. حتى مع تلك السفن، كان علينا أن نجري قرعة من أجل تقرير مَنْ سيذهب ومتى. مع حظّي، الخيارات الحقيقية الوحيدة مركبةً ضوئيةً متّجهة إلى ألفا سينتوري، والتي ستصل في غضون شهرين، أو سفينة شحن متّجهة إلى الأرض، والتي ستصل إلى هنا بعد شهر من الآن.

باستثناء أن السفينة الذاهبة إلى الأرض ليست مركبةً ضوئيةً، بل سفينة شحن؛ لذلك سوف يستغرق الأمر إحدى عشرة سنة للوصول إلى الأرض.

إحدى عشرة سنة...

إحدى عشرة سنة كاملة.

وإنْ صعِدْتُ على متن تلك السفينة، فمن الواضح أنه لا يوجد مكان لتناول الطعام أو النوم أو الذهاب إلى المرحاض على متنها؛ لذا سأضطر إلى الذهاب إلى حجرة السُّبات المحفّز المخصّصة للناجين من الكوارث، والنوم حتى يحين ميعاد الهبوط.

أحدهم يبكي مرة أخرى، أمامي مباشرة. ويمكنني سماع شخص آخر يصرخ من مكان ما. تستمر المرأة في منتصف العمر الراقدة بجانبني على السرير في شدَّ البطانية كلها، قائلة إنها تشعر بالبرد. طلبت مني العزوف عن تلك الأفكار السخيفة بالذهاب إلى الأرض والعودة إلى ألفا سينتوري. قالت إن هناك الكثير من الأشخاص الذين انتهى بهم الحال لحومًا مجمدة بعد حادث مؤسف في خِصْمٍ عملية السُّبات. وأنت لا بُدَّ وقد غادرت، أنك لا بُدَّ وقد رحلت بالفعل منذ مدة طويلة بالفعل...

إحدى عشرة سنة.

لا، في الواقع ثماني عشرة سنة وثمانية أشهر...

لا أستطيع أن أطلب منك العودة على متن سفينة أخرى.

الآن لن يكون لديك أي مدَّخرات لدفع الأجرة، وحتى لو اقترضت كل ما بوسعك من أحد البنوك، كيف يمكن لزوجين حديثي الزواج أن يكونا بلا منزل أو أي مكان للعيش فيه في حين يتعيَّن عليهما سداد فوائد القرض قبل أي شيء؟ ومَن الذي سيوظف شخصًا لديه فجوة زمنية دون عمل لمدة ثمانية عشر عامًا في سيرته الذاتية؟ ستكون التكنولوجيا وكل شيء آخر مختلفًا تمامًا. حتى لو كان بإمكانني الزواج منك، في كل مرة تسكر فيها، ستدخل في نوبة من النكد قائلاً إنَّك دمرت حياتك كلها حتى تتمكن من الزواج بي، ولن أكون قادرة على تحمُّل ذلك.

أردت حقًا أن أتزوَّجك.

أردت حقًا أن نكوُن أسرة. أعتقد أن هذا بات مستحيلًا الآن. مع ذلك أنا ذاهبة إلى الأرض. هل لديَّ حتى خيار؟ حقًا، أنت بيتي الوحيد.

ليس لديّ قلب لأطلب منك الانتظار.

فقط، من فضلك، تعال إلى الميناء الفضائي.

بعد أحد عشر عامًا من الآن، تعال لمقابلتي عند وصولي. لا بأس لو أحضرتَ معك زوجتك وأطفالك. لن يُغضبني ذلك. سأفهم كل شيء. سأصافحها بعِزّة نفسٍ، وسيمكننا التحدث طوال اليوم، مثل النساء اللاتي ينتهي بهنّ المطاف بالإعجاب بالرجل نفسه.

لا أريد سوى رؤياك.

أعتقد أن هذا سيجعل كل شيء على ما يرام. معرفتي فحسب أنك موجود تحت السماء ذاتها. ثم، حتى لو كنّا مُنقَصِلين، فسنواصل العيش معًا. سيكون منزلنا كبيراً بعض الشيء فحسب.

مكتبة
t.me/soramnqraa

رسالتها الـ 5

**6 شهور و26 يومًا من بداية الرحلة
بعد 7 سنوات و9 شهور و24 يومًا بتوقيت الأرض**

آسفة، استغرق الأمر مني وقتًا طويلًا لإرسال رسالة.

كان من المستحيل حقًا الكتابة على متن تلك السفينة. فعل ذلك ليس صعبًا على الإطلاق في الظروف العادية، ولكن حتى الأشياء الصغيرة كانت مسألة ضخمة هناك. العيش محشورين معًا داخل غرفة ضيقة يومًا بيومه، كل شيء يمكن أن تتخيل حدوثه من باب التشاؤم، حدث في النهاية. إن فعل أحدهم أي شيء خارج عن المألوف قليلًا؛ يفقد الجميع عقولهم.

الآن أنا وحدي أخيرًا.

رغم أنني كدتُ ألا أنجو.

لا أعرف كيف صمدت في تلك السفينة المدمّرة بالكامل لشهر كامل... لكن ذلك يكفي؛ لا داعي للحديث عن ذلك الآن. لأن الماضي لا يوجد إلا عندما نستدعيه إلى أذهاننا.

المكان هنا أشبه بمبرّد (فريزر) عميق. يداي مُخدّرتان جدًّا بسبب البرد القارس، لدرجة أنني بالكاد أستطيع الكتابة. درجة الحرارة ثابتة لضمان نضارة البضائع على متن السفينة. طلبتُ من "هون" تشغيل التدفئة، لكنها قالت إنه لا يوجد نظام تدفئة. لا توجد إضاءة فعلية

أيضاً؛ لذلك أنا أكتب هذه الرسالة على ضوء شاشة قارئ الكتاب الإلكتروني الصغيرة.

أوه، يجب أن أشرح. "هون" قبطان سفينة الشحن هذه. ليست بشريّة، بل قبطان بتقنية الذكاء الاصطناعي. هي ذكية حقًا. بغضّ النظر عمّا أطلبه، لا تغضب، وهي بارعة حقًا في شرح الأشياء بطريقة رزينة ومفصّلة.

أخبرتني "هون" أنه يجب عليّ إفراغ معدتي تمامًا قبل الذهاب إلى حُجيرة السُّبات؛ لذلك أنا صائمة منذ وصولي إلى هنا. أتصوّر جوعًا لدرجة أنني أشعر أنني أشارف على الموت. قريبًا ستُزال جميع السوائل من جسمي، وتُستبدل بمضادات التجمّد. قالت "هون" إن عليّ التفكير في الأمر بوصفه نوعًا من غسيل الكلى. لكنها أخبرتني أيضًا أنني يمكن أن أموت لو أبدى جسدي ردّة فعل تحسّسية ضد مضاد التجمّد. طمأنتني؛ حتى لو حدث ذلك، فستُحفظ جثّتي جيدًا من أجل تسليمها إلى عائلتي سليمة؛ لذا لا داعي للقلق. هل يمكنك تصديق ذلك؟!

سألتهما إن كان بإمكانني إرسال رسالة لك. وفقًا لـ "هون"، ستمكّن من استلامها إن كنت لا تزال على متن السفينة التي كنت عليها من البداية. ولكن إن كنت قد انتقلت إلى سفينة أخرى، فهي لا تعرف العنوان؛ لذلك لن تعرف كيفية توصيلها إليك. حسنًا، هذا منطقي. لكنني أكتب الرسالة على أي حال.

لا يوجد شيء أفعله هنا حتى تكتمل الاستعدادات من أجل السُّبات؛ لذلك كنت ألعّب لعبة الطهي والتنظيف مع "هون". قلت إنه، مقارنة بـ "إبدئي التنظيف بحلول الساعة السابعة والنصف هذا المساء"، يجب أن تكون الأولوية لأمر "أنا على وشك الموت جوعًا، جهّزي بعض الطعام لي". لأن بقاء الشخص حيًا أهم من أي شيء آخر. لكن "هون" قالت إن الأمر الثاني مُبهم جدًا. لدى البشر عادة

استخدام عبارات مثل "أنا على وشك الموت" بصورة مُفَرطَة، في حين أنها غير صحيحة في الواقع؛ لذلك يجب أن أقدم حجةً أوضح. أخبرتني أن أقول: "أنا أتلقى علاجًا مرتبطًا بالأكل، ومن الخطير ألا أتناول الوجبات في وقت مُحدّد". بالطبع، لا توجد طريقة للتأكد ما إن كنتُ مريضةً حقًا، لكن الذكاء الاصطناعي سيعطي الأولوية للأمر على أي حال؛ لأنه لا ينبغي عليه تفويت التوقيت الصحيح للتحقق من صحة ادّعائي.

عندما نلتقي لن أكفّ عن الحديث طوال اليوم. سأخبرك بكل شيء مررت به في الشهر الماضي. دعنا نرى مَنْ منّا مرَّ بوقتٍ أصعب. أمل حقًا أن أفوز.

أتمنى ألا تكون قد اضطررتَ إلى التعامل مع شيء صعب واحد. أتمنى أن تكون قد عِشتَ ببطنٍ شبعانة وظَّهرٍ دافئٍ ومرتاحٍ طوال مدة رحيلي. لا أستطيع أن أتخيَّل كيف سأشعر إن أنتَ أفسدتَ حياتك بسبب قلقك عليّ.

أعني ذلك. إن كنتَ لا تعيش حياة جيدة، فمن المحتمل أن يقودني ذلك إلى إفساد حياتي بسبب شعوري السيئ تجاه ذلك.

أثناء رحيلي، أتمنى أنك تتناول أطعمة شهية، وتحظى بإجازاتٍ طويلة، وتقرأ الكثير من الأشياء الشَّيِّقة أيضًا. في المقابل بين الحين والآخر، عندما يحدث شيء جيد، فكّر بي. إن فعلتَ ذلك، سأكون معك. وتعال إلى الميناء الفضائي، وأخبرني أنك عِشتَ على هذا النحو لمدة أحد عشر عامًا. عِدي بذلك.

أعتقد حينذاك أنني سأكون قادرة على النوم بهناء.

إلى اللقاء يا حُبِّي.

شكرًا لك لأنك أحببتني.

كنتُ سعيدةً بفضلك.

رسالتها الـ 6

**6 أشهر و26 يومًا من بداية الرحلة (مع استبعاد السنوات المهذرة وأنا في حالة السبات)
19 سنة وشهران و4 أيام بتوقيت الأرض**

بمجرد استيقاظي من حالة السبات، شعرت بأن ثمة شيئًا غريبًا قد حدث. في البداية، اعتقدت أن السفينة لا بُدَّ وقد هبطت اضطراريًا أو وصلت إلى المكان الخطأ. اعتقدت أنه ليس الأرض. أو أنه لا يمكن أن يكون كوريا على الأقل.

كانت الرائحة مختلفة. كان الهواء خانقًا ورائحة التراب والعشب تدغدغ أنفي. في الصمت المخيم على أرجاء المكان كله، كان الصوت الوحيد هو صوت "هون" عبر مكبر الصوت:

"الرجاء تفريغ الحمولة".

"الرجاء الخروج إلى برج المراقبة".

"ألا يوجد أحد هناك؟".

كان مضاد التجمد الذي صُحِّح في جسدي قد استُبدِل منذ مدة وجيزة بالدم؛ لذا شعرت أنني قد أتجمد حتى الموت في أي لحظة. شعرت كما لو أنني غُمرتُ في بحر شتاء جليدي لمدة قرن، وتحوّلتُ إلى زلاوية مجمدة. شعرت بالدوار، كان ذهني ضابيًا، ولم تبقَ بداخلي

أي قوة على الإطلاق. في كل مرة كنتُ أتَنفَس، اعتقدتُ أنني أستطيع أن أشمَّ رائحة زيت معتَّق تخرج من رثتي. كنت أرتجف مثل امرأة عجوز، وتمكَّنت بطريقة ما من الزحف إلى الحمام الدافئ الذي أعدَّته "هون" من أجلي في مكان قريب، وأسقط داخل البانيو بجسدي، نائِرةً المياهِ خارجه. فقط عندما شعر جسدي بقليل من الدفء، جمعت شتات نفسي واستوعبت ما يحيط بي.

كانت كوة السفينة مفتوحةً، لكن لم يعبر منها أحد، المطر وحده يتطاير إلى الداخل، تحمله الرياح. اهتزَّت البضائع على طول الحزام الناقل، وسقطت من عليها بدويٌّ. بلوب... بلوب... كما لو أنها تسقط فوق عسيده أرز سميكة.

أوقفت "هون" أخيراً بثَّها عبر مكبِّر الصوت عندما ناديتُ عليها. أوضَّحت أننا تأخرنا قليلاً في الوصول لأن الأمر استغرق منها بعض الوقت لفحص وإصلاح مشكلة في جسم السفينة. عندما سألت عن مدى تأخرنا. أجابت: "ليس كثيراً على الإطلاق. تأخرنا حوالي سنة وأربعة أشهر وأربعة أيام عن الموعد المحدد".

صوت "هون" الميكانيكي بدا ميكانيكيًا حقًا في تلك اللحظة.

كان الجو مظلمًا جدًّا بالخارج. احتدَّمت الرياح والأمطار، مُصدِّرةً عويلاً مدويًّا. في كل مكان حولي، وفي كل اتجاه، توجد مسطحات طينية تطفو فوقها نباتات مائية، تغطي المنطقة برُمَّتها مثل قوات احتلال. ما امتلكت أي وسيلة لمعرفة أين يبدأ البحر، وتنتهي اليابسة.

كسرت أحد صناديق البضائع، وانتزعت لوحًا خشبيًّا. ألقيت به في الوحل، وتشبَّثتُ به بينما كنت أخوض في المياهِ الطينية. عندما نظرت إلى الورا، بدَّت لي السفينة وكأنها تغرق في الوحل. بدا المستنقع المتكوّن وكأنه وحش صامت جاهز لالتهامها.

امتدَّ الوحل والماء إلى الميناء الفضائي. أينما نظرت، لا يوجد أثر للناس، ناهيك بأي سفن. فكَرْتُ في قرارة نفسي مرة أخرى أننا يجب أن نكون قد هبطنا اضطرارياً على سطح كوكب آخر.

لكن بعد ذلك وصلت إلى قاعة الانتظار رغم أن النباتات قد غزتها، لدرجة أنها بدت وكأنها ربوة منخفضة. عندما شققتُ طريقي عبر غطاء نباتات اللبلاب الزاحفة مُسْتَحْدِمَةً سَكِّين جيب لتمزيقها، ودلفت القاعة، كانت في حالة فوضى تامة. توجد الكثير من ثقوب الرصاص في الجدران، لدرجة أنها بدت مثل قرص خلية نحل، ورأيت بقع دماء داكنة جافَّة على الأرض. كانت الشاشة الإلكترونية مُعْطَلَةً، وكتب أحدهم رسالة عليها بطلاء يتوهَّج في الظلام.

مرحبًا بالمسافرين العائدين من رحلات ما بين النجوم. لسوء الحظ، أصبح الوضع في كوريا مريعًا.

انفجر مصنعُ نوويٍّ في الجنوب، وما زالت الحرب الأهلية مستمرة.

كما أن الحالة في البلدان الأخرى مزرية أيضًا.

من فضلك أسرع إلى زمن آخر.

من فضلك أسرع إلى زمن آخر...

وقفْتُ مُتَسَمِّرَةً في مكاني، أهدِّق في الرسالة طويلًا، وقد حوَّطت جسمي المرتعش بذراعي. بجانب الرسالة، كُتبت تحذيرات برذاذ الطلاء تخبر المسافرين بما يجب عليهم الاحتراس منه. محا أحدهم عبارة "نشاط إشعاعي"، وكتب بالرشاش:

"جيش الأحكام العرفية" فوقها، ثم كتب "قُطَاع الطرق" فوقها. وفوق ذلك كله كتب "الميليشيا المدنية".

أعتقد أن أكبر تهديد ظلَّ يتغيَّر.

غادرتُ قاعة الانتظار حتى أرجع إلى "هون" وأخبرها: "لنعدُ إلى الوطن؛ وصلنا إلى المكان الخطأ". كما تعلم، لم يخطر ببالي إلا بعد وقت طويل حقيقة أن كل شيء على الشاشة الإلكترونية مكتوب بالكورية؛ وبالتالي لم نصل قطعاً إلى المكان الخطأ. بالأحرى وصلنا إلى الزمان الخطأ.

بينما كنت أتجول حول المستنقع تحت المطر الذي يتساقط مثل البرد، لاحظت شيئاً غريباً على مبعده.

بدا وكأنه كوخ قديم.

كانت في الواقع خيمةً مزقَّتْها الرياح إلى أشلاء. عندما اقتربت، رأيت الأرض خلفها منسحقة في حفرة واسعة ضحلة.

بدا الأمر كما لو أن جسمًا بحجم مركبة فضائية صغيرة مكث هناك مدة طويلة. فقط قطعة واحدة من الأرض كانت محمية من المطر والرياح ولم تغزها النباتات. على مسافة ليست بعيدة، أشياء مثل براميل مياه معدنية وأطباق تتطاير من حولها، وكان ثمة شيء يشبه علف الحيوانات يلتصق بالأطباق. كان الأمر كما لو أن بشرًا كانوا هناك حتى ما قبل مدّة وجيزة، ولم يمض وقت طويل على رحيلهم.

ولكن بينما كنت واقفةً، تطايرت الخيمة في الرياح، وتناثرت مياه الأمطار حتى ملأت الحفرة وابتلعتها.

بمجرد أن اختفى كل شيء، لم أستطع التأكّد مما إن كنتُ أتعرّض للهلوسة، أو أن الحفرة كانت هناك بالفعل.

بعقلٍ عاجزٍ عن التفكير، رحلت أتجول في الوحل بشكل محموم، كما لو كنتُ أنتَ مختبئًا هناك، في حفرة حفرتها في الأرض. ثم بدأت أحدث إليك، لكن كل ما عاد إليّ هو عواء الرياح المرير.

كنتُ خائفةً جدًّا. مرعوبة من احتمال أنك ربما انتظرتني هنا. أنك ربما أتيت إلى هذا المكان في اليوم المحدد، وانتظرتني، ثم غادرت وأنت تعضُّ على شفتيك، شاعرًا بالخيانة. كنت أمل وأدعو الرب أن يكون ما رأيته وهمًا، وإن لم يكن مجردَ وهم، فعلى الأقل ألا يكون من أتى إلى هنا هو أنت.

عندما وصلت بأفكاري إلى هذا الحد، رجعت إلى صوابي فورًا. وقررتُ أن أعود أدراجي إلى السفينة. وأن عليّ ركوب السفينة والانطلاق حتى أجدك.

لكن عندما وصلت إلى السفينة، كانت المياه قد غمرت نصفها تقريبًا. وكانت المياه الموحلة تتدفق بصوت هادر عبر المدخل.

كنت أقف هناك تصفعني الرياح ورذاذ المطر عندما بدأ صوت القبطان ينطلق من قارئ الكتب الإلكترونية في جيبي. كانت الشاشة الصغيرة للقارئ قد تحطمت، وكان بإمكانها إصدار صوت فقط، لكن كان ذلك مفيدًا أيضًا.

قالت "هون": "الوضع ليس جيدًا. لست متأكدة من المدة التي سأتمكن فيها من العمل بشكل صحيح. إن كان هناك أي شيء يمكنني القيام به من أجلك، فأصدي أمرًا. هل ترغبين في التَّحَقُّق من صندوق رسائلك الواردة؟ إن سمحت لي بمعرفة كلمة مرورك".

طلبت من "هون" إرسال إشارة استغاثة. إلى أي مكان في الكون، إلى أي سفينة، لا يهم.

أخبرتها أن تذكر أن ثمة شخصًا موجودًا في هذا الميناء الفضائي الآن. أن أيًا كان من سيلتقط رسالة الاستغاثة، يجب أن يأتي ويأخذني بعيدًا، إلى أي مكان، في الحال. وإلا سأموت من الجوع والبرد، وشعور الوحدة الذي يلتهمني من الداخل بعد فشلي في لقاء حبيبي. أخبرتها أنني

لو متُّ فسيكون كل ذلك خطأها، وسأقدم شكوى رسمية لمالكها،
وأطلب تفكيكها إلى قطع صغيرة.

ردت "هون": "الجزء الأخير من كلامك بالتأكيد مُبالغة، ومنطقه
مَعِيب أيضًا، لكنني سأنفذه"، ثم حدّدت تنفيذ أمري كأولوية قصوى
لها.

رسالتها الـ7

7 شهور و24 يومًا من بداية الرحلة (مع استبعاد
المدة التي قضيتها في حالة سبات)

19 سنة و3 شهور ويومان بتوقيت الأرض

هل كنت بخير؟

أعلم أنه ربما يكون من المستحيل عليك استلام رسائل الآن، لكنني ما زلتُ أضع القلم الرصاص على الورق. ماذا لو تلقَّيتَ آخر رسالة أرسلتها؟ حتى لو لم تستلمها حتى الآن، فقد تتمكَّن من الحصول عليها يومًا ما. يمكن أن تحصل على رسالتي بالصدفة عندما تكون واهنَ الجسد ووجهك مليء بالتجاعيد، وما تفتأ تبكي في شيخوختك، معتقدًا أنه لا بُدَّ أنني ذبلت ومثُّ في ذلك الميناء، في انتظار مَنْ يُنقذني. لا يمكننا السماح بحدوث ذلك، هل يمكننا؟ لذا، أنا أكتب لأعلمك.

أنقذوني. لكن استغرق ذلك شهرًا.

استغرقت سفينة الشحن عشرة أيام لتغرق بالكامل. قضيت كل يوم في تلك الأثناء في استرجاع أي شيء يمكن أن يكون مفيدًا. وتحسُّبًا لأي طارئ، صنعت نسخة احتياطية من قبطان الذكاء الاصطناعي "هون" على قرص صلب وجدته. ثم حاولت استخراج الكود الأساسي

فقط، وتمكّنتُ من حفظ نسخة منه على القارئ الإلكتروني. مع أن الجهاز الصغير لن يستطيع تشغيله.

تجوّلتُ في أرجاء المدينة أحيانًا أيضًا. أينما ذهبت، كان الجميع قد رحلوا، وكانت المدينة خاوية تمامًا. ذهبت أيضًا إلى الكنيسة التي كان من المفترض أن نتزوَّج فيها. المبنى في الواقع في حالة جيدة جدًا رغم كل شيء. يبدو كما لو أن المؤمنين يلجؤون إليها، ويمكثون هناك عندما يمرُّون بالمكان. عشت بدوري في الكنيسة مدَّةً من الوقت. علّقتُ بعض الملاحظات من أجلك في حالة زرت المكان. أمل أن تتمكن من رؤيتها.

أوه نعم، هناك شيء ستسعد بمعرفته.

يبدو أن أصدقاءك حضروا في الموعد الثاني الذي حدّدناه لحفل زفافنا. تركوا صورة جماعية في القاعة. مع ملاحظة تقول إنهم ينتظرون، لذا من الأفضل أن نأتي.

كما قلت، أتت سفينة حتى تُقلّني بعد شهر.

أتمنى حقًا أن أريك وجه قبطان سفينة الركاب هذه. راودني شعور مألوف بشكل غريب حالما رأيته. يمكنني تصوُّره مسترخيًا فيما يركض حول سهل منشوريا، ويجزُّ رؤوس أعدائه من على ظهر الخيل.

على متن سفينة الركاب يوجد مقهى، وسوق للسلع الرخيصة والمستعملة أيضًا. ومع ذلك، تُستخدم كلها في أغراض مختلفة الآن.

عندما دخلت الغرفة المخصصة لي، تجمعت حولي فتيات بعيون كعيون القطط الضالّة من هنا وهناك في جميع أنحاء الغرفة. كان ثمة تسعة أشخاص يعيشون في غرفة صغيرة بحجم ظفر إصبع. تقاسمت أربع فتيات أحد سريرين، ورقدت فتاة واحدة أسفل المكتب، وأخرى داخل صوان الملابس، وثالثة في الحمام، ورابعة خرجت حتى من

الخزانة. كان السرير الآخر يخصُّ امرأة تتحكَّم في الغرفة مثل ملكة مملكة صغيرة. انتفضت منتصبه الظهر، وذراعاها مطويتان، ونظرت إليَّ من قمة رأسي حتى قدمي بعينين مُدَقَّقَتَيْن، ثم بدأت ترشقني بأسئلة مثل تلك التي تُوجَّه إليك في اختبارات الشخصية أو اختبارات مستوى الذكاء. ثم، بعد نقاش طويل بينها وبين الفتيات، أخلين الفجوة الضيقة بين السريرين حتى تكون مساحتي. حين رأنتني على وشك أن أحشر جسدي هناك، أخبرتني المرأة أن الفجوة لن تكبر؛ لذلك سأضطر إلى أن أصبح أصغر حجمًا بطريقة أو بأخرى.

أنا متأكَّدة من أن سفينة الركاب قد تخطَّت سعتها المسموح بها منذ زمن طويل، لكنهم يواصلون جلب المزيد من الأشخاص على متنها. وفقًا للمرأة المتحكِّمة في غرفتي، يحتاج القبطان باستمرار إلى نوع من الاستعراض؛ بعض الأدلَّة الجديدة على حقيقة أنه أصبح خارقًا، منقذ البشرية. وأضافت أي جزء حي من هذا الدليل.

في كل مكان في السفينة تُشغَّل الأغنية نفسها على نحو متكرَّر طوال اليوم. أغنية قديمة تبدأ بـ"ها أنا عائد إلى الوطن"، وهناك لافتات في جميع أنحاء السفينة.

القبطان ينسج خيوط خطة كبرى.

سيأخذ السفينة إلى الميناء الفضائي مرة كل عشر سنوات، ويمكث هناك لمدة شهرين لإدارة المنطقة المحيطة، ثم ينطلق إلى الفضاء ثم يرجع مرة أخرى، وهلمَّ جرًّا. سوف ينثر البذور ويزرع الأشجار، وبعد عشر سنوات، عندما تنمو الأشجار لتصبح غابة، سيعود أدراجه، ويزرع المزيد. خطَّته أن يفعل ذلك عشر مرات. ولو لم تكن عشر مرات كافية، فسوف يكرِّر العملية عشر مرات أخرى.

غرفة القبطان مغطَّاة بصور مدينة إنتشيون القديمة. يقول إنه في يوم من الأيام، سيُعاد بناء جميع المباني الموجودة في الصور. لا

يمكنه أن يكون جادًا حقًا، أليس كذلك؟ ومع هذا، رغم أنني مرتابة بعض الشيء، يبدو أن إيمانه وحماسه يحافظان على معنويات الجميع مرتفعة.

أربعة أشهر لكل دورة .. العودة إلى الأرض مرة كل عشر سنوات بتوقيت الأرض، عشر مرات. هذا يجعل منها أربعين شهرًا. ثلاث سنوات وأربعة أشهر. يبدو أنه شيء يستحق القيام به.

أعتقد أنك لا بُدَّ وقد غادرت إلى زمان آخر تمامًا. لو كنتَ تعتقد أن الأمر يستحق البقاء على الأرض، فمن المؤكَّد أنك كنتَ لتمحو التحذيرات المكتوبة في قاعة الانتظار. من أجل من قد يأتي لاحقًا، أو من أجلي. بالطبع، هذا فقط إن كنتَ قد نجحت في الوصول إلى هنا، ولكن لا يزال...

كنت أتناول الطعام في مقصف السفينة حين سألتني المرأة الجالسة أمامي لماذا صعدت إلى هذه السفينة. وهكذا شرحت لها أنني كنت في طريقي لمقابلة خطيبي، وبدأ الجميع من حولي يضحكون بشدة حتى بدت الجدران تهتز.

قال لي رجل كان يبكي من فرط الضحك إنني لن أستطيع مقابلتك. أنك لا بُدَّ وقد متَّ منذ زمن بعيد، أو نسيتني ورحلت إلى مكان آخر. ولذا أدليتُ بدلوي أيضًا. قلت لهم لا يمكنكم جميعًا العودة إلى دياركم. لذا فأنتم أيضًا بمثابة الراحلين. مع ذلك ألا زلتم جميعًا تبحثون عن طريقة للعودة إلى دياركم؟

عندئذ سكتوا جميعًا. واحدًا تلو الآخر، قاموا وغادروا وهم يتبادلون النظرات كما لو كانوا يرمون ميثاقًا صامتًا فيما بينهم بأن يكونوا عدائيين معي، ويهمشوني من تلك النقطة فصاعدًا. كانت المرأة المسؤولة عن غرفتي هي آخر مَنْ استيقظ، وقبل أن تغادر،

قالت: "كان هذا قرارًا أحمق، أيتها اللاجئة. من المفترض أن تُحسني التصرف إن كنت تريدين أن تظلي راكبة في مكان يملكه الآخرون".

حان وقت إغلاق الأنوار الآن. لا بُدَّ لي من إطفاء مصباحي.

في الظلام يمكنني سماع الفتيات يستلقين متجاورات، ويتمتمن فيما بينهن في همسات مثل القطط الصغيرة. أفكر فيك وأنا مستلقية في الفجوة بين السريرين.

أنت؛ بيتي، الذي أتوق أن أكون فيه...

أينما كنت، أتمنى أن تكون بصحة جيدة. أن يكون وقتك كله زاخرًا بأشياء رائعة.

رسالتها الـ 8

سنتان و4 شهور من بداية الرحلة بعد 70 سنة و6 شهور بتوقيت الأرض

آسفة لم أستطع الكتابة لمدة طويلة.

عامل الاتصالات على متن هذه السفينة رجل طيب، لكنه يصبح غاضبًا كلما قلت إنني أريد إرسال رسالة إلى حبيبي. حسنًا، هذا أمر مفهوم (أعتقد أنه أعزب). لذلك يجب أن أمثِّقه بحصص من الطعام أو هدية، لكن ليس لدي أي شيء أدخره حقًا لأعطيه له.

عدنا بالفعل إلى الأرض خمس مرات.

يسير العمل بسلاسة أكثر ممَّا هو مُتَوَقَّع. قد لا نحتاج حتى إلى إتمام الدورات العشر بأكملها. رأيت حدثًا مشابهًا لما تعيشه كوريا الآن ذات مرة في فيلم وثائقي قديم. في غضون سنوات قليلة من هجرها، ورغم تلوثها بالنشاط الإشعاعي، كانت تشيرنوبيل وفوكوشيما مكتظَّتين بالحياة النباتية والحيوانية. من منظور الطبيعة، لا يوجد ملوِّث أسوأ من البشر.

نحن نعمل جيدًا. اكتشفنا عددًا هائلًا من الروبوتات الصناعية في مصنع ليس بعيدًا عن الميناء. أرسلناهم إلى محطة الطاقة النووية في الجنوب؛ لبدء دفن المواد المشعة تحت البحر. يقول الجميع إن

العمل الذي نقوم به سيكون مادةً خصبة للأساطير والخرافات يومًا ما.

انضمت إلى طاقم استكشاف. أكاد أسمعك تضحك على عبارة "طاقم استكشاف". كيف يمكن لشخص أغلقت على نفسها مكتبها، ودفنت رأسها في الكتب في السابق، أن ينتهي بها الأمر ضمن طاقم استكشاف؟

نقود سيارات الجيب في أرجاء المدينة الفارغة، وننظر من حولنا. إن وجدنا أي شيء يمكن أن يكون مفيدًا، نحمله في سيارات الجيب ونجلبه معنا في أثناء رجوعنا. ثم يعطي المشرف الجميع درجات بناءً على ما جمعوه. الحصول على درجات على مثل هذا العمل يبدو سخيفًا، أليس كذلك؟ لكن الجميع قرروا ذلك معًا. اعتقدنا أن القليل من المنافسة سيكون بمثابة تشجيع. يحصل الأشخاص ذوو أعلى الدرجات على حلوى أو شوكولاتة كمكافأة. أي شيء حلو أعلى من الذهب الآن.

آخر مرة رجعنا فيها إلى الأرض، هبطت عائلةٌ للأبد دون عودة. وفقًا للأشخاص الذين زاروا هذه الفترة الزمنية، فقد كبرت الأسرة لتصبح مكونة من أربعة عشر طفلًا. كانوا يحرقون الحطب في المدفأة ويزرعون البطاطس والذرة في الحديقة. عندما كانت سفينة الركاب تعود إلى الأرض، كان أكبرهم يضيء مصباحًا أمام منزلهم كل ليلة. على ما يبدو، يعتقد الأطفال أننا ملائكة نزلوا من السماء في تاريخ محدد. هذه المرة، هبطت ثلاث عائلات أخرى. هبطت زوجة القبطان وأطفاله أيضًا. قالت إنها تريد تربية أطفالها على الأرض.

أعتقد أن الأمور ستنتهي على نحو جيد. بعد كل شيء، إذا ضاعفت الرقم اثنين، وضاعفت حاصل ذلك عشر مرات، فسيكون الناتج 1024.

لن يمرّ وقت طويل قبل أن تصبح العائلات التي نزلت على الأرض أسلافَ بلدّةٍ صغيرة.

على متن السفينة، تُقدّم شتى أنواع التعليم بحماس. إنها مختلفة تمامًا عمّا تعلّمناه في المدرسة. تمّ تأسيس جمعية للمعلّمين. يتعلم الأطفال كيفية زراعة النباتات الصالحة للأكل والبحث عنها، وجمعها. كما شكّلت لجنة خاصة مكلفة بإعداد كتاب مدرسي جديد. حرّره أنا ودقّقته. تلقّيت الكثير من الثناء على مدى جزالة الجُمَل.

يعطون دروس الملاحة في غرفتنا. من الواضح أن قائدة غرفتنا كانت ملاحّة السفينة سابقًا. لكن يبدو أنه أُطيح بها من منصبها بعد أن اختلفت مع القبطان. وملاح الذكاء الاصطناعي الذي حل محلها أكثر دقّةً ممّا يمكن أن يكون عليه الإنسان على أي حال.

وضعت المرأة لوحةً بلاستيكية كبيرة على جدار الغرفة، وكل يوم، تكتب عليها معادلةً مُعقّدة باستخدام قلم سبّورة، وتطلب من الفتيات حلّها. يقسمنّ المعادلة فيما بينهنّ، ويَقُمنّ بالحسابات، ثم يجمعنّ إجاباتهن. هذه بالضبط الطريقة نفسها التي استخدموها في الأيام الخوالي، عندما أرسلوا رجُلًا إلى القمر بناءً على الحسابات التي أجراها البشر قبل أن تتمكّن أجهزة الكمبيوتر الآلية من القيام بذلك. على ما يبدو، يجهّزون أنفسهم حتى إذا ما تعطلّ ملاح الذكاء الاصطناعي، يكونوا قادرين على توجيه السفينة بأنفسهم بالاستعانة بالمرأة.

أعتقد أن كل شيء سينتهي على نحو جيد. البشر كائنات رائعون بعد كل شيء.

رسالتها الـ 9

**سنتان و5شهور و20 يومًا من بداية الرحلة
بعد 74 سنة (تقريبًا) بتوقيت الأرض.**

انتهى.

انتهى الأمر تمامًا.

قالت "هون" إن شيئًا غريبًا كان يحدث على الأرض؛ لذلك هرعنا عائدين. عندما باتت في مجال رؤيتنا، تراءت الأرض مُغطَّاةً بسحابة سوداء. بدت وكأنها كرة مظلمة يلفُّها الدخان. صرخ كل الناس الذين رأوها من مسافة بعيدة من خلال النوافذ وصاحوا، وعمَّ الهرج والمرج في كل مكان.

لا أعرف ما حدث. سواء كان ذلك بسبب الحرب أو بسبب اصطدام كويكب، لا يمكننا الجزم. أتذكر أنه عندما كانت هناك حضارة، كان يوجد نظام لمراقبة الكويكبات التي تقترب من الأرض، وأن أي شيء هذا القبيل قد توقَّف منذ مدة طويلة عن العمل.

القرية الصغيرة التي بدأت تتشكَّل، كانت مدفونةً بالكامل تحت الثلوج. المنزل الذي كان يعيش فيه أربعة عشر طفلًا، ومنازل العائلات الثلاث التي هبَّطت حديثًا، وعائلة القبطان أيضًا- اختفت جميعًا دون أي أثر. حتى لو كانوا قد نجوا من الكارثة وفرُّوا إلى

مكان ما، فلن يتمكّنوا من البقاء على قيد الحياة؛ نظرًا لأن النباتات قد ماتت جميعًا، وستتبعها جميع الحيوانات قبل مُضيّ مدة طويلة، ما كانوا لينجوا خلال فصل الشتاء الأول.

فقد القبطان رشده. وكان يتلعثم وهو يتلفّظ بكلمات غير مترابطة لبضعة أيام، ثم يتحدث دون انقطاع عدة أيام. في بعض الأيام يكون صوته مرتفعًا جدًا. طوال اليوم يكرّر إلى ما لا نهاية أشياء قالها بالفعل. يجوب السفينة بأكملها، قائلًا إن قلمه أو قده قد اختفى. يستطرد متحدثًا عن الكيفية التي لا ينبغي أن يستغرق الأمر وقتًا طويلًا للعثور على قده، قائلًا إن جميع الركاب لا بُدَّ وأنهم أغبياء. بينما يقبع قده أمامه دائمًا.

فكّرتُ بك. خطر بيالي أنك لو كنتَ لا تزال على الأرض لما تمكّنتَ من النجاة. كل ما أتمناه هو أنك تتجوّل في بقعة ما في الكون الفسيح. لكن عندما تفكّرت في الأمر مليًا، توصلتُ إلى استنتاج مفاده أنك لن تكون قادرًا على النجاة حتى لو كان هذا هو الحال.

عندما وصلت أفكارِي إلى هذا الحد، بكيثُ لأول مرة منذ صعود هذه السفينة. قال شخصٌ كان يمرُّ ورائي شيئًا مثل: "ربما تصرّفتَ هذه الشّابّة وكأنّ لا شيء يمكن أن يؤثّر فيها، لكن اتّضح أنها ليست مختلفة عنّا بعد كل شيء".

الجوُّ صاحب خارج الغرفة. هناك احتجاجٌ يجري، حيث يقول الناس إنه في ظل هذا الوضع، يجب إجبار جميع اللاجئين على النزول. أغلقت قائدة غرفتنا الباب، وكانت تعلّم الفتيات أغنية عن حساب التفاضل والتكامل، حتى لا تضطرّ إلى سماع ما يجري بالخارج.

كنت أحدّق من النافذة عندما جاءت إحدى الفتيات، وأخبرتني أن قاعة زفافي ستصمد.

قالت: "ذات مرّة سمعت عن جسدٍ صغيرٍ ماموثٍ ظلَّ محفوظًا في الجليد لأكثر من عشرة آلاف عام". أُكِّدَت لي أن العالم سينام بسلام تحت تلك العاصفة الثلجية. فقط إن لم يصبح الجليد كثيفًا جدًا. فقط إن لم يصبح ثقيلًا وقاسيًا لدرجة أن يسحق ويسوي كل شيء تحته.

هل يمكن أن يأتي مثل هذا اليوم؟

هل يمكن أن يأتي، بعد مرور عقود أو حتى قرون، هذا اليوم الذي سيدوب فيه الثلج، وتظهر الكنيسة مرة أخرى، ويتصادف أنك تزور قاعة زفافنا وترى الملاحظات التي تركتها لك؟ حتى لو كان ذلك ممكنًا، فهل ستكون قصاصات الورق هذه مصدرَ راحةٍ وعزاءٍ لك على الإطلاق؟

رسالتها الـ 10

سنتان و8 شهور من بداية الرحلة بعد (حوالي) 84 سنة بتوقيت الأرض

عُدنا إلى الأرض. رغم الخطّة الأصلية، والتي كانت أن نستمرّ في السفر عبر الفضاء حتى تتعافى الأرض. حصلنا على معلومات تفيد بأن سفينةً أخرى كانت على وشك الوصول إلى الميناء الفضائي.

لأول مرة منذ زمن طويل، كان الجميع متحمّسين، قائلين إن السفينة لا بُدَّ وأنها ضخمة إنْ تمكّنت من أن تظلّ صالحة للعمل حتى الآن، ومن المؤكّد أنها تحمل جميع أنواع البضائع. أبهجتهم احتمالية أن السفينة قد تحتوي على مخزون من السوجو أو السجائر، أو إن كانوا محظوظين حقًا، ربما حتى بعض الكيمتشي. قبل أسبوع من موعد الهبوط، بدأ الناس في الانقسام إلى مجموعات متشدّدة ومعتدلة، واندلعت خلافات محتدمة بينهم. استعدّ المتشدّدون للحرب. في المقابل جهّز المعتدلون الهدايا ووفدًا دبلوماسيًا. بحلول الوقت الذي كنّا مستعدين للهبوط، كان الوضع سيئًا للغاية لدرجة أنهم كانوا قد تمادوا تقريبًا، وشكّلوا أحزابًا سياسية.

ولكن عندما هبطنا هناك، تبين أنها ليست سوى سفينة شراعية شمسية غير مأهولة تُحلّق من تلقاء نفسها بقوة دفع الرياح الشمسية. لكنني كنتُ من الرتبة الثالثة؛ ممّا يعني أنني كنت عالقةً

في بطن السفينة طوال الوقت؛ لذا لم أتمكن من الخروج لرؤيتها بنفسي.

عندما تمكنتُ أخيراً من إنهاء حصّتي من العمل، والعودة إلى أعلى مرة أخرى، كان الجوُّ في السفينة جليدياً مثل الطقس في الخارج. كان الجميع محبطين تماماً. لمدة من الوقت لم يقلّ الناس أيّ شيء على الإطلاق، ولم يتواصلوا بالعين حتى، كما لو كانوا جميعاً أشباحاً. تفشّت خيبة الأمل، وخلال عطلة نهاية الأسبوع تُوفي ثلاثة من كبار السن الذين كانوا على متن السفينة. الموت يأتي بسهولة، أليس كذلك؟

طويثُ أنا والفتيات ورقاً مقوى حتى نصنع زهوراً وضعناها فوق نافذة غرفتنا من أجل السفينة الشراعية الشمسية، من أجل البطل الصغير المجهول الذي سافر بمفرده على متن سفينة شراعية شمسية مدّةً طويلة.

أعتقد أنك لم تفهم معنى مصطلح "الرتبة الثالثة".

إن كان عمل شخص دون المستوى أو ارتكب خطأ، فسيحصل على نقاط جزائية، وإن زادت النقاط الجزائية هذه، فستنخفض رتبته إلى فئة أقل. كنتُ في الرتبة الثانية حتى ما قبل شهر، لكنني تعرّثُ بعد ذلك عندما كنت أحمل دلوّاً من الحساء، وانسكب في كل مكان؛ لذلك رُكِلْتُ إلى الرتبة الثالثة، مع أن دلو الحساء كان ثقيلًا للغاية. عندما يُوضع الناس في الرتبة الثالثة، يجب عليهم النزول إلى بطن السفينة والعمل هناك، ولا يمكنهم الصعود مرة أخرى إلا بعد الانتهاء من حصّة عملهم بالكامل. عندما تنزل إلى رُتَبَةِ أدنى، يتوقّف الناس فجأة عن التحدّث إليك، كما لو كنت غريباً عنهم.

من البديهي أنه إذا مُنِحَتْ نقاط جزاء بهذه الطريقة، فلا بُدّ من وجود نقاط استحقاق أيضاً على إتقان العمل، لكنني لم أحصل

على واحدة. إن قُلِّصَت الحصص الغذائية بحجة العقوبة، فلن يدرك الناس أننا نفتقر إلى المؤن، بل سيعتقدون أنهم أنفسهم يفتقرون إلى شيء معيّن. يلوم الناس أنفسهم عندما تتقلّص حصصهم الغذائية، بدلاً من إلقاء اللوم على المسؤول حقًّا. ويلومون الناس من حولهم الذين جعلوهم يخطئون ويتلقّون نقاطًا جزائية. وهذا يؤدّي إلى أن يكون الناس في حلق بعضهم البعض، وتنشب معارك مستمرة بينهم. حتى إن الناس هنا يقولون إن ضرب أحدهم حتى يُغمى عليه يمنحهم شعورًا بالتحرُّر، والتنفيس عن غضبهم.

نقاط جزائي تستمرُّ في الزيادة. بغضُّ النظر عمَّا أفعله، لا يمكنني منع ذلك. أستمر في القيام بالمزيد والمزيد من العمل لإثبات جداتي، ولكن كلما زاد العمل الذي أقوم به، زادت الأخطاء التي أرتكبها؛ لذا أحصل على المزيد من نقاط الجزاء.

يوزع المشرفون نقاط الجزاء بسخاء، وهذه هي الطريقة التي يربحون بها -هم- المزيد من نقاط الجدارة. ولكن هل تعلم؟ أعتقد أن الحصول على نقاط جزاء على أشياء تافهة من هذا القبيل يقوِّض النظام بأكمله، ويدمِّر قدرة الجميع على تمييز الصواب من الخطأ. حتى لو كان أحدهم مخطئًا، فسيرفع صوته سخطًا واحتجاجًا، وحتى الشخص الذي لم يقترف شيئًا خاطئًا يمكن أن ينتهي به الأمر يبكي ويلوم نفسه.

يحدّرني الناس من عدم الانحدار لما هو أدنى من الرتبة الثالثة. على ما يبدو، إن انحدرت إلى ما دون الرتبة الثالثة، يحدث شيء فظيع لك، شيء مخيف جدًا لدرجة أنه من الأفضل ألا تعرف أبدًا ما هو. في كل مرة أتناول فيها طبقًا من الأرز في المقصف، يحدّقون جميعًا إليّ بوجوه مثل وجوه الكلاب الضالة المنهكة. كل لقمة أتناولها تراقبها عشرات العيون. يحسبون حبّات الأرز التي تَلج فمي، ويعبسون في

وجهي اشمئزاً من الغبار الذي ينبعث من جسمي المتسخ. كل تلك العيون تعلم أنه لا بأس في أن تكرهني.

أعتقد أن القبطان قد فقد عقله حقاً. كل يوم يلقي خطبة لمدة ثلاث ساعات أو أكثر، ويقول شيئاً مختلفاً في كل مرة. حتى مجرد حديث شخص كل هذه المدة دليلٌ كافٍ على أنه مجنون.

الشيء الذي لا أفهمه كيف يطيعونه جميعاً بخنوع. يرددون جميعاً في تناغمٍ إنه في مثل هذه الأوضاع التي نمرُّ بها، نحتاج إلى شخصٍ مثله ليقودنا. لكن من وجهة نظري، كلما كانت الأوضاع أكثر بأساً، كان من الأفضل ألا يتصرّف أي شخص بهذه الشاكلة إطلاقاً.

يبدو لي أن أكثر ما يريده الناس عندما يكونون في مثل هذا الموقف الصعب هو عالم حيث يمكنهم بسهولة تعذيب الناس، دون الشعور بالذنب. يحترمون القبطان ويبجلونه لمجرد أنه يمنحهم الفرصة ليكونوا قُساءً.

قبل مدة ليست طويلة من بدئي كتابة هذه الرسالة، حدث شيء غريب جداً.

عندما كانت سفينة الركاب على وشك الإقلاع من الأرض، لفتت انتباهي المناظر الطبيعية البيضاء المغطاة بالثلوج عبر النافذة. وكانت السفينة الشراعية الصغيرة، العتيقة والمتهاكّة، رابضةً هناك بمفردها. كانت بعيدة جداً، وكان الثلج يتساقط بكثافة لدرجة أنني بالكاد كنت أستطيع تمييزها. خطر ببالي أن السفينة كانت أشبه برجلٍ تُلجّ ضئيل الحجم. وفي تلك اللحظة، تغلّب عليّ فجأة شعور قوي، فقفزت صاعدةً الدرج. ركضت نحو الكوّة. لو لم يمسك بي الناس، فربما كنت سأركلها مفتوحة، وألقي بنفسي خارج السفينة.

لا أعرف لماذا فعلتُ ذلك. شعرت فقط باشتياقٍ جَمٍّ لتلك السفينة الصغيرة. لم أكن أعرف حتى اسمها، لكنني اشتقت إليها بشدَّة، لدرجة أنني اعتقدت أنني قد أموت.

رسالتها ال 11

4 سنوات و8 شهور من بداية الرحلة بعد (حوالي) 145 سنة بتوقيت الأرض

آسفة، لم أكن قادرةً على إرسال كلمة مدة طويلة. تخصيص وقت للكتابة يزداد صعوبة.

مثل وعاء من الماء يسخن تدريجيًا حتى يغلي، يستمرُّ عبء عملي دون أن أدرك ذلك حتى. ذات مرة، فَقَدَ أحد المشرفين أعصابه معي لكوني بطيئة جدًا. عدّدت كلَّ العمل الملقى على كاهلي، لكنه أخبرني فقط أن لا أكذب؛ كيف يمكن لشخص واحد أن يفعل كل ذلك؟!

هاجمني جميع الركاب وكأنني فشلتُ في إعادة شيء يخصهم. يشرحون، وهم ينفثون غضبهم في أن هذا واجب المواطن الصالح. من خلال توبيخهم لي، يدعّمون ما يسمّونه العدالة الاجتماعية ويحافظون على النظام السليم من منظورهم. يقولون أيضًا إن معاقبة شخص مثلي بمثابة ضرب مثال للآخرين.

أصبح أضحوكةً إن حاولتُ المجادلة. من الواضح أن حقوق الإنسان وظروف العمل ليست سوى أنواع الأشياء التي يحبُّ المحرّضون التشدُّق بها دون تطبيق فعلي. في الوقت الحاضر، أي حديث من هذا القبيل يُواجه بالتهكُّم والاستخفاف. يبدأ الجميع في الوعظ بعبارة "في

مثل هذه الظروف"، لكنهم لا يتذكرون في الواقع متى أو كيف بدأت "هذه الظروف".

يتعيّن علينا جميعاً من الرتبة الثالثة الإنصات إلى الأشخاص من الرتبة الأولى وهم يلقون الخطب لساعات وساعات كلّ أمسية. إنه لأمر مدهش بالنسبة لي أنه رغم قدرتهم على إلقاء مثل هذه الخطابات المعقّدة، فقدوا جميعاً راحة عقولهم في انسجام تام.

بدأ القبطان ودائرته الداخلية خطّة جديدة غريبة. قرّروا أنه لم يَعد من الممكن إنقاذ الأرض من خلال الطرائق الأخلاقية. يقولون إنهم سيرسلون إلى الأرض مجموعة من الأطفال الذين لم يتلقّوا أيّ تعليم ويجعلونهم يتكاثرون (لم أصدّق أذني عندما سمعت هذه الكلمة!)، حتى لا يعرف أيّ منهم كيفية القراءة أو الكتابة أو أيّ شيء عن العلم. ثم بعد بضعة عقود، عندما يكونون قد شكّلوا قبيلةً بدائية، ستنزل السفينة إلى الأرض بتكنولوجيا غامضة وتُبهرهم بالمعجزات. بهذه الطريقة سيؤمن أبناء الأرض بأننا آلهة، ويخضعون لهيمنتنا. علاوة على كل ذلك، يقولون إنهم سيترون تجليات "إلهية" استراتيجية ليكتشفها الأطفال، وبعد ذلك في غضون بضعة قرون سيطلبون منهم إعادة بناء مدينة قديمة مقدّسة على أساس ذلك الوحي الإلهي.

في المرة الأولى التي اضطررت فيها للاستماع إلى كل ذلك، كان سخيّاً للغاية، ولم أستطع منع نفسي من الصراخ "يال له من هراء!" في منتصف الخطاب.

وهكذا نزلتُ إلى الرتبة الرابعة.

الرُتبة الرابعة ليست فظيعةً كما كنت أخشى. مع أنني اضطررت للعيش في بطن السفينة لمدة شهر كامل. ما جاء بعد ذلك كان أسوأ. عندما عُدتُ، داهمتُ اللاجئاتُ غرفتي. طالبن بمعرفة سبب قيامي

بأشياء تلفت الأنظار إلينا، ممّا يجعل حياتهنّ المعدّبة أسوأ حتى.
أطلقن عليّ اسم "عدو داخلي".

في تلك اللحظة تواصلتُ مع "هون" لأول مرة منذ زمن طويل.
قالت: "أنتِ لا تبدين بحالة جيدة. عليكِ أن تأكلي على نحو جيد،
وتنامين جيداً".

أجبتها: "أتمنى لو أستطيع، يا هون. لكن هذا ليس خياراً متاحاً
الآن".

قالت "هون": "آه، طرائق العالم البشري!".

أردتُ أن أذكر حالةً تصبح فيها نجاة شخص واحد أولوية على
نجاة الأغلبية. حاولت: "أمتلك نوعاً خاصاً من الدم يمكن أن ينقذ
البشرية من جائحةٍ تهدّد حياة كلِّ شخص على وجه الأرض. وإن لم
أكل شيئاً الآن، فسأمت من الجوع".

عندما قلت ذلك، أصدرت "هون" ضحكة مكتومة جافّة وقالت لي،
"إثبات الأشياء التي تقولينها يغدو أصعب".

لذلك فكّرتُ في شيء آخر.

"الأشخاص الذين يريدون مني إنجاز مهمّة التنظيف يستبعدونني،
ولن يعطوني أي شيء لآكله".

عندئذ أجرت "هون" حساباتها لبرهة من الوقت، ثم قالت: "آها،
فرضية أن الأغلبية قتلة جماعيون. في هذه الحالة، تختفي مسألة
المصلحة العامة، وتعطى الأولوية للشخص الفاضل. هذه الفرضية
يمكن أن تعمل". أضافت "هون": "سأنقذ أمرك، هذه المرة فقط. لكن
في المرة القادمة ستحتاجين إلى تقديم دليل".

أنا مُنهكة جداً. من الأفضل أن أنام قليلاً لأنني سأكون مشغولة
مرة أخرى غدًا.

عزيزي، أحاول عدم الانجرار إلى أي مشكلة.

أحاول حقاً عدم التورط.

لأنه حتى لو فعلت، فلن أكسب شيئاً.

حتى لو كان هذا أقصى طاقتي، عندما نلتقي أخيراً، أعتقد أنني

سأكون قادرةً على إخبارك أنني عِشْتُ حياة جيدة.

رسالتها الـ 12

5 سنوات و5 شهور من بداية الرحلة بعد (ربما حوالي) 170 سنة بتوقيت الأرض

أنا في طريقي إليك.

حتى لو لم تُعد في هذا العالم.

حتى لو وصلت حياتك إلى منتهائها بهدوء، بعد أن جُبت في حقبته ما من العالم في الماضي البعيد. حتى لو استقررت في مكان ما، وكوّنت أسرة، وبنيت كوخًا صغيرًا، وعِشتَ بهناء، وكنّت تقول لأطفالك من فينة إلى أخرى: "أتعلمون، كانت توجد امرأة أخرى في حياتي، كان يفترض بي زواجها. لكنها حنّثت بوعدها ولم تحضر حفل زفافنا أبدًا"، ثم تموت بسبب الشيخوخة، تاركًا وراءك قبرًا صغيرًا.

ترقى أحد اللاجئيين الآخرين إلى منصب يشبه حارس سجن. وظيفته الإشراف علينا جميعًا، والحصول على نقاط استحقاق إضافية كلما عدّنا أكثر.

في كل مكان في أرجاء السفينة، يتحدث الناس عن أشياء مثل "البقاء للأصلح". يبدو أنهم جميعًا يحبّون علم الأحياء التطوري بشغف. غالبًا ما يقولون أشياء مثل "من الطبيعي أن يحصل القوي على المزيد، ويجب أن يرضى الضعيف بالأقل"، ثم يستطردون أنهم لا يمكنهم حماية حقوق ومصالح الركاب الفعليين إلا من خلال انتزاع حقوق الركاب اللاجئيين الذين يستقلّون السفينة مجانًا مثلنا.

في الأيام التي يجزع فيها قلبي، أفكر فيك.

أفكر فيك وأنت تتجول بجلبه في الورشة، وتتعرّق بغزارة فيما تحاول صنع شيء ما، ثم تتوقّف حتى تُريني عملك. الطريقة التي بدت بها، واقفًا بشموخ، مزهوًّا بنفسك.

أو وأنت تتجول في موقف الحافلات، وجهك مُلطّخ بالزيت، ثم تبتسم ابتسامة كبيرة بمجرد أن أترجّل من الحافلة.

أفكر في جبهتنا تتلامسان، كلٌّ مِنّا يبتسم للآخر بعد مطارحة الغرام في منتصف الليل، وكل النكات السخيفة والمحادثات الغبية التي نتشاركها.

أفكر كيف ستخبرني بأشياء على غرار أنه يمكنك سماع الموسيقى التصويرية لفيلم رومانسي في أذنيك عندما أكون معك، أو أن حقيقة وجودي في العالم تجعلك سعيدًا جدًّا لدرجة أنك لا تعرف ما يجب عليك فعله. ثم تُلحُّ عليّ لأخبرك بشيء لطيف كهذا أيضًا.

عندما أفكر في كل هذه الأشياء، أشعر أن حاضري كله متوهّج.

مهلاً يا حبيبي، راودتني الآن فكرة مثيرة للاهتمام.

قالت "هون" إن برمجتها تستند إلى بيانات المرأة التي صنعتها. لذلك أحيانًا تبدو وكأنها المرأة نفسها. حتى أنها تدلي بتعليقات مثل "حسنًا، عندما كنتُ إنسانة..."، ثم تضيف "أعلم، أعلم، أنا آلة. ولكن يوجد احتمال ضئيل أن أكون شخصية بشرية أيضًا".

ماذا لو. فقط ربما، تحسبًا لـ.. ماذا لو كان من الممكن حفظ شخصية إنسان؛ ما يجعل المرء شخصًا، على جهاز كمبيوتر... ولو كان من الممكن تسمية بيانات الإدخال هذه بـ"الشخصية البشرية"...

رغم أنه قد لا يوجد شيء اسمه الروح... إن كان من الممكن احتواء عقل الشخص وحفظه، بشكل أو بآخر، في صورة بيانات...

في هذه الحالة، ألا يمكن اعتبار هذه البيانات شخصية ذلك الإنسان؟ أو شظايا منها على أقل تقدير.

لذلك السبب أرغب في مواصلة العيش. حتى أبقيك حيًا. حتى أبقيك، أنت يا من أحببت أكثر من أي شخص آخر في العالم كله، حيًا.

لأن كل الأدلة والآثار على أنك كنت موجودًا في العالم، بداخلي، لأنني ما تبقي منك.

أهمس في حين أفتح عيني مع قدوم الصباح: "شكرًا لك يا حبيبي". وأهمس بذلك عندما أخلد إلى النوم ليلاً. أهمس بذلك إلى أنت الذي أحمله بداخلي.

شكرًا على كونك معي. شكرًا لإعطائي هذا الدافع للعيش.

أنت تبقيني على قيد الحياة. أينما كنت الآن. سواء كنت ميتًا أم حيًا، أو تسافر في مكان ما في فضاء شاسع ومفتوح.

عندما تصل السفينة إلى سرعة الضوء، يتباطأ كل شيء.

تلاشت الجاذبية الناتجة عن التسارع وطفا الناس في أرجاء السفينة مثل البالونات. على مسار الضوء، يتوقف العنف والمضايقات مؤقتًا. يتطلب لكم أحدهم في وجهه قدمًا ثابتة على الأرض، لكن بدون الجاذبية، لا توجد طريقة لتوجيه ضربة عنيفة. مع عدم وجود قوة احتكاك، لا يمكن حتى لأمتن يد إمساك ياقة أحدهم حتى. ولو ضربت أحدهم، فسترتد إلى الوراء بسبب انعدام الجاذبية، وستطير وقد فقدت توازنك أيضًا.

الناس الذين طالما كانوا قساةً وعصبيين يرفرفون في الأرجاء بلا حول ولا قوة كأوراق شجر ميتة.

حتى وهم يصرون على أسنانهم، ينتظرون الوقت المناسب، ويؤجلون أي رغبة في المضايقة حتى تسري الجاذبية مرة أخرى. وغرفتنا، التي عادة ما تكون ضيقة لدرجة يمكن أن تنفجر، تصبح واسعة مثل ملعب رياضي. لست بحاجة إلى قطعة أرض لكي أستلقي وأنام عليها. كل شيء طافٍ، كل ما عليّ فعله هو العثور على بقعة قرب السقف أو مقابل الحائط وأنام بشكل مريح كأنني في فندق فاخر.

يا عزيزي، أتعلم ماذا؟ الأطفال الذين يولدون على متن السفينة لا يرون الأرض موطنًا لهم. هذا البحر من النجوم هو موطنهم. يشعرون بالارتباك عندما تهبط السفينة، ويسألون البالغين لماذا أصبح الزمن صعبًا وجامدًا على الأرض.

يعتقدون أنه في كل مرة يستيقظون، يجب أن يختفي كل شيء أو يتغيّر. عندما يفتحون أعينهم في الصباح، وأي شيء كان خارج النافذة بالأمس لا يزال موجودًا، والسماء التي رأوها بالأمس هي نفسها؛ يشعرون جميعًا بالارتباك.

عزيزي، أعتقد أنه كان لديّ الكثير من الوقت للتفكير، لكنني قرّرت شيئًا.

إنّ أنجبْتُ طفلًا يومًا ما، أريده هنا على مسار الضوء هذا. في هذا المكان حيث حتى ما هو قويٌّ وشرسٌ يصبح هشًّا وناعمًا مثل الفقاعات. في هذا المسار، حيث يتدفّق الزمن ويتعد مثل شعاع ضوء.

بهذه الطريقة لن يفقد الطفلُ وطنه أبدًا.

لن يكون لدى طفلنا أي شيء يمكن أن يخسره. لن يدمر نفسه،
ويخرب العالم وهو يحاول استعادة مدينة مفقودة، مثل قبطان هذه
السفينة وركابها.

لن يفقد منزله، لأن طريق النور هذا سيكون المكان الذي أتوا
منه.

دعنا نحاول ذلك على الأقل... لو كُتِبَ لنا اللقاء.

رسالتها الـ 13

(غالبًا) 6 سنوات و10 شهور و20 يومًا

من بداية الرحلة

توقيت الأرض مجهول

كان اليوم العشرين منذ أن بدأت السفينة عملية التباطؤ. حاملًا نترك مسار الضوء، أكون دائمًا في حالة عصبية قَلْقَة. الجاذبية تدفع الناس إلى الطَّيش.

رأيت ثلَّةً من الرجال يجرون لاجئًا من غرفته بعد إطفاء الأنوار.

كان الرجل يقول لمدة من الوقت إنه يريد الهبوط من على متن السفينة، لكنهم بدؤوا عمدًا شيئًا مريبًا معه في منتصف الطريق عبر الفضاء. اتَّهموه بالرغبة في الفرار دون دفع فاتورة كل المساحة والوقت اللذين شغلتهما في السفينة، ونصيب الإمدادات الغذائية الثمينة التي كان يلتهمها خلال المدة التي قضاها على متن السفينة. لم أستطع فهم ذلك. ألم يكن هذا بالضبط ما أراده منَّا هؤلاء الناس؟ أن نغادر السفينة؟

في الظلام، كل ما استطعتُ سماعه هو تعرُّض أحدهم للضرب، وفي لحظة مُعيَّنة، تواترت الصرخات المصاحبة للضرب، وأصبحتُ أكثر رعبًا حتى. بينما كنت أرتجف في الفراغ بين الأسِرَّة، أمسكت المرأة التي تحكُّم غرفتنا بيدي الجليدية وقالت: "أذهبي وتواري عن الأنظار في

مكان ما الآن. سيكونون أكثر هدوءًا في الصباح، ما أن يناموا ويتناولوا وجبة ساخنة".

أعطتني إحدى الفتيات حفنةً من الأرز غير المطبوخ. أخبرتني أن أقضّمها في حالة اضطررت للبقاء مختبئة مدّةً طويلة؛ فهذا من شأنه أن يخفّف عضة الجوع.

وهكذا اختبأت. كل هذا الوقت الذي أمضيته في تنظيف كل شيءٍ من جوف السفينة كان يستحقُّ شيئًا في نهاية المطاف. مثل الفأر، زحفت إلى ممرٍّ صغيرٍ لمحتته من قبل، وسلكت طريقًا لا يعرفه أحدٌ غيري، قادي إلى غرفة آلات ملأى بالأسلاك والأنابيب. كان المكان مكتظًّا وخائفًا بالداخل لكن النوم داهمني من شدّة التعب.

عندما فتحت عيني، كنتَ هناك معي. كنتَ في حالة من الفوضى. كان شعركَ مثل عشِّ طائرٍ عققق، وملابسك ممزّقة.

بينما أَداعب شعركَ، أخبرتك: "ما مغزى كل هذا؟ لا تُكلّف نفسك عناء الاغتسال حتى فقط لأن زوجتك ليست في الجوار!".

وبالطريقة نفسها، أمسكتَ بوجهي المصاب بالكدمات، ويديّ المخدوشتين، قائلاً: "كيف حدث كل هذا لك؟ لماذا تركتَ نفسك تتأذين هكذا؟ ما فائدة وجود زوج إن لم تستدعيه لدعمك في مثل هذه الأوقات؟ هذا هو بيت القصيد من الزواج".

وبعد ذلك بدأت تسرد أعذارك لعدم الاغتسال. أخبرتني أن سفينتك صغيرة جدًا لدرجة أن خزان المياه ليس أكبر من حجم ظفر. ثم فرّجتني على ذلك الحمام بحجم الظفر، وشرحت بفخرٍ عظيم كيف صنّعت الماء مُستخدِمًا صيغة كيميائية معيّنة. وانتظرتُ مني أن أشيد بك على ذلك.

ثم سألتني: "مَن الذي يمكن أن يكره حبيبتى الجميلة ويؤذيها؟"؛ لذلك قلتُ إنه لا مفرَّ من حدوث ذلك، أننى لاجئة ومهاجرة وراكبة بالمجان... أننى أخذ طعامًا ومساحة نوم من هؤلاء الأشخاص؛ لذا عليَّ أن أصبر وأتحمل.

عندئذ اتَّسَعَت عيناك وسألتني: "ماذا تقصدين بـ'لاجئة'؟".
مع هذه الكلمات، استيقظت.

اخترق طنين الآلات أذني. كانت البراغي والأسلاك تضغط على جسدي. كانت الرائحة الكريهة المعدنية تجعل التنفُّس صعبًا. أدركت أن نظام التكييف وأجهزة تنقية الهواء في السفينة كانت أخذةً في العطب.

"ماذا تقصدين بـ'لاجئة'؟" كلماتك تدور في ذهني. فجأة، بدا كل شيء غريبًا.

آه، فكَرْتُ، لا بُدَّ أنه كان حلمًا. حلم كُنَّا فيه متزوِّجين. وتمكَّنَّا من تأسيس منزل لنا في بيت ريفي صغير. لا بُدَّ أن النوم غلبني وأنا معك، ورأيت حلمًا غريبًا. كابوسًا فظيعةً لم تكن فيه بجواري، واضطرت إلى العيش محشورة مع أناس سيئين وعنيفين، قلوبهم تنضح بالغلِّ.

عدتُ للنوم. في غرفة صغيرة بحجم الظفر، مرة أخرى، كنت أنت تحاول إصلاح شيء ما.

"انظري لهذا؟" أشرت. "هناك ثقبٌ في السقف. يجب أن أتأكد من عدم تسرُّب المطر" أضفت وأنت تمسح العرق عن جبينك.

كنت أعلم أن هطول المطر سيكون آخر ما يقلقك إن كان هناك بالفعل ثقبٌ في سفينة الفضاء، ولكن نظرًا لأنه كان حلمًا، فقد قرَّرتُ ألا أكلف نفسي عناء الإشارة إلى تلك الحقيقة.

سألتني مجددًا: "ماذا تقصدين بـ'لاجئة'؟".

أطلقت تنهيدة عميقة. "إنه شيء هنا. لم أبدأ رحلتي على هذه السفينة. سعدت على متنها لاحقًا؛ لذا...".

"ماذا تفعلين هناك؟" مَدَدَت يَدَكَ إِلَيَّ. "أخْرِجِي مِنْ وَسْطِ هَؤُلَاءِ الْحَمَقِيَّ". لَمَعْتَ يَدَكَ الْخَشَنَةَ فِي الظَّلَامِ. "هَؤُلَاءِ النَّاسِ مَتَرَسِّخُونَ فِي الْمَاضِي. لَمْ يَكْبُرُوا وَلَمْ يَشِيخُوا يَوْمًا. لَا تَمَكِّي حَوْلَ أَنَاسٍ مِثْلِهِمْ". هَزَزْتُ رَأْسِي، وَقَدْ تَمَلَّكَنِي الْخَوْفُ.

لَا أَسْتَطِيعُ. أَنْتِ لَا تَعْرِفِ. لَا يُمْكِنُنِي الْبَقَاءُ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ لَوْ غَادَرْتُ هُنَا. هَذِهِ السَّفِينَةُ هِيَ الْحَضَارَةُ الْوَحِيدَةُ الْبَاقِيَّةُ. مَعَ أُسْرَةٍ وَمَرَاحِيضٍ وَحَمَامَاتٍ وَأَجْهَازَةٍ إلكترونية...

وَاصَلْتُ، "عَلَيْكَ أَنْ تَخْرُجِي مِنْ هُنَاكَ. لَا تَعَلَّقِي فِي الْمَاضِي. أَنْتِ تَنْتَمِينَ مَعِي، أَنْتِ تَعْرِفِينَ ذَلِكَ. عَلَيْنَا أَنْ نَشِيخَ مَعًا. عَلَيْنَا أَنْ نَمُضِيَ السَّنَوَاتِ مَعًا".

عِنْدَهَا فَقَطِ فَتَحْتَ عَيْنِي. رَجَعْتَ حَقًّا إِلَى صَوَابِي. كُنْتُ أَعْرِفُ بوضوح ما يجب عليّ فَعَلُهُ تَمَامًا مِثْلَ الشَّمْسِ.

بَعْدَ ذَلِكَ، احْتَدَمَ خَوْفِي مِثْلَ سَدُولِ الظَّلَامِ، لَكِنِّي هَدَأْتُ بِسُرْعَةٍ كَافِيَّةً. كَمَا تَرَى، لَمْ أَكُنْ مَتَأَكِّدَةً مِنْ قَبْلِ أَدْبَا فِي حَيَاتِي مِمَّا يَجِبُ أَنْ أَفْعَلَهُ.

لَا تَقْلِقْ يَا حَبِيبِي. أَنَا قَوِيَّةٌ.

بَعْدَ كُلِّ شَيْءٍ، أَنَا لَسْتُ وَحْدِي.

لَأَنَّكَ جِزْءٌ مِنِّي؛ مِمَّا يَعْنِي أَنَّنِي -طَوَالَ هَذَا الْوَقْتِ- لَمْ أَكُنْ وَحِيدَةً وَلَوْ ثَانِيَةً وَاحِدَةً. كُنْتُ دَائِمًا مَعَكَ. أَنَا مَعَكَ الْآنَ أَيْضًا؛ وَلِهَذَا أَنَا قَوِيَّةٌ.

أَنَا لَسْتُ لِاجْتِنَاءِ أَوْ مِهَاجِرَةِ أَوْ رَاكِبَةٍ بِالْمَلْجَانِ، أَوْ حَتَّى مَجْرَدِ امْرَأَةٍ.

أنا امرأتك. أنا امرأة الرجل الذي اخترته.

لذلك أنا قوة لا يُستهان بها.

لأنني أحبك كثيراً، ولأنني الشخص الذي أحببته أنت. أنت، الذي أحبه أكثر من أي شيء آخر في العالم، أحببتي. أحبني أعزُّ شخصٍ عندي.

أنا شريكة للشخص الذي اخترته ليكون شريكي، أنا رفيقة الشخص الذي اخترت أن يكون رفيقي، أنا أحبُّ الرجل الذي قرَّرتُ أن أحبه بقية حياتي.

هذه نوعية الإنسانية التي أنا عليها؛ ولهذا أنا قوية. سترى يا حبيبي. سترى بالضبط ما سأفعله.
انظر كم أنا امرأة قوية.

رسالتها الـ 14

زحفتُ على امتداد نظام التهوية ثم هبطت داخل غرفة التحكم في السفينة. كان طريقًا لا يعرفه إلا شخصٌ انحدر إلى الرتبة الرابعة. عندما وصلتُ إلى غرفة التحكم، سمعت أزيز صوت "هون" المنبعث عبر قارئ الكتاب الإلكتروني.

"انقضى وقت طويل. هل طرأ جديد؟" سألتني بصوت بُرج حتى يبدو ناعسًا، رغم أنها ذكاء اصطناعي؛ لا تحتاج إلى النوم.

قلت: "جئت إلى هنا لأعطيكِ أمرًا. وسيكون لهذا الأمر أولوية على أوامر كل شخص آخر على هذه السفينة. بمجرد أن أعطي أمري، لن تكون هناك طريقة للتنصل منه، بغض النظر عمَّن قد يحاول إعطائكِ أمرًا مختلفًا".

بدت "هون" مفتونة بالفكرة. "هيّا إذًا، جرّبي".

كان بإمكانني سماع الركاب يتحرّكون هنا وهناك خارج غرفة التحكم. استيقظوا على صوت حديثنا أنا و"هون" الذي كان يُبثُّ من خلال مكبّرات الصوت في جميع أنحاء السفينة. شغلت الميكروفون لأنني أردت أن يسمع الجميع هذا الاحتجاج، احتجاجي الأول والأخير.

من الخارج جاء هدير الأحذية الثقيلة وهي تقترب، ثم جلجلة الباب وهو يُضرب بغية إسقاطه. كنت أعلم أن الباب سيصمد

مدَّة كافية. مدفوعًا بوساوسه؛ كان القبطان قد عزَّز الباب بطبقات متعدِّدة.

أخبرت "هون" أن سفينة الركاب كانت تتدخَّل في التعافي الطبيعي للأرض. كان هؤلاء الناس يستعدُّون حتى ينصَّبوا أنفسهم آلهة مجنونة، وطالما استمرَّت هذه السفينة في الإبحار، فستلحق ضررًا كبيرًا بتاريخ البشرية.

قلت إنه لم يكن يعود بأي نفع على الركاب أيضًا، لأنهم يريدون العودة إلى وطنهم، لكن هذا المكان قد اختفى منذ زمن طويل.

قالت "هون": "هذه فكرة محفَّزة للغاية. بالطبع، تأتي المصالح الفضلى للبشرية جمعاء قبل أي شيء آخر. لكن المشكلة لا تزال قائمة: كلُّما كان أساس الادِّعاء أكبر؛ كان التَّحقُّق منه أصعب. لا يمكنك البحث عن كل شخص على قيد الحياة على الأرض وجعلهم يوقِّعون على استمارات الموافقة. في النهاية، كل هذا لا يعدو كونه تفكيرك الخاص".

"والركاب على هذه السفينة هم مهاجميَّ. كانوا يقتلونني ببطء. وأنا الآن سوف أموت حقًّا". قلت وأنا أسمع الباب يرتجُّ تحت وطأة الضربات المتعاقبة.

"أنا موافقة. هذا شبه مؤكَّد. يا له من عار حقًّا. لكن العلاقة بين هذه المشكلة والسفر المستمر عبر الفضاء غير واضحة. حسنًا... إذا أخذنا المعطيات كلها بالاعتبار، ربما تستحق التفكير فيها. لكن هذا كل ما في الأمر". تابَّعت "هون": "كما تعلمين، فكَّرتُ في الأمر كثيرًا. هناك مشكلة جوهرية في هذه اللعبة. مهما كانت صيغة الأمر المذهلة التي قد تتوصَّلين إليها، سينتهي الأمر دائمًا بشخص آخر يفكر في شيء يتفوَّق عليه. وحينذاك سوف يُبطلون أمرِك".

"كلا. ليس هناك أمر أعظم من الأمر الذي سأعطيه لك الآن".

عند سماع كلماتي، أصدرت "هون" ضحكة رقيقة. "لم أكن أعلم أنك عنيدة جدًا".

"سأموت قريبًا. وبمجرد رحيلي، سيصبح الأشخاص الوحيدون الذين يمكنهم إعطائك الأوامر هم ركاب هذه السفينة، وجميعهم معتدون. لا يمكن أبدًا وضع أوامر المعتدي في كفة واحدة مع أمر الضحية؛ ولذا لن يكون هناك أمر آخر أعظم من هذا".

هدأت "هون" للحظة. بعد برهة، قالت: "هذا بعد نظر ثاقب، لكن أوامر الأشخاص الأحياء فقط هي التي تكون فعالةً معي. لا يمكنك منعي من تنفيذ أوامر الآخرين عندما تموتين".

"بلى، أستطيع. لأنني سأعطيك أمرًا لا يمكن لأحد إبطاله".

"هذا ليس ممكن... "بترت "هون" عبارتها. ثم تناثرت أصوات النقر الصادرة من قارئ الكتاب الإلكتروني لبرهة طويلة، كما لو كانت "هون" قد تباطأت بسبب إجرائها حسابات. "فهمت. ليست الرحلة الشيء الذي تحاولين إيقافه".

"صحيح... إن وافقتِ عليه".

بدا الأمر كما لو أن "هون" تجري حسابات جديدة، ثم بعد لحظة، أجابت:

"اقتنعتُ. هيا امضي قُدّمًا، وأصدري الأوامر".

وهكذا، نطقتُ بالأمر: "أوقفني عمليات الملاحه، يا هون. من أجل الإنسانية والركاب على متن هذه السفينة، ومن أجلي، شخص واحد. توقفي عن العمل".

انفتح الباب في اللحظة نفسها تقريبًا التي أكملت فيها "هون" حساباتها. تدفّق الناس إلى غرفة التّحكّم عندما أجابت "هون": "الأمر مقبول"

استدرت لأرى الباب وقد تحطّم إلى أشلاء. ثم بدأت كل الأضواء في غرفة التحكم في الانطفاء، ضوء تلو الأخرى. حلّ الظلام ببطء على وجوه الرجال الذين دخلوا، مُشهرين البنادق. مع عدم وجود ملاح، خرجت السفينة عن السيطرة فوراً. كانت مجرد قذيفة عائمة. سوف تطفو السفينة إلى الأبد في الفضاء. لا يمكن أبداً الرجوع إلى الأرض مرة أخرى والنظر بغطرسة من السماء والتلاعب بالأشخاص الذين يعيشون وأقدامهم على الأرض... على الأقل تلك كانت الفكرة.

بالطبع، سيصبح جسدي قريباً عبارة عن قرص عسل من ثقوب الرصاص، لكن لا فرق.

لم أكن خائفة. فقط حزينة.

ليس بسبب موتي الوشيك، لكن حزينة لأنك ستختفي معي. كان من المفترض أن أبقى على قيد الحياة حتى أبقى على قيد الحياة.

اندفع القبطان إلى الداخل، مُنحياً جنوده جانباً. كان وجهه صلباً لدرجة أنه لم يتراء لي بشرياً. كان الأمر كما لو أنه سيصبح إنساناً خارقاً، تماماً كما كان يتمنى. واستطعت حينئذٍ أن أرى أن كونك خارقاً لا يمكن أن يكون شيئاً حسناً أبداً.

خطرت لي فكرة فجأة، وكنْتُ على يقين من أنه لا بُدَّ وأنها صحيحة. أن أياً من الرسائل التي أرسلتها لك لم تغادر السفينة. ومن المنطلق نفسه، لا بُدَّ أن هذا الرجل قد اعترض جميع الرسائل الواردة منك إلى السفينة وحال بيني وبين قراءتها.

وأنه قد فعل ذلك ليس لأنه يكرهنا، ولكن فقط لأنه يستطيع ذلك.

صوّب القبطان بندقيته نحوي.

وقفتُ هناك، منتظرةً عندما انفجر شيءٌ قرمزيٌّ خارجًا من جبهته بقوة دفع غريبة. انهار القبطان مثل شجرة قديمة جافة.

عندما تنحَّى الجنود بتردُّد، رأيت المرأة التي كانت تترأس غرفتي من ورائهم، تحمل مسدسًا يتصاعد منه دخان.

بخطوات واثقة، شقَّت طريقها متجاوزة الجنود إلى داخل غرفة التحكم. تبعتها الفتيات في حشد صغير، كل واحدة تمسك كومة من الأوراق أو معدّادًا فوق صدرها. انتشرن في أرجاء غرفة التَّحكُّم مثل السناجب، وأخذن أماكنهنَّ. أدركت أن كل واحدة من أولئك الفتيات كانت مكوَّنًا يشكل جزءًا من نظام ملاحظة بشري، وأنهن معًا يمكنهن القيام بعمل ملاحظة الذكاء الاصطناعي.

كنت على يقين من أنني سأموت في أثناء تنفيذ العملية، لكنني لم أستطع منع نفسي من التفكير فيهنَّ ببصيص من الأمل بينما كنت أعمل على وضع خطتي.

تحدّثت رئيسة غرفتنا بلباقة في الميكروفون، وكان صوتها يتردّد عبر مكبّرات الصوت: "الأشخاص الوحيدون القادرون على تحريك هذه السفينة الآن هُنَّ أنا وفتياتي. إذا أُصيبت أي واحدة منّا أو قُتِلت أو لم تستطع العمل بأي طريقة أخرى، فلن تذهب السفينة إلى أي مكان. في حالة فهمكم ما قلته، فمن الآن فصاعدًا ستتبعون جميعًا تعليماتنا".

فهم الناس على الفور. لم يسعهم إلا أن يفهموا.

قالت القبطان الجديدة إنهم سيسافرون إلى المستقبل، بعد مائة ألف عام من الآن. قالت إن هذا كان من أجل ردع رغبات الإصلاحيين التّواقين إلى استعادة الماضي. وأضافت أن أي شخص لا يريد الذهاب إلى هناك، يمكنه النزول من السفينة.

لكن حتى بعد وصولنا إلى الأرض، لم ينزل أحدٌ. استطعت أن أقول عندئذ إن سفينة الركاب نفسها قد أصبحت وطنهم، وأنهم سوف يتجولون إلى الأبد في هذا المسار الغريب.

قلت إنني سوف أنزل. شرحتُ أنه لو ذهبْتُ بعيدًا في المستقبل، فلن يكون لديَّ أمل في لقاء رَجُلِي. نظرت إلى القبطان الجديدة بنظرات متفحّصة، وقالت: "حسنًا، إذن". حاولتُ أن أشرح أكثر قليلًا، لكنها اكتفت بالقول: "نعم، لقد سمعتكِ".

أمسكتُ بالقارئ الإلكتروني، الشيء الوحيد الذي ما زلت أملكه من بداية الرحلة، وخطوت خارج السفينة. شكّل الناس صفّين على جانبي طريقي، ووقفوا يراقبون وأنا أعبّر أمامهم.

كنت أمرُّ بالكثيرين من الناس، لكن غابت عبارات السخرية أو التوبيخ المعتادة عن المشهد. كانت تجربةً غير مألوفة.

كان يومًا صحوًا.

نزلت على الشاطئ. مشيت على الرمال الدافئة بقدمين عاريتين. غسلت وجهي بمياه البحر، واستطعمتها مع بعض الأعشاب البحرية. سطع ضوء الشمس على جسدي مثل مسحوق ذهب.

كنت أخيرًا وحدي.

عانقتُ نفسي بشدّة وبكيت.

أنا وحيدة أخيرًا. أنا وحدي، والآن أصبحت الأرض كلها ملكي.

بيتي.

انتشرت مجموعة كاملة من التماثيل والآثار بجوار الشاطئ.

كل شيء سيّده القبطان السابق في سبيل خطّته لاستعادة عالمه. ها هو حجرُ النُبوة الذي نُقش عليه أن الرّبّ سينزل يوم القيامة في

يوم كذا وشهر كذا، وكان هناك مُخَطَّطٌ لمدينة أيضًا، تُرك هناك حتى يعمل أبناء الأرض وفقًا له مع بداية مرحلة البناء.

الآن بعد أن نزلتُ من السفينة، تراءت لي كلُّ هذه التصاميم العظيمة سخيفةً، لدرجة أنني لم أستطع تحمُّل التفكير فيها.

عثرت على عصا، ومزقتُ شريطًا من القماش من ملابسِي، ولففتها حول نهايتها، ثم غمزتها في خزان الغاز لسيارة جيب محطّمة، وصنعت مشعلًا.

أضربت النار في الميناء الفضائي.

انتشرت ألسنة اللهب بفعل الريح، وتطايرت في كل الاتجاهات. بدأت في الابتعاد عن الميناء المحترق، وعندما نظرت إلى الوراء، كانت السماء مُضاءة باللون الأحمر الساطع، كما لو كانت مصبوغة بالدم. لن يستغرق وقتًا طويلًا.

بعد عشر سنوات، لا، حتى بعد عام واحد فقط من الآن، كل أثر للنار، كل أثر لنا سيختفي. كل شيء سيتداعى تحت وطأة المطر والريح. والأشجار والنباتات النامية دون عائق، سوف تغطّي كل شيء. والحيوانات سترعى وتمرح وسط الضباب الذي سيتدفّق من الغابة.

رسالتها الـ 15

3 سنوات و3 شهور منذ نزولي على الأرض، علاوة على الـ 6 سنوات و11 شهراً من بداية الرحلة

حلمت بك لأول مرة منذ زمن بعيد.

كان الحلم جلياً جداً، لدرجة أنني كنت واثقة من أنه حقيقي. كنت محاصراً في غرفة ضيقة ومظلمة. بدا الباب محطماً. كنت توجّه تركيزك كله إلى محاولة إصلاحه. ساورتني السعادة لرؤيتك، واقتربت وأمسكت بيدك. استدرت حتى تنظر إليّ.

حدقت في وجهي فحسب مدة طويلة، دون أي تعبير. ثم رسمت وجهاً حزيناً وسألني لماذا تركتك بمفردك طوال هذه المدة.

قلت، نادمة: "لم أتركك أبداً. كنت معك طوال الوقت. كنت معك طوال الوقت".

"حسناً، أين أنتِ إذن؟" سألتني وأنتِ تهزُّ رأسك. "أنتِ لستِ هنا. لو كنتِ كذلك، لكنت ستأتين لمقابلتي".

عندئذ فتحت عينيّ.

عندما فتحت عيني، كنتُ مستلقية في منتصف الكنيسة، على أرضية قاعة زفافنا. وفكرت، أوه لا! ماذا عليّ أن أفعل؟ عريسي غاضبٌ

مني. حسنًا، أعتقد أنه أمرٌ منطقي. هذا يوم زفافنا، وانتهى بي الأمر متأخرًا.

رفعت رأسي ونظرت إلى الحائط. كان مُغطًى بجميع قصاصات الورق التي كنتُ أعلّقها على مَرِّ السنين.

أقدمها كانت من أول مرة رجعت فيها إلى الأرض. مرت مئات السنين على الأرض منذ ذلك الحين. ثمة رسالة علّقتها أمس أيضًا. وعلى جانب واحد من الجدار، عبارة رسمتها برذاذ الطلاء.

ماذا بحق الجحيم تفعلين هنا؟ لقد رحل! لا بُدُّ أنه قد مات قبل مليون سنة.

لا أستطيع أن أتذكّر متى كتبتُ ذلك. ما الذي جعل اليأس يتسلل إليّ من جديد؟ كانت مجرد حقيقة بسيطة. جئوتُ على قدمي، وسحبت الستارة على طول الجدار قليلًا؛ لأغطّي الكتابة التي رسمتها عليه، وأنا أفكّر: مَنْ الذي أحاول إخفاء هذا عنه، على أيّ حال؟ بالكاد استطعت قمع ضحكة.

كنت أكتب ملاحظة جديدة لك عندما شعرت فجأة بشيء يتدفّق عبر جسمي، ويخرج مني. فكّرت أن ذلك غريب، فنظرت إلى أسفل لأرى ما يحدث.

بدا الأمر وكأن ثقبًا صغيرًا ظهر في بقعة ما في جسدي. كان أنت، وقد تحطّمت إلى جزيئات دقيقة مثل ذرّات الرمال، تتدفّق خارج مني ولسان حالك: "أنتِ لستِ هنا!" ولم يكن بإمكانني فعل شيء للسيطرة على ذلك.

بينما أشاهد وأنت تغوص في الأرض وتختفي، أدركت:

آه، هذا أقصى ما يمكنني تحمّله.

كنتُ قويَّةً، كنتُ متماسكة، لكن رغم ذلك، لم أستطع التحمل إلا بقدر معيَّن.

لم أشعر بأي ندم. لطالما كنت أبذل قصارى جهدي، وكان ذلك كافيًا.

أسقطت الملاحظة التي كنت على وشك تركها لك، وخرجت. دُستُ بقدمي على اللحاف الذي صنعتُه عن طريق حياكة القصاصات معًا، وركلت الأطباق والقدور التي جمعتها هنا وهناك في أرجاء المدينة، بينما أتحسَّس بيدي الصور التي علَّقها أصدقاؤك على الباب. أدت مقبض الباب الذي أصلحته حديثًا، وتركتُ خلفي السقف الذي رَمَّمته بعد انهياره أثناء إعصار سيئ.

ووضعت وراء ظهري المرأة التي بذلت قصارى جهدها لتعيش كل يوم بقدر استطاعتها. ووضعت وراء ظهري اللحظات الثمينة عندما اعتنيتُ بك بداخلي.

مشيت في المدينة المتداعية والمنهارة بمفردي.

كان الطريق السريع مثل ممرٍ جبلي. نصف المسافة كان منهاجًا، ونصف المسافة الأخرى، ينحدر صاعدًا إلى أعلى. غطَّت أوراق الشجر الذابلة دربي، وقفزت زمرة من الضفادع الحمراء من بركةٍ ضخمة مثل بتلات زهور في مهبِّ ريح. وكان ثمة صف من الطيور الداكنة تربض فوق سلك متدلٍّ من عمود مرافق نصف منهار. رفرفت إلى أعلى جميعًا وابتعدت مع اقترابي. وكانت نباتات طويلة تنمو خصبة من الفجوات في الأسفلت المتكسر. البذور التي حبست أنفاسها، واختبأت بعيدًا عن الأنظار بينما كان هذا المكان يعجُّ بالسيارات والناس، كانت جميعها مزدهرة الآن، وكأنها أوركسترا حياة مهيبه.

تأكل نعل حذائي الأيمن وجعلني أسير وأنا أعرج؛ لذلك خلعت فردي حذائي، ومشيت فوق الأسفلت الرطب بقدمي العاريتين.

لم تبقَ أي أفكار في رأسي، لكن كان من الواضح أين يجب أن أذهب.
إن كنت سأذهب، كان هذا المكان الوحيد.

وصلت إلى الميناء الفضائي.

كان مغطىً بغابات كثيفة. كان البحر بلون السماء، وكانت السماء
بلون البحر. كما لو أن السماء تسيل في المياه، وتنصهر معها، كان
الأفق ضبابيًا لدرجة أنني شعرت بأنني أقف في عالمٍ كامل من
الزُرقة الغامقة. على طول الواجهة البحرية على مبعده، كانت المباني
المتداعية ترقد منبثحة مثل صفٍّ من هياكل الديناصورات المتحللة.

خطوت داخل المياه، وخطر ببالي أنه، ربما تكون قد تطايرت بعد
تحلُّل جسمك إلى مكانٍ ما في هذا البحر. سواء كنت قد تحوّلت إلى
غبار، أو رماد، أو ريح.

توغّلت شيئًا فشيئًا داخل مياه البحر الباردة.

عندما قطعت مسافة معقولة، إلى حيث كانت الأمواج تزداد ثقلًا،
وبات من الصعب عليّ التَّنَفُّس أو الوقوف، ارتطمت موجة عالية
بجسدي ورفعتني إلى أعلى.

عندئذ فقط، سمعت موسيقى تصدح من بقعة ما.

أغنية حب.

لحن موسيقى بوب قديمة كانت رائجةً في فترة زمنية معينة، في
الماضي حين كانت الأرض تعجُّ بالبشر. فكَّرتُ أنني لا بُدَّ أسمع أشياء.
أنني لا بُدَّ أهلوس أيضًا لأن الأغنية تصدر عن خاتم يطفو تجاهي في
الماء، أمام عيني مباشرة.

خاتم يمكنه تشغيل الأغاني! ماذا بعد؟

فكَّرتُ: لا بُدَّ أن الناس قد صنعوا بعض الأشياء الغريبة.

أمسكتُ بالخاتم في يدي وكنْتُ أنظر إليه، عندما لمحت برُكنِ عيني المزيدَ من الأجسام فوق سطح البحر تدنو مني.

في البداية، افترضتُ أنها مجرد قمامة. كانت المواد البلاستيكية التي أُلقيت في المحيط منذ قرون ما زالت تنجرف على طول الشاطئ طيلة الوقت. لكنها بَدَتْ أشبه بأنقاض شيء أضخم، شيء مُحطَّم. مثل بقايا سفينة.

بقايا مركبة فضائية صغيرة مهترئة حلَّقت في الفضاء قبل قرون مضت. بقايا بَدَتْ وكأنها ربما نجمت عن تصادم مركبة فضائية بسطح البحر، ربما قبل مدَّة وجيزة.

عندما جمعت شظايا الخواطر في ذهني وحاولتُ الربط بينها، خَمَّنتُ أنها لا بُدَّ وقد كانت سفينةً شراعية صغيرة تتَّسع لشخص واحد فقط بداخلها. من النوع الذي يطير عبر الفضاء بواسطة الرياح الشمسية.

عندئذٍ ذكَّرني المشهد بسفينة الفضاء غير المأهولة التي لمحتها ذات مرَّة من خلال نافذة سفينة الركاب. كانت وحدها تمامًا، وسط الثلج. أخبروني أنها سفينة صغيرة كانت تطير من تلقاء نفسها... ولا أحد على متنها... هكذا قالوا.

شعرت وكأنني قد أُصِبتُ ببرقٍ.

بدأت السباحة على نحوٍ محموم. حاولت معرفة المصدر الذي تأتي منه الشظايا التي تطفو، لكنها كانت منتشرة على رقعة واسعة بحيث لم يكن هناك أي وسيلة لمعرفة ذلك.

مرَّ وقت طويل قبل أن أصادف قمرة القيادة، التي كانت لا تزال سليمةً إلى حدِّ كبير. تطلَّب الأمر كل قوتي لأتسلَّق فوقها. كانت لوحة التحكم مُغطَّاة ببصمات أصابع قذرة، وكانت هناك آثار لا حصر لها

على الإصلاحات والأشياء المرَمَّمة، كما لو أن أحدهم عاش هنا مدة طويلة حقًا.

ضغطت على كلِّ زِرِّ تحكُّمٍ يمكنني العثور عليه، في محاولة لمعرفة ما إن كان أي شيء لا يزال يعمل. إن كانت مركبة فضائية، فستحتوي ولا بُدَّ على صندوق أسود، ودائمًا ما يترك المسافرون مقطع فيديو أو سجلًا صوتيًا. أمن الممكن أن يوجد شيء ما، أي شيء متروك هنا؟ حدَّدتُ مكان الصندوق الأسود، وسارعت بتشغيله. لم يكن هناك فيديو، لكن صوت رجل انبعث منه. عرفت هذا الصوت على الفور. كان صوتك.

أنا في انتظارك.

تعالى إلى المطار.

سأكون في انتظارك.

أنا في انتظارك.

أنا في انتظارك.

حتى لو لم تكوني موجودة بالفعل في أي مكان يمكن العثور عليك فيه...

أنا في انتظارك و...

أنا هنا.

أنا أحبُّك...

أنتظرِك...

ما زلت أنتظر حتى الآن.

موجة بطيئة ضخمة تثير رغوة بيضاء، أخذتني على حين غرة.

تدحرج الموجه في ضوء الشمس، وتنعكس على قاع البحر؛ لذلك بدا الأمر وكأنني أغرق وسط الآلاف من الجواهر الزرقاء. سبح قطيع من الأسماك البيضاء اللامعة بجانبى.

مددت رأسي فوق الماء، وبحثت في كل مكان حولي وقد تملكني إحساسٌ باليأس؛ شعرت وكأنني محرومة تمامًا من شيء لم أملكه من قبل أبدًا.

ظننتُ أن الأمر سينتهي بي برؤية جسدك، يتمايل في الماء، باردًا، يطفو نحوي من مكان ما. كنت أمل على عكس كل التوقعات أنني سأعثر على جُثَّتِكَ حتى. دعوت وكررتُ الدعاء. توَسَّلْتُ وواصلت التَّوسُّل.

لم تكن هناك.

لم تكن في أي مكان يمكن العثور عليك فيه.

عندما استعدت وعيي، كنت مستلقية على الشاطئ. كان ضوء المساء يلطِّخ البحر ببقع ذهبية. توهَّجُ الغروب الأحمر نَزْ لُونًا بنفسجيًّا في السماء الزرقاء الداكنة. على مبعده، حلَّق سِرْبٌ من الطيور الملونة بالذهبي بجوار الشمس الغاربة. لم يكن لديَّ القوة حتى أحاول الجلوس؛ لذا استلقيت هناك فحسب.

كان ذلك عندما حدث التالي.

أدرتُ رأسي فلفَّتَ نظري شيء غريب على مبعده.

كانت الآثار المطبوعة على الرمال تتلاقى في الأعلى تجاه الغابة. كان ثمة كُتْل صغيرة من الرمال تشكَّلت حيث تساقطت قطرات المياه.

بدت الآثار وكأنها لأقدام بشرية. كانت مبتلة.

ما زالت مبتلَّةً. كأنها قد تشكَّلت منذ قليل. كما لو أنه قبل
مدة وجيزة، هرب أحدهم من سفينة الفضاء المحطَّمة تلك، وتمكن
من السباحة إلى الشاطئ.

3

ما وراء القصة

ملاحظة الكاتبة (أنا في انتظارك)

تلقيتُ قبل مُدَّةٍ بريدًا إلكترونيًا مهذبًا من صديق قديم. قال إنه كان مُغرماً بامرأة، وكان يخطِّط للزواج، وأنه هو وزوجته المستقبلية كانا معجبين بكتاباتي، وسألني إن كان بوسعي كتابة قصة لهما يمكنه استخدامها عرضًا للزواج. قال إنه يريد أن يقرأها بصوت عالٍ كطريقة لخطبة المرأة التي يحبها. وأضاف مقدّمًا أنه إذا كان هذا طلبًا فظًا أو غير محترم، فهو يتأسّف حقًا لأي إساءة تسبّب فيها.

ضحكت وأنا أقرأ البريد الإلكتروني. أن تطلب من كاتب لم يكتب قصةً من قبل أبدًا عن شخصين يتوافقان معًا، ناهيك عن قصة حب، كتابة قصة حتى تستخدمها في عرض زواج. مع أنني شككت فيما إن كان من الممكن أن أكتب مثل هذا الشيء، إلا أنني بدأت أفكر أنه قد يكون ممتعًا. وعلى أي حال، وعديني بمنحي أجرًا مثل أتعاب أي كتابة أخرى، وكانت الفكرة العامة للقصة محدّدة بدرجة كافية. أردتُ أن أهنئ الزوجين، وخطر لي أنني أستطيع كتابة القصة حتى يشعر الرجل بالحرج الشديد وهو يقرأها لدرجةٍ تدفعه إلى الرغبة في الهروب من الغلاف الجوي للأرض قبل أن ينتهي من عرض الزواج.

"إذًا، هل تريد قصة خيال علمي عن عرض زواج؟"

"حسنًا، هل يمكنكِ كتابة أي شيء بخلاف الخيال العلمي؟"

"همم...".

قبل أن أبدأ في الكتابة، أعدتُ قراءة جميع روايات الخيال العلمي عن عروض الزواج التي أعرفها. عندما قرأتُ رواية باي ميونج-هون "عرض زواج"، ورواية كواك چايسيك "أودُ حقًا الزواج منك" مرّةً ثانية، أدركتُ أنها كلّها قصص عن الذهاب لمكان ما؛ لذا فكّرتُ أنني أودُ تجريب كتابة قصة عن الانتظار. فكّرتُ في شيء رغبت في كتابته قبل مدة: عندما كنت أكتب قصة "أشخاص يسافرون إلى المستقبل" أردتُ أن أستكشف حكاية كيف تعرّف والدا الشخصية الرئيسية كلّ منهما على الآخر.

بما أنه كان يجب عليّ كتابة القصة حتى تُقرأ بصوت عالٍ، فقد طلبت بعض الموسيقى الخلفية. الأغنية التي اختارها موگلي كانت "حب نقي فقط" 사랑 그대로의 사랑 للمغني يو يونج-سوك. آمل أن تستمع إليها وأنت تقرأ القصة. الأغاني الأخرى التي استمعت إليها أثناء الكتابة كانت أغنية باتي كيم "الحب زهرة الحياة" بصوت إم تاي كيونغ، وأغنية لي چوك "الكذبي... الكذبي... الكذبي".

كتبت "أنا في انتظارك" حتى يقرأها شخص واحد، ويسمعها شخص واحد، دون أي طموح لنشرها على الإطلاق. بينما شعرت ببهجة كافية حيال المهمة؛ فقد جاءت مع نوع مختلف من الضغط. كان عليّ فقط إرضاء شخصين، ولكن كان على هذين الشخصين أن ينهرا حقًا.

لم أكتب أبدًا قصة حب، لكنني شعرت إن أنا كتبتها بشكل صحيح، فإن شيئًا ما في داخلي سيتغير من خلال القيام بذلك. فكرت أنه إن لم أشعر أنني أريد حقًا أن أُغرّم بأحدهم حاملًا أنتهي من كتابة القصة كلها، فلن أكون قد نجحت. عندما فرغت من الكتابة، شعرت بهذا الإحساس حقًا. مجرد حقيقة الكتابة لشخص واحد، أو لشخصين، جعلت الكتابة سلسة للغاية. جعلني أتساءل كيف سيكون

شكل الكتابة لشخص أحبه، أو كيف ستكون الحياة مختلفة إن عشت وأنت تفكر في شخص واحد. عندما فكرت في ذلك، أدركت أنني قد تغيرت حقًا، وعرفت أيضًا أنني كتبت القصة بشكل صحيح.

كان عرض الزواج ناجحًا والزوجان يبليان بلاء حسنًا. عندما أرى لقطات من حياتهما معًا من حين إلى آخر، أو أسمعهما بتبادلان حوارًا، فإن ذلك يجعلني أبتسم لأنه يبدو وكأنه امتداد للقصة.

تمكّنتُ أيضًا من مشاركة اجتماع مثالي من أجل تحرير القصة مع قارئ الوحيد، وتلقّيتُ امتنانًا أكبر بكثير ممّا يستحقه مقدار العمل الذي أنجزته. الكتابة حقًا شيء رائع. كل ما أفعله هو وضع الكلمات على صفحة، لكن الكتابة تعني أنه يمكنني الانضمام إلى الأشخاص في مثل هذه الأشياء المهمة في حياتهم، ومشاركتهم إيّاها.

أبريل 2015

في طريقي إليك

عندما كنت أكتب "أنا في انتظارك"، أخذت تفاصيل القصة تتجلى، ولكن نظراً لأنه كان يلزم قراءتها بصوت عالٍ، فقد اضطررت إلى ترك بعض التفاصيل حتى لا تغدو طويلة جداً. قرّرتُ بعد ذلك أن أكتب ما لم يجد طريقه إلى القصة الأولى من خلال كتابة جانب المرأة من القصة. وكنت أخطّط لكتابتها كهدية زفاف للعروس.

ظلاً تنفيذ وعدي يتأجل. في البداية اعتقدت أنني سأنتهي من القصة في الوقت المناسب للاحتفال بالذكرى السنوية الأولى لزوج الزوجين، ثم جاءت الذكرى الأولى ومضت؛ لذلك فكّرتُ في أنه يمكنني كتابتها حتى تتزامن مع ولادة طفلهما الأول، لكن ابنتهما كانت تبلغ من العمر عامين عندما تمكّنتُ من إنهاء القصة أخيراً.

"في طريقي إليك" تكلمة قصيرة للقصة الأولى، ولكن كان هناك الكثير من الأشياء التي يجب الاشتباك معها. لم تكن ثمة طريقة لمعرفة كيف سيتغيّر السرد الذي كان ممكناً فقط لأن وضع المرأة كان غير معروف تماماً عندما تتكشف قصتها. وأردت التأكد من أنه في حين تتقاطع القصتان في الوقت نفسه، يمكن لكل منهما أيضاً أن تكون قائمة بذاتها.

مع ذلك، شيء واحد كنت متأكّدةً منه منذ البداية؛ في حين أن معاناة الرجل كانت في الوحدة وغياب وجود أشخاص آخرين، فإن معاناة المرأة ستكون بسبب أشخاص آخرين.

في أثناء كتابة هذه القصة الثانية، كنتُ في وضع مختلف تمامًا عما كنت عليه عندما كتبت الأولى. في المرة الأولى، كتبت وأنا أفكر أن القصة ستكون لقارئين فقط، بدون آمال في النشر. لكن حتى مع ذلك، ظلت أكتب وأنا أفكر في الزوجين.

هذه المرة تمكّنتُ من أن أطلب من العروس أن تعطيني أغنية لتكون موسيقى الخلفية، واختارت أغنية "الرجوع إلى الديار" التي غنّتها كيم يون آه. تمامًا مثلما استمعت إلى أغنية حبّ نقيّ فقط ليو يونغ سوك أثناء كتابة القصة الأولى، استمعت إلى "الرجوع إلى الديار" مرارًا أثناء كتابة هذه القصة. قد يكون من الجيد الاستماع إليها وأنت تقرأها أيضًا.

في ذهني تُشكّل قصة "في طريقي إليك" و "أنا في انتظارك" معًا قصة والدي الشخصية الرئيسية في "أناس يسافرون إلى المستقبل". بالطبع، الأعمال ليست مرتبطة ارتباطًا وثيقًا؛ لذلك من الجيد الاستمتاع بها بشكل مستقلّ. أتطرّق هنا إلى "أناس يسافرون إلى المستقبل" لأذكر أنه في لفظة لطيفة للغاية، اختار الزوجان تسمية ابنتهما سيون-جها، على اسم الشخصية الرئيسية في القصة.

عندما أفكّر في الأمر الآن، أشياء عظيمة ظلّت تحدث لي بفضل شخصين عاشقين، يخطّطان للزواج. حتى عندما يعيش الناس حياتهم فحسب، يتغيّر العالم. هذا ما أفكّر فيه فيما أنهي هذه القصة.

صيف 2019

ملاحظات القارئین الأصليين

أنا في انتظارك

أبريل 2015

هو

رغم مُضيِّ وقت طويل منذ أن بدأنا التخطيط للزواج وحصولنا على مباركة عائلتينا، إلا أنني لم أتمكّن من تقديم عرض زواج مناسب حتى ما قبل مُدّة وجيزة. نعم، أعلم أن عرض الزواج يعني اقتراح الزواج على مَنْ تحبه، وبالتالي الترتيب الصحيح لعرض الزواج هو السّعي أولاً للحصول على موافقة الشخص الذي تريد الزواج منه، قبل الحصول على مباركة الوالدين من الناحيتين. لكن مع هذا وذاك، انتهى بي الأمر مُستتاً.

عندما سألت الناس عن ذلك، أعطاني معظمهم إجابة مماثلةً. إن كنت ترغب في إنجاز الأمر ببساطة، يمكنك الذهاب إلى مطعم لطيف وإجراء محادثة منمّقة أثناء تناول وجبة لذيذة، ثم تقديم خاتم الخطوبة. ولكن بغضّ النظر عن طريقة تفكيري في الأمر، لم تكن مهاراتي في المحادثة على مستوى المهمة حقاً، ولن تكون أكثر من مجرد إخراج خاتم أثناء تناول طعام باهظ الثمن. لم أستطع أن أرى كيف كان ذلك مختلفاً عن مجرد قول: "دعينا نتزوَّج" في أي يوم عادي.

عندما قلت إنني لا أستطيع إجراء محادثة مُنمّقة، طلبوا مني التخلص من التوتّر وترك الأمر كله لشركة مُختصة بتنظيم مثل هذه المناسبات. يمكنني استئجار منزل عطلة خارج المدينة لليلة واحدة. بعد تفريغ أغراضنا، يمكننا الخروج لبضع ساعات وعندما نعود إلى المنزل، ستكون العشرات من البالونات والشموع والكعك وأشياء أخرى من هذا القبيل كلها هناك كمفاجأة. أو -كما قالوا لي- يمكنني أن أعرض الزواج من خلال استخدام برنامج إذاعي مُزيّف يُسجّله مسبقًا ممثّل صوتٍ محترف، أو أعرض الزواج على السطح العلوي لإحدى سفن الرحلات البحرية في نهر هان، وفي الخلفية تعزف فرقة مستأجرة خصيصًا للمناسبة لحناً رومانسيًا. قالوا لي إن إحدى الكليشيات الأخرى -لكنها فعّالة بشكل مدهش- هي ملء صندوق سيارتها بالورود والبالونات. ولكن بغضّ النظر عن طريقة تفكيري في الأمر، لم تتراءى لي أيُّ من هذه الأفكار صحيحة على الإطلاق. لم أكن أعتقد أن دفع مبلغ ضخم وإتمام الأمر دون بذل أي جهد شخصي سيكون الطريقة الصائبة للتعبير عن مشاعري.

بعد التفكير في الأمر لأشهر متتالية، توصلتُ أخيرًا إلى فكرة جيدة واحدة. يمكننا أن نصنع شيئًا خاصًا معًا، وسيكون علامة على الوعد الذي يتعهّد به كلٌّ منّا للآخر، لكن (بما أنه كان علينا أن نصنعه معًا، لا يمكن أن يكون ذلك سرًّا؛ ولذا كان عليّ أن أشرح لها، ثم...) فشلت في إقناعها. اعتراني اليأس.

فكّرتُ في الأمر لمدة شهر آخر. ما كنتُ متأكدًا منه أن أفضل أفكارٍ قد قُوِّلت بالرفض؛ وبالتالي كان الوصول إلى فكرة أفضل أمرًا مستحيلًا. عدتُ إلى فكرة كنتُ قد فكّرتُ فيها في البداية، ثم تخليتُ عنها لأنها تراءت لي تفوق قدراتي. ما كنتُ قد قرّرتَه، في حالة شبه يائسة، أو فكّرتُ فيه أيّا كان -فقط جرّب وحسب- أن أسجّل صوتي وأنا أقرأ قصة قصيرة عن عرض زواج بصوت عالٍ، ثم أجعلها تستمع

للتسجيل. صوتي ليس جذابًا بشكل خاص، ولم أتلقَ أي نوع من التدريب على الإلقاء؛ لذلك كنت قلقًا بشأن ما إذا كان بإمكانني القيام بذلك، ولكن من بين جميع أفكار عروض الزواج التي فكّرتُ فيها، كانت هذه إلى حدّ كبير الفكرة الوحيدة التي يمكن أن أضعها موضع التنفيذ. اعتقدت أنه إذا أُخبرْتُ أي شخص آخر بذلك، فسيكون رد فعله بالتأكيد: "هاه؟ هذا يبدو فظيعةً". ولذلك لم أجرؤ على طلب النصيحة من أي شخص.

كان أول عمل أدبي فكّرتُ فيه هو "عرض زواج" للكاتب باي ميونخ هون. كانت قصة قصيرة عندما نُشرت لأول مرة في المجلة الإلكترونية "مرآة". ولكن عندما نُشرت مطبوعة كانت أشبه بنوفيل. كان نصًا طويلًا. اعتقدت أن تسجيل النص كله سيكون كثيرًا؛ لذلك حاولت البحث عن بعض الأعمال الأخرى. العمل التالي الذي فكّرتُ فيه هو قصة كواك چيسك، "أودُ حقًا الزواج منك"، لكن هذا العمل كان أطول حتى! جعلني أتساءل لماذا يجب أن تكون كل الأعمال المتعلقة بالتّقدّم بعرض زواج إلى أحدهن طويلة جدًا.

حرصًا على عدم تسلسل الإحباط إليّ؛ حاولت تسجيل بضع صفحات، لكن عندما أجريت الحسابات، أدركت أن قراءة قصة كاملة ستنتهي بتسجيل خمس أو ست ساعات. بالطبع، إن قرّرتُ حقًا فعل ذلك، تسجيل "اقتراح زواج" أو "أودُ حقًا الزواج منك"، فلن يكون ذلك مستحيلًا. ولكن، القراءة بصوتٍ عالٍ لمدة خمس أو ست ساعات كطريقة لعرض الزواج. حتى إن كان الشخص الذي كان عليه أن يستمع إلى التسجيل، راغبًا في الزواج في البداية، فمن المحتمل أن يُصاب بالإرهاق في منتصف الطريق حتى يغيّر رأيه في النهاية.

إدًا ماذا أفعل؟

آه، ماذا أفعل...؟ إن لم يكن ثمة عمل مناسب منشور بالفعل، فسيتعين عليّ العثور على عمل لم يكتب بعد. كان لدى صديقتي مؤلفان مفضلان، وقد حدث أن إحداهما كانت من معارفي. تعيش في مقاطعة جانجون، تزرع الخضراوات، وتكتب. المنظر الطبيعي المحيط بمنزلها جميل والهواء نقي، وكنت قد زرتها مع أصدقائي من قبل عدّة مرّات صيفًا.

كنت فليًا حقًا من أن تلقّيها طلبًا مثل هذا من شخص عاديّ وليس ناشرًا سيُشعرها بعدم الارتياح، لكنني نحيثُ الحذر جانبًا، وأرسلت لها بريدًا إلكترونيًا. مع أهمية هذه المهمة بين يدي، ونفاد الوقت، ماذا يمكنني أن أفعل غير ذلك؟ حتى لو كانت فكرة مجنونة، فقد شعرت أنها الطريقة الوحيدة.

مرحبًا، كيف حالك؟ لأقلّ لك الحقيقة: أنا أخطط للزواج قريبًا. لكنني لم أتمكّن من القيام بعرض الزواج بعد. أنوي تسجيل قراءة لقصة تتعلّق بالعرض، لكنني لا أجد أي شيء مناسب. وتصادف أن حبيبتي تقول إنها تحب كتاباتك كثيرًا؛ لذلك أودُّ أن أسألك شيئًا. من فضلك، هل يمكن أن تكتبي لي قصة واحدة فقط؟

لحسن الحظ، قبّلت طلبي. طرحت بعض الأسئلة ثم قالت إنه تصادف أن لديها قصة في ذهنها. لأننا كنّا في الصيف، بعد أيام قليلة من تبادل رسائل البريد الإلكتروني، ذهبت لزيارة منزلها مع بعض الأصدقاء، لكن الأشخاص الذين ذهبت معهم لم يعرفوا عن علاقتي الرومانسية؛ لذلك اضطررتُ للتحدث إلى المؤلفة على انفراد؛ تجنّبًا أن يسمعي أيّ من أصدقائي.

مرّت بضعة أشهر ووصلتني مسوّدّة القصة.

عندما بدأت القراءة، كل ما شعرت به هو الامتنان، لكن سرعان ما انخرطتُ تمامًا في القصة. ضمن قصة خيال علمي واسعة النطاق،

كانت تكمن قصة حب عاطفية عن رَجُلٍ يتوق إلى الزواج من حبِّ حياته.

تنحنحت، وجمعت شتات صوتي، وبدأت في التسجيل. عندما كنت أقرأ القصة بصوت عالٍ، انخرطت تمامًا في الأحداث مرة أخرى. في إحدى اللحظات كنت أضحك مثل طفل مسرور، وفي اللحظة التالية كنتُ أرتعد من الخوف. في بعض الأحيان انتابتنني رغبة في البكاء، وشعرت في أحيان أخرى بالاستسلام لما قد يجلبه القدر. هكذا قرأت القصة، دقات قلبي المتسارعة لم تتوقف لدقيقة. لا بُدَّ أنني قد قرأتها عشرات المرات، لكنني كنت أضيع في القصة في كل مرة. كان شيئًا حتميًا... لأن القصة مكتوبة لنا فقط.

ثم في إحدى الليالي رتبتُ لتوصيل صديقتي من عملها إلى المنزل، وتوقفنا في موقف للسيارات على ضفاف نهر هان في ساعة لا بُدَّ وأنها اقتربت من منتصف الليل. ضغطتُ زرَّ "تشغيل" على الملفِّ الصوتي الذي حفظته على هاتفي المحمول. مُحَرَجًا من صوتي، المؤلف لي والغريب عليَّ في الآن نفسه، أدت رأسي بعيدًا، وبعد بُرْهَةٍ انتهى بي الأمر وقد غَفَوْتُ. حبيبتني لم تعرف حتى أنني نمتُ، وواصلت الاستماع إلى القصة، عندما استيقظتُ على صوت الموسيقى التي تُعزف في نهاية التسجيل، كانت عينا حبيبتني مغرورقتين بالدموع.

كان عرض الزواج ناجحًا.

قلت سابقًا، أليس كذلك، إنني كنتُ قَلِّقًا من أن الكتابة الرائعة لن تعطيها رداءةُ إلقاء القارئ حقها؛ لذلك نسقتُ النَّصَّ بدقَّةٍ وطبعته أيضًا. قطعت الصفحات، وخيبتها معًا، وألصقتها فوق غلاف، بحيث بات كتابًا صغيرًا مصنوعًا يدويًا. راق لحبيبتني الكتاب تمامًا، مثل تسجيلي؛ لذلك كنتُ سعيدًا حقًا.

صنعت نسختين من هذا الكتاب. واحدة لنحتفظ بها كلانا إلى الأبد، والنسخة الأخرى للمؤلفة التي كتبت لنا القصة بلطف منها. أنا ممتنٌ للغاية لدرجة أنني لا أستطيع حتى أن أتخيّل كيف يمكنني التعبير عن امتناني. بفضل كيم بو-يونج، تمكّنتُ من خلق ذكرى عرض زواج جديدة، مختلفة تمامًا عن ذكريات الأزواج الآخرين. ما زلت لا أصدق أن كاتبتنا المفضّلة ستبارك زواجنا بتلك الطريقة. لا أعتقد أن هناك أي شخص آخر في العالم يمكنه الاستمتاع بمثل هذه الرفاهية. مكتبة سُر من قرأ

سنعيش حياة جيدة. أنا سعيد. شكرًا لك.

سألني أحدهم ذات مرة عما إذا كنت أعتقد أن الناس بحاجة حقًا إلى تلقّي عرض زواج. أعتقد أنني قلت شيئًا مثل: "كل شخص مختلف، ولكن إن كانت الإنسانية المعنيّة تريد أن تتلقّى عرض زواج، فيجب على شريكها فعل ذلك من أجلها". بالنسبة إلى بعض الأشخاص، قد لا يكون الأمر هامًا حقًا، ولكن بالنسبة للآخرين قد يكون لحظة واحدة في العمر يرغبون دائمًا في تجربتها. بالنسبة لإنسانة تشعر أنها يجب أن تتلقّى عرضًا بالزواج، إن لم يحدث ذلك، فهذا شيء يمكنها أن تحمله ضد شريكها لبقية حياتها. لذا، حتى لو كان ذلك فقط لضمان مستقبل خالٍ من أي ضغينة أو ندم، فمن الأفضل بذل الجهد في تقديم عرض الزواج.

في ذلك الوقت، لم أكن أفكر مطلقًا في الزواج؛ لذلك كان موضوع عروض الزواج غير ذي صلة بحياتي.

ولكن بعد ذلك، عندما حان الوقت لأتخذ قرارًا بشأن ما إن كنت أرغب في تلقّي عرضٍ بالزواج أم لا، فكّرت: هل يوجد سبب حقيقي لعدم الرغبة في تلقّي عرض زواج؟ لماذا لا أتلقّى عرضًا إن كان بمقدوري ذلك؟ ولذا عندما سألني حبيبي عما إذا كنت بحاجة إلى عرض زواج لائق، دون تردّد، قلت إنني أحتاج ذلك. بدا متفاجئًا بعض الشيء، لكن بعد ذلك بوقت قصير أخبرني بتعبيرٍ متحمّس على وجهه حول

خطته لتقديم عرض زواج. بمجرد أن سمعت الفكرة السخيفة، أخبرته
ألا يهتم، ومنذ ذلك الحين نسيت الأمر برؤيته.

في أحد الأيام، عندما كنتُ في حالة من الفوضى الكاملة استعدادًا
لحفل زفافنا، أنهيتُ العمل في ساعة متأخرة من الليل، وبينما كان
حبيبي يقودني إلى المنزل، شغلَّ تسجيلًا سجَّله بصوته. نعم، أصبتُ
التَّخمين؛ كانت "أنا في انتظارك". في النهاية، تلقَّيتُ حقًا عرضَ زواج
سأذكره طوال حياتي. بعد أن قال إنه كان مُحرَّجًا، أغمض حبيبي
عينيه، وبعد ذلك استغرق في النوم سريعًا، لدرجة أنه بدأ في الشخير.
تأثرتُ حقًا بالقصة. شعرت بالامتنان الشديد.

أودُّ أن أعتنم هذه الفرصة للتعبير عن امتناني العميق للمؤلفة
التي كتبت مثل هذه القصة المذهلة في مواجهة مثل هذه الخطة
المتهورّة، وأودُّ أيضًا أن أثني على حبيبي السابق، زوجي الآن، على
عمله المتقن. بدأت هذه القصة حياتها بوصفها شيئًا خاصًا بشخصين،
ولكنها جيدة جدًا حتى نحفظ بها أنفسنا فقط؛ لذلك كنت سعيدة
حقًا لسماع أنها ستُنشر في شكل كتاب صغير. شكرًا لكم مقدّمًا على
قراءتها.

في الطريق إليك

صيف 2019

هي

أتذكّر اليوم الذي ذهبنا فيه لزيارة كيم بو يونغ لأشكرها بعد نشر "أنا في انتظارك". قالت إنه إن كانت قصة الرجل جيدة، فقد تتبعها قصة المرأة أيضًا. وحتى في تلك المرحلة، كانت لدي فكرة غامضة أنه سيكون من الرائع حقًا أن يحدث ذلك. ولكن الآن بعد أن أصبح حقيقة واقعة، فقد أصبح نوعًا ما عاطفيًا.

حدثت أشياء كثيرة بين كتابة قصة الرجل وقصة المرأة، لكن أكبر شيء بالنسبة لنا كان بداية تكوين أسرة جديدة. عندما كنت حاملاً، كنّا نفكر في الاسم الذي يجب أن نطلقه على الطفلة، وفكرنا في القصة الأولى. أخبرتنا المؤلفة أنها كانت بمثابة قصّة والدي الشخصية الرئيسية في قصتها "أناس يسافرون إلى المستقبل"؛ لذلك بدأنا في استخدام اسم سيون-جها، وعندما ولدت، شعرنا أن الاسم كان صحيحًا؛ لذلك انتهى بنا الأمر إلى تسجيله في شهادة ميلادها.

بينما كانت مشغولة في العمل على المخطوطة، أرسلت لي بو يونغ المسوّدة الأولى للقصة لأقرأها قبل أي شخص آخر. تمامًا مثلما سُنحت لزوجي فرصة قراءة "أنا في انتظارك" أولًا، أصبحت أول شخص

تقرأ قصة المرأة. لن أنسى أبدًا الإثارة والعاطفة فيها. أنا ممتنة جدًا لإتاحة الفرصة لي لأن أكون أول قارئة لها.

إن كانت قصة الرجل هي وحدة الانتظار، فقصة المرأة هي المشقة الشديدة التي تأتي مع العيش لاجئة، دون حتى فرصة أن تكون وحيدة. تحمّل معاناتها كان صعبًا عليّ حقًا، ولم يكن من السهل الاستمرار في قلب الصفحات؛ لذا يمكنك أن تتخيل مدى صدمتي عندما قال زوجي إنه وجد قصة الرجل أكثر صعوبة في القراءة. بالنسبة لي، بدت قصة الرجل وكأنها إعلان لطيف وخجول عن الحب. اكتشفت أنه أدرك صعوبة قراءتها فقط عندما كنّا نتحدّث عن انطباعاتنا عن القصة الثانية.

راق لي الحب غير المتزعزع الذي عبّرت عنه المرأة عندما تحدّثت عن أنه طالما يتذكّر أحدهم شخصًا، فذلك الشخص لا يموت حقًا؛ ولهذا أرادت البقاء على قيد الحياة لأن حبيبها كان يعيش معها وبداخلها في شكل ذكرياتها. فكرة أن الذكريات غير المكتملة في أذهان الناس بمثابة بيانات، ومن ثمّ يمكن اعتبار هذه البيانات شخصية بشرية، تركت بدورها انطباعًا عميقًا عليّ. يبدو أيضًا أن هذا سيصبح حقيقة واقعة في المستقبل القريب.

على الرغم من أن "في طريقي إليك" ترتبط بقصة الرجل وقصة أشخاص يسافرون إلى المستقبل "حتى تصبح جزءًا من شيء أكبر، إلا أنني لديّ عاطفة حقيقية تجاه هذا العمل الأقصر. أدركت أيضًا مرة أخرى أنه في نهاية اليوم، الحب هو الذي يغيّر عالمًا ملطّخًا بالصراعات والنزاعات التي لا تُعدّ ولا تُحصى.

القصة التي كانت من أجلنا حتى نقرأها قبل الزواج قد وصلت الآن إلى العديدين من القراء. آمل أن تصبح تذكيرًا للناس بمدى حسن حظنا، ليس فقط بوجود حبيب/ة، ولكن أي شخص نحبه بجانبنا،

وأيضًا تأكيدًا مطمئنًا لحقيقة أنه حتى لو انفصلنا عن الأشخاص الذين نحبهم ولم يُعد يمكننا أن نكون معهم، الحب لا يتغيَّر. أشعر بسعادة لا متناهية لعلاقتي بهذه القصة. وقبل كل شيء، أودُّ أن أبعث بامتناني واحترامي اللانهائي لكيم بو يونغ على هذه الهدية الرائعة.

لم أتخيّل أبدًا أنني سألتقي بهذين الزوجين مرة أخرى. حاملما استخدمتُ قصة "أنا في انتظارك" عرض زواج، ثم نُشرت في كتاب صغير، اعتقدت أن هذه نهاية الحكاية. في البداية، كنت سعيدًا جدًا لأن لدينا قصة لشخصين فقط، ولاحقًا تضاعفت سعادتي لأن القصة المكتوبة لنا يمكن قراءتها من قبل المزيد من الناس.

ذكرت بو يونغ أنه ربما يكون ثمة تكلمة للقصة، لكنني أعتقد أنني لم أجرؤ على الأمل. حصلنا بالفعل على هذه الهدية الرائعة، وشعرنا أنه من الظلم أن نتوقّع أي شيء آخر. ولكن مع قصة "في طريقي إليك"، التقيت بالزوجين مرة أخرى. لطالما كنتُ أشعر بالفضول بشأن ما كانت المرأة تفعله بينما كان الرجل ينتظر بمفرده، وأخيرًا حصلت على الإجابة.

بينما "أنا في انتظارك"، بشخصية الرجل الذي يتدمّر وكأنه يمرُّ بكل معاناة العالم بمفرده، كانت بالطبع قصة رومانسية، من بعض النواحي، بالنسبة لي، كانت القراءة مؤلمة حقًا. بالنظر إلى كيفية ظهور القصة، لم يسعني إلا التماهي مع الشخصية الرئيسية؛ ممّا يعني أنني قرأتها وأنا أعكس شخصيتي عليه (نعم "الرجل" الذي ذكرته في بداية هذه الفقرة هو أنا).

من ناحية أخرى، تراءت لي هذه القصة الثانية رومانسية جدًا. حتى في خِصْم كل تلك المشقة واليأس والألم، لا تنسى المرأة -أو تحاول

محو- حبها، وتواصل المضي قدمًا، خطوة بخطوة، وحببها نصب عينيها دائمًا. بالنسبة للرجل الذي هو موضوع ذلك الحب (نعم، ما زلت أعرف نفسي به)، كانت هذه القصة الرحلة الرومانسية لامرأة لا يسعني إلا أن أعجب بها.

وبسبب ذلك، شعرت بالدهشة عندما قالت زوجتي لاحقًا: "مقارنة بالقصة الأولى، التي كانت رومانسية فقط، كانت قراءة هذه القصة مؤلمة حقًا". أدهشني شعور كلِّ منَّا بإحساس متناقض تجاه القصتين نفسيهما، وأدركت أن هذا هو ما يجعل زوجًا من القصص فانتين.

ربما تكون هذه الاختلافات في التفكير أساسًا للعديد من النزاعات بين العشاق، وفي العلاقات الأخرى أيضًا. بمجرد أن أدركت ذلك، بدأت أفكر مرة أخرى في حياتي الزوجية، محاولًا بعناية أن أتذكر ما كنت أفكر فيه وكيف تصرفت.

بدأت الحكاية بقصة واحدة لكلينا، ولكن الآن يوجد جانبان للقصة، وهذا قد يعني شيئًا لكل أنواع الأشخاص المختلفة. لن أتمكن أبدًا من نسيان فيض العاطفة الذي ساورني، والجلوس مع زوجتي وابنتنا، حيث شاهدت ممثلًا يقرأ "أنا في انتظارك" على خشبة المسرح. وعندما أستمع إلى "أنا في انتظارك" على هيئة كتاب صوتي كوري جيد الصنع، أدرك مجددًا كم كنت متهورًا عندما قررتُ أن أقرأ كل شيء على أنه عرض زواجي.

كثيرًا ما أفكر أنه في حياتي كلها، لن أمنح تكريمًا أو فرحة تضاهي تكريم وفرحة هاتين القصتين الرائعتين، وحقيقة أنهما ستظلان دائمًا متصليتان بأسرتي. أتمنى أن يصبح مصدر سعادة لمن يقرؤنها أيضًا، وأمل أيضًا أن يصبح قصصًا يحبونها ويشاركونها، وتبقى معهم طوال حياتهم.

وأخيرًا أمل أن تُحبوا جميعكم، وتُحبوا.

نبي هذا العالم

1. نبي الفساد
2. تلك الحياة الواحدة
3. ما وراء القصة
4. فهرس مصطلحات نبي العالم

توطئة

حياة كل إنسان عبارة عن طريقٍ نحو نفسه، محاولة على طريق كهذا، تلميح نحو الممرِّ. لم يسبق لإنسان أن كان نفسه تمامًا وبشكلٍ كامل، لكن كل إنسان يحاول ذلك- هذا بطريقة خرقاء، وذاك بطريقة بارعة، كلُّ حسب استطاعته، وكل إنسان يحمل آثار ولادته -لُزوجة ماضيه البدائي وقشوره- وتظلُّ معه حتى آخر أيامه، وهناك مَنْ لا يصير بشرًا أبدًا، يظل ضفدعًا أو سحلية أو نملةً. وهناك مَنْ هو إنسان في نصفه الأعلى، وسمكة في نصفه الأسفل. لنا جميعًا أصلٌ واحدٌ؛ هو أمهاتنا، وجميعنا جننا من الباب ذاته، لكن كلُّ منَّا -بخبرات الأعماق- يجاهد للوصول إلى مصيره. يستطيع كلُّ منَّا أن يفهم الآخر، لكن أيُّ منَّا لا يستطيع أن يشرح نفسه إلا لنفسه.

هيرمان هيسه (دميان)

في بداية الزّمان، عاشت في مملكة الظلام الذوات الأوائل من الجيل الثاني -الأنبياء- كيانات ذات صفات ألوهية، هلامية الشكل. امتلك الأنبياء القدرة على تغيير أشكالهم، وخلق عوالم ضمن مناطق نفوذهم؛ البارود. ثم عرفوا الانقسام والاندماج، وتمكّنوا من خلال عملية أشبه بـ"الولادة" إلى الانقسام إلى أطفال؛ تلاميذ وأتباع من الجيل الثالث.

ثم قرّر الأنبياء تشييد مملكة الدنيا -الأرض- وإرسال الأطفال إليها بغرض التعلّم، ورؤية أفكارهم الفلسفية تتحقّق على أرض الواقع. عاملوا المملكة الدنيا بوصفها مدرسة وهمية للتعليم والتجريب، لكن مع انغماسهم في ذلك بات البعض من مملكة الظلام يعتقدون أن مملكة الدنيا حقيقة، وليست وهمًا؛ ومن ثمّ سعوا إلى التمرّد والفرذانية.

وهذه قصة كيف بدأ الفساد...

قصة نبيّ الفساد.

1

نبئ الفساد

ذاتي الأولى

0

يجب أن أندمج مع أمان.

لا أرى وسيلة أخرى لإيقاف فسادى. لإيقاف فساد أمان. وفساد العالم برُمته.

يجب أن أقوم بذلك حتى لو قاد ذلك إلى زوال فردانيّتي.

عندما فتحت عيني، كنت مستلقيًا في حقل.

كان يومًا دافئًا وباهرًا. امتدَّ حقل قمح تحت سماء بيضاء، اللون الذهبي لسنايل القمح الجافة ثريُّ جدًّا، لدرجة أنه تراءى لي وكأن بوسعه أن يسيل ببطء مثل العسل. لا أحد في مرمى البصر، لا مخلوق واحد يتحرك في الامتداد اللانهائي. لا وجود لمبانٍ أو جبال أو تلال أو حتى أنهار أو أغادير. لا شيء سوى الحقل ينبسط بيني وبين الأفق البعيد.

قال صوت مألوف فوق رأسي: "تأخَّرت".

صوت عشيرتي. بالمعنى الواسع للكلمة.

استقرَّ رأسي في حضنه بينما كان جالسًا يحيك. حاولت أن أتذكَّر ما إذا كان يحيك من قبل كهواية، لكن لا بُدَّ أن ثمة هوايات قليلة لم يزاولها من قبل.

سحبت إبر حياكته مجموعة متشابكة من الأوراق والطين والتبن. بدت الأيدي غير المرئية وكأنها تجمعها معًا، وتغزلها في نوع من الخيوط، وتزوّد الإبر بها.

قال: "لقد تأخَّرت لدرجة أنني اعتقدتُ أنك لن تحضر".

"أنت تعلم أنه يستحيل تجنب هذا المكان".

"أفترض ذلك".

نظرت حولي. كان منحنى الأفق مقوَّسًا بشكل غير عادي، وهو ما يعني أن هذا المكان كرويٌّ، لكن أصغر بكثير من الأرض، وفي الغالب ليس أكبر من كويكب صغير.

كانت المناظر الطبيعية زاهية وحيوية بشكل مكثَّف مثل لوحة انطباعية. ليس لأن الضوء كان أكثر إشراقًا، ولكن لأن حواسِّي أصبحت أكثر حدَّةً. تراءت لي واضحة تمامًا، كما لو نُقعت بالماء. ما كنت أعتقد أنه أحمر بدا الآن أقرب إلى أحمر قان كالدم، وما كنت أعتقد أنه أزرق، له الآن لون مياه المجاري. شَمَمْتُ العشب البري، رائحته فوَّاحة مثل الشاي المنقوع، وسمعت حتى النسيم يهمس ما وراء الأفق. كان كل شيء متألِّقًا، وطاغيًا تقريبًا، كما لو أن ضبابًا قد انقشع من رأسي. سيكون الأمر كذلك حتى أتعوَّد على حالتي.

كان النظر إلى هذا مشهدًا استثنائيًا. أو كان من الممكن أن يكون، لو كنت على قيد الحياة.

علَّق عشيرتي وهو يواصل الحياكة: "تبدو في مزاج جيد".

"كل حياة في مملكة الدنيا لها النهاية نفسها، وهي الموت. ما شعوري باعتقادك؟".

قال: "حسنًا، لم تختَر حياة مريحة لنفسك. لا تفعل ذلك أبدًا".

أشير إلى عشيرتي بضمير المذكَر لكنه ليس له جندر محدَّد. كيف يمكنه ذلك؟ لم يَعُد هو ولا أنا نمتلك أي جينات الآن. لا نمتلك قلبًا أو رئتين أو قناة هضمية أو أعضاء إخراجية. وكذلك لا نمتلك شبكات عصبية أو عظامًا أو عضلات.

نظرت إلى جسدي. بدا جسدي المجرد من الخصائص الجنسية الثانوية أشبه بجسم طفل ضخم. أي طفل لديه أعضاء تناسلية في عالم الأحياء، لكن هنا، لم يكن لدي أي منها. تفتقر ذواتنا الحالية إلى الزوج الثالث والعشرين من الكروموسومات الذي يحدّد جنسنا، ناهيك بأي هرمونات. ما حاجتنا لمثل هذه الأشياء؟ لماذا يجب علينا التكاثر للحفاظ على سلالتنا؟

كنا مخلّدين.

يسألني عشيرتي من كل نسخ الحياة التي عشتها سلفًا: "فيم تفكّر؟"؛ عشيرتي الذي كان من قبل والدي، وشقيقي، وشريكي، وصديقي، وحتى طفلي في مملكة الدنيا.

أجبتة أخيرًا: "العار. كنت لأشعر بالعار لو رأيتني هكذا في المملكة الدنيا".

نظر إليّ كما لو كان لسان حاله: "ماذا تقول أيها السخيف؟"، لكن بدلًا من ذلك قال: "عُرس إحساس العار في الناس لموازنة الشهوة الجنسية، كما تعلم؛ لمنع رغبة الإنجاب من الخروج عن نطاق السيطرة. وزُرعت الشهوة الجنسية في البشر للحصول على كائنات محدودة لتكاثر. لكن ليس لدينا الشهوة الجنسية هنا، لذلك لا يمكننا الإحساس بالعدم...".

"أعرف".

عرفت بالفعل. أعلم ما تعلمه وأنت تعلم ما أعلمه. فكّرت: أنت أنا في حين أغرف في يدي حفنة من التراب. طحلب، وبذور صغيرة، وأوراق جافة ممزوجة بالتراب تنسلّ من بين أصابعي. الرمل، ذرّة سيليكون مرتبطة بذرتين من الأكسجين، أربعة عشر إلكترونًا يدور حول نواة... كل شيء، مُختزّل إلى مصدره، كل شيء من المادة ذاتها. المادة ذاتها مثلي. هذا المكان أنا.

في بعض نسخ حياتي السابقة، قادتني قدماي إلى هنا عندما كنت أتأرجح على حافة الموت. ثم عدت وأخبرت الجميع بحماسٍ أنني رأيت الحياة الآخرة. لكن كل ما رأيته في الحقيقة هو الباردو خاصّتي.

لا يمكنني أبدًا أن أتذكّر بشكل صحيح حتى هذه الشريحة الصغيرة من الحياة الآخر. كنت محاصرًا في جسمٍ ليس أفضل من قطعة لحم خام كلما عدتُ إلى الحياة، جسم يستخدم كل الوسائل الممكنة لإلهائي عن التفكير. دماغ ذو مهارات معرفية ضعيفة، هرمونات شبيهة بالمخدرات، مجموعة يُرْتَى لها من النواقل العصبية، خلايا عصبية ذات سرعات معالجة بطيئة. كان الأمر أشبه بالإصابة باضطراب إدراكي مقارنة بحالتي الحالية من الإدراك المتضخم.

كررت في رأسي: كل شيء أنا. اضطررت إلى ذلك؛ لأنني لم أستطيع تصديقه.

"كيف حال أمان؟" سألت من باب العادة. فهِمَ عشيرتي على الفور إلى أي أمانٍ كنت أشير، وكالعادة هزَّ رأسه.

"لم يتغيّر الوضع. لا يزال أمان لا يستطيع الهروب من الباردو خاصّته. هو مقتنع بأن الباردو خاصّته هو الحياة الآخرة بأكملها". رغم توقُّعي الإجابة، شعرت بخيبة أمل.

"هربت أيضًا أجزاء من أمان، لكنها لا تعود إلى عالم الموتى. اختاروا التناسخ في الباردو خاصّتهم بدلًا من ذلك، وفي كل مرة ينقسمون إلى مئات وآلاف القطع الصغيرة. لا ينسجون مصائرهم، ولا يهتمُّون بالصورة التي سيولدون عليها. كل ما يبدو أنه يتبقَّى بداخلهم هو إرادة الهروب. حتى توشيتا تخلَّى عن تعقُّبهم".

تلك مشكلة كنت على دراية بها...

سأل عشيرتي: "إذن، هل تفكر حقًا في الاندماج؟".

أجبت: "نعم. أنا مسؤول عن هذه الفوضى".

فكّرت في ضوء الشمس المتدفّق عبر النافذة، وخشخشة غلاية نحاسية، والرائحة الزهرية الحلوة للشاي. فكّرت في أمان، العجوز والضعيف، الجاثم على السرير بجانب النافذة. فكّرت في الطريقة التي نظر بها أمان إليّ. الفكرة توجع قلبي، مع أن جسدي لم يعد يمتلك مثل هذا العضو.

لم يقلّ عشيرتي شيئًا، وراح يحدّق إلى ما وراء الأفق. كرة سوداء خلّابة مرصّعة بعناقيد من النجوم، معلّقة بجلاء في السماء البيضاء. كانت تدور، لكن حجمها الهائل خلق إيهاّمًا بالسكون. ليس شمسًا أو قمرًا، ولكن جرم سماويّ شاسع يضمّ الأرض في المركز؛ عالم الأحياء. مدرستنا.

"هل جمعت كل شيء؟"

أومات برأسي.

"بداية من الوحوش والحشرات إلى الأشجار والتربة والصخور؟"

أومات برأسي مرّةً أخرى.

"لا بُدّ أن يكون عدد السكان الأحياء قد انخفض كثيرًا. يا له من عمل بغيض".

"ولكن كان لديك يدٌ في ذلك أيضًا".

"وأنا نادم على ذلك. على أي حال، ماذا ترى الآن بعد أن دمجت كل هذه الأجزاء في كيان واحد؟"

أول ما أُعيد اندماجه بداخلي كان سربًا من ذباب مايو. في المملكة الدنيا، قد يشكّل هذا موتًا جماعيًا. ملأت التربة بركتهم، فطاروا

إلى الباردو خاضتني في أجسادهم الروحية. كان التالي مستعمرة نمل. دمّرت جرّافةً مملكتهم. ثم احترقت خلية نحل في حريق غابة. كانت المخلوقات تغلي بالاستياء عندما ماتوا، لكن بمجرد موتهم وصلوا إلى فهمٍ غامض. قُطعت الأشجار واختفت الغابات وتصدّعت الصخور المسطّحة. صُدِّموا بدورهم عندما ماتوا، لكنهم توصّلوا أيضًا إلى فهم غامض وانضمُّوا إلى الآخرين. تجمّع المزيد؛ الحيوانات التي صيدت وقُتلت في الفخاخ والطيور العالقة في الشباك، والأسماك المقطّعة إلى ساشيمي. مستنقعات متلاشية وبرك مختنقة وحقول وجداول مدفونة تحت الإسمنت. أصابهم الذهول من الاندماج، لكنهم استوعبوا أيضًا مع مرور الوقت. غرق الناس في يأس لا مبرر له وانتحروا الواحد تلو الآخر. ماتت أجنّة في الأرحام، وهُجر الذين وُلدوا حتى يموتوا. تساءل الجميع لماذا كانت الحياة عقيمة.

كان كلُّ واحدٍ منهم أنا.

ومع ذلك، فقد أصبحت بعض الكيانات منفصلةً جدًّا عني، لدرجة أنني بدأت أشعر بعدم اليقين فيما إن كان عليّ تسميتهم "أنا" أم لا. جمعتُ أكبر عدد ممكن من الكيانات دون المساس بهويّتي.

"هل تعتقد أنه يمكنك هضم أمان؟".

"ليس بعد".

كان صحيحًا. في الآونة الأخيرة، كان مجالي يتقلّص بسرعة. كنت لا أزال صغير الحجم بشكلٍ مثير للشفقة رغم تعزيز كياني بكل ما يمكنني الحصول عليه.

"اذهب لرؤية تانجاي. سيساعدك ذلك".

"أعرف".

"كان رفقة فوكسي في حياته السابقة. سوف يعرف فوكسي أين يمكن العثور عليه".
"أعرف".

"احترس، حاملما يبدأ الفساد، تجد نفسك لا تفكر سوى بالطرائق التي تشجع على المزيد من الفساد". قال عشيرتي وهو ينهي بعناية ما كان يحكيه. "وعندما تغدو فاسدًا تمامًا، فلن تدرك حتى أنك كذلك".

هزّ عشيرتي الثوب ورفعته إليّ. كانت سترة طويلة خضراء ذات تصميم بدائي، بأكمام متهدّلة وحزام مربوط بشكل عرضي حول الخصر. مع أنها كانت محبوكة بأوراق الشجر، إلا أنها كانت ناعمة ومثل القماش المنسوج على نولٍ حتى.
"جرّب ارتداءها".

"هل تريد أن أتجوّل بالملابس؟ هنا؟" سألت بريية. لا حاجة لارتداء الملابس في مملكة الظلام. يمكن للمرء ببساطة تحويل جسده إلى شكل مُلّفَع بالثياب. ولا حاجة لامتلاك أي شيء أيضًا؛ إذ يمكن للمرء أن يصنع كل شيء.

"هي تعويذة. ستساعدك في اكتشاف علامات الفساد".
"هذه؟ كيف؟".

"ستعرف أنك فاسد في اللحظة التي تريد فيها ارتداء الملابس".
هذا الشخص -عشيرتي- أنا.

كنت أعرف ما أخاف منه. فكّرتُ في المرض الكامن بداخلي. فكّرتُ في لحمي الملوّث. إنّ فشلت، فسأصبح فاسدًا. زلزل الخوف جسدي من مجرد التفكير في ذلك.

لكن يجب أن أفعله. قبل فوات الأوان. قبل أن يستشري فسادى أكثر، قبل أن أصل إلى نقطة اللا عودة.

حوّلت جسمي إلى سائل، وتدققتُ داخل السترة. كانت السترة فضفاضة قليلاً عليّ، لكنني ضخمتُ نفسي لتلائمها. نفض عشيرتي التراب عن جسمه وهو يقف، ويمدُّ يده.
"هنا".

كانت اليد شفافة. لا عروق أو خطوط كُف. بما أننا لم نكن بحاجة إلى التنفّس، لم يكن لدينا أوعية دموية لحمل الأكسجين. ونظرًا لعدم وجود أوعية دموية؛ لم يكن لدينا بشرة. "يجب أن تضمّني إليك أيضًا".

وقفت أيضًا ووضعت يدي فوق يديه. لكن قبل أن تتلامس يدانا مباشرة، أنزل يده بسرعة.

سألني: "لماذا لم تشكّل روابط سوى مع ذاتك مؤخرًا؟".

لم أُجب. انتشرت ابتسامة عريضة على وجه عشيرتي الذي كان مطابقًا لوجهي.

لم يكن شخصًا واحدًا، بل كان مجموع نَسخ حياة لا حصر لها. كما كنت أنا الآن. فكّرتُ في كل نسخ الحياة التي قضيتها رفقته. فكّرتُ في والدي، وشركائي، لحمي ودمي المولود من الرّجِم نفسه، أطفالي. فكّرتُ في الأيام التي لم أشكّ فيها ولو قليلاً في أنه ينتمي إليّ، في أن حياته ووقته ووجوده كان من أجلي وحدي، في أن الحب والتضحية اللذين قدّمهما إليّ، كانا بكل عدالة واستحقاق واجبه نحوي، وحقي عليه. فكّرتُ في الأوقات التي لم أستطع فيها فصله عني.

"يجب عليك على الأقل إقامة روابط مع ذات أخرى غيرك. هذه هي الطريقة التي ستتعلم بها عن العلاقات".

"لا توجد قاعدة تنصُّ على أنه يجب علينا ذلك. أنا اخترت عدم القيام بذلك".

"شعرت بالأسف الشديد، أليس كذلك؟ لإشراك شخص آخر، لجعله يتفرَّج على ممارساتك الزاهدة المريعة حقًّا؟".

لم أتفوّه ببنت شفة.

"أوه، فهمت. هذا لأنَّ مَنْ يشكُّ علاقة معك سيكتشف الحقيقة. أعني عن حالتك. ربما كنت تشعر بالعار. ربما لا تريد أن تُفتضح. لكنك ما زلت في فوضى عارمة".

فكَّرت: هذا الشخص أنا. أراد ما أردت. لكن كانت هناك أوقات كرهت فيها نفسي، عندما كنت غاضبًا من نفسي. أوقات أردت فيها التخلُّص من نفسي.

انتظرت حتى مدَّ يده مرة أخرى. سحبها مرة أخرى عندما أوشك أن يلمس يدي مرَّةً أخرى.

"عند التفكير في الأمر ثانية، لا يوجد فارق كبير بيننا. أنت أضخم قليلاً فقط. ألا يمكنك الاندماج معي؟ لن تهَمَّ الطريقة التي نقوم بها بذلك، أليس كذلك؟".

"لا، لن تهَم".

أمسكت بيده وقلبتها حتى أصبحت يدي تحت يده.

ثم اندمجنا.

حاملًا تندمج، ستدرك أنه لا فارق في مَنْ يندمج مع مَنْ.

فكّرت ذاتي الجديدة: كنت أمزح فقط. كنت سأدع ذاتي الأخرى تحفّز الاندماج.

لكن لا بُدَّ أن ذاتي الأخرى قد فكّرت في الشيء نفسه.

مع ذلك، تلاشت الفكرة كلها. لم يكن هناك فرق. كنّا في الأصل كيانًا واحدًا انقسم إلى اثنين، وليس كيانين منفصلين اندمجا في واحد. الآن بعد أن أصبحت كلاً واحداً، بدت المشاعر التي ساورتني في شكلي المجرّأ غريبة تماماً. كما لو كنت أنظر إلى الوراء في طفولتي. إلى نسخة من ذاتي أقل خبرة وأقل معرفة. نسخة مني أتذكّرها لكنها تترأى لي أبعد ما تكون عن ذاتي الحاضرة.

وهكذا التقت حياتان كاملتان في حياة واحدة. بمجرد أن اندمجت، أدركت بسهولة أن شكلي الحالي أقرب إلى جوهرى. كم كان سخفًا وعبثًا مني أن أهوَس بفردانيتي في مثل هذه الحالة المحطّمة غير المكتملة.

داعبت الرياح حقل القمح. انثنى الحقل ثم ارتفع مرة أخرى. هبّت الريح بأمرى.

لا، كانت الريح أنا.

كنتُ أهبُّ. لم تكن الأزهار البرية تتمايل بل أنا.

كل شيء هنا أنا.

قدّرت حجم البارود خاصّتي. كان صغيراً. جمعتُ كل ما بوسعي قبل الشروع في هذا العمل لكنه ما يزال صغيراً. قدراتي وإمكاناتي تضاءلت أيضاً.

غمرتني رهبةٌ غير متوقّعة من احتمال تجميع ما بقي من ذاتي. تماماً كما حدث في عالم الأحياء، عندما خشيت ممّا يقبع وراء الموت. كنتُ خائفاً من أن يتلعني هذا الحيّز الذي لم يكن أكثر من مادة غير عضوية. من أنني قد أصبح حقلَ قمح أو كومةً من التراب. ومع ذلك، أدركت أنني لن أهين نفسي لو فعلت هذا. علاوة على أنني بحاجة إلى هذا الحيّز إن كنت أتمنى أن أنهى ما قرّرتُ القيام به. لن أختفي. سأصبح كاملاً فحسب.

نقرت بقدم واحدة بخفّة. اهتزّت الأرض، بدءاً من البقعة التي لمستها قدمي. ارتجف حقل القمح قبل أن ينفجر متحوّلاً إلى وابل من الغبار. نقرتُ بقدمي مرة أخرى، وغاصت الأرض كما لو أن نيزكاً قد اصطدم بها، ثم تداعت. تفكّك الغبار إلى جزيئات، ثم فقّدت الجزيئات شحنتها الكهربائية وتهاتوت.

أخيراً، فكّكتُ شكلي البشري وانضمتُ إلى البقية.

عندما يتحول المرء إلى جزيئات، تتبعثر أفكاره أيضاً وتصبح حواسّه مُجزّأة. من الصعب أن ترى أو تسمع أو تفكر في هذه الحالة. ومع ذلك، من المستحيل تجاهل عالم الأحياء نظراً لموقعه المركزي. بالطبع، مصطلحات "عالم الأحياء" و"عالم الموتى" تسمية خاطئة، لكننا نستمر في استخدامها بدافع العادة. الشيء نفسه ينطبق على مصطلح "المملكة الدنيا" سيكون الاسم الأكثر دقّة من الناحية المكانية "المملكة المركزية".

خضع الهيكل ثلاثي الأبعاد لمملكة الدنيا للاعوجاج لمنع نفاذ أي ضوء من الخارج، وحبس كل شيء بداخله. وفي مركز تلك الكرة السوداء توجد قطعة أرض صغيرة وصلبة وزرقاء نسميها "الأرض".

تلك الأرض مدرستنا. قاعة تعليمنا، مهّدُ خبراتنا، ساحة تدريبنا التفاعلية قصيرة المدى.

أفكر: هذا المكان أنا.

كانت المملكة الدنيا تنمو بشكل أضخم حتى مع الانفجار السكاني للبشر، والتّقدّم المعرفي. مع اتّساع مجال رؤية البشرية، سارع الأنبياء إلى إنشاء النظام الشمسي وجمعوا بعض المجرّات معًا. جعلوا المناطق غير قابلة للرصد بعد نقطة مُعيّنة، لكن سيتعيّن عليهم إعادة تصميم كل شيء إن كان البشر يتطلّعون إلى مدّ رؤيتهم إلى ما هو أبعد من ذلك. نظرًا لأن القيام بذلك سيكون عبئًا كبيرًا على الأنبياء، فمن المحتمل أن ينتهي بهم الأمر بالتّدخّل من خلال التّسبّب في تراجع المعرفة البشرية بدلًا من القيام بالعمل الإضافي.

فكرتُ: بالطبع، سيكره أمان رؤية ذلك يحدث.

دارت مناطق البارود الخاصة بالأنبياء حول عالم الأحياء مثل مجرّات قزمية الحجم. من وجهة نظر بشرية، يمكن للمرء أن يقول إن كل بارودو يمثل "جنة" لكل دين. حجم البارودو هو حجم جسم نبي- حجم قوته. يحدّد عدد تلاميذ النبي، عدد الأتباع وما إلى ذلك. باختصار، كان البارودو مقياسًا للشعبية.

بينما أتوجّه إلى بارودو شقيقي فوكسي، ألقيت نظرة جانبية إلى كرة بيضاء مقابل عالم الأحياء.

توشيتا. مجموع الأنبياء الذين توقّفوا منذ مدة طويلة عن النزول إلى المملكة الدنيا، من أجل الحفاظ على نقائهم ووقاية أنفسهم من الفساد.

فكّرتُ: هم أيضًا أنا.

كلهم أنا، أجبرت نفسي على التفكير، إذ تسلل الشكُّ إلى دخيلة نفسي، ورفض الرحيل. رغم جمعي كل أجزائي معًا، إلا أنني بالكاد أصدق أنهم أنا.

أصبحت فاسدًا بشكل لا لبس فيه.

كان باردو فوكسي أضخم من ذي قبل.

نظرًا لأن كلاً منّا، أنا وفوكسي العجوز، نمتلك قِيمًا متعارضة؛ تنامي مجاله بمقدر ما تقلص مجالي. كان هذا حتميًا ما لم تتغير كتلتنا الكلية.

لم نكن على وفاق، لكن كان عليّ أن أعترف، كان لشقيقي أسلوبه المميز. كان باردو فوكسي معرضًا فنيًا ينبض بالحياة والنشاط. ازدهرت الأزهار من كل لون فوق جبل على قِمِّته ربض معبد ذهبي طويل أعاد ترتيب نفسه في تصميم جديد بين الحين والآخر. بدلت اللوحات على الجدران المشاهد المرسومة عليها بانتظام بينما كانت المنحوتات المنتشرة في المعبد، بالكاد عارية، تتخذ أوضاع وقوف مختلفة مثل عارضات أزياء، مُظهرة تضاريس أجسامها المثالية.

في حين يتفاخر فوكسي بكثرة الأتباع، انتشرت أحاديث صاحبة في كل مكان. جلس الأطفال أمام معلّمهم في زوايا عدة من المعبد، واستعرضوا حياتهم السابقة في أجواء تشبه عمل كُتّبة السجّلات. قيّموا ما تلقّوه وأعطوه، وفعلوه بشكل خاطئ، وفعلوه بشكل صحيح في حياتهم الماضية، وقرروا ما يجب أن يتعلموه في حياتهم التالية.

"في المرة القادمة، أريد أن أتعلم فن الاحتيال. فما لديّ اهتمام ببلاغة الكلام وقدرته على الخداع".

"ستحتاج إلى نهمٍ للمال، إذن. ما رأيك في الآتي؟ تفشل تجارة والدك خلال طفولتك وتقضي بقية حياتك مهووسًا بالمال".

"أحدهم سيحتاج إلى لعب هذا الدور من أجلي رغم ذلك. هل تكون أبي؟ سأساعدك في الحياة التالية لهذه الحياة؟".

"لديّ صديق يريد تجربة الطلاق. دعنا نقتعه بالانضمام إلينا".

تجاوزت الأطفال. تسلّقتُ الجبل عبر درج رخامي أبيض مزينّ بالجواهر. يمكنني نقل ذاتي بوسائل أخرى، لكنني لم أرغب في جذب الانتباه وأنا موجود في مجال فوكسي.

كان الأطفال الذين يغادرون إلى المملكة الدنيا متجمّعين بجوار بحيرة زمردية في الحديقة الأمامية للمعبد. ذكروا أنفسهم بالموضوعات التي سيتعلمونها والأدوار التي سيلعبونها في حياتهم القادمة، وخرّنوا في ذاكرتهم بحرصٍ وجوهَ الأصدقاء الذين كان من المفترض أن يساعدهم، ثم طاروا بعيدًا في صورة مجموعة من الجزئيات.

قال المعلمون: "احذروا الفساد"، وهم يضعون أيديهم على جبين كل طفل راحل. "تذكّروا أن المملكة الدنيا حلم تسكن فيه مدة وجيزة. ذلك العالم مجرد وهم".

ذلك العالم مجرد وهم... كرّرت العبارة المألوفة بصوتٍ خافت. قتلها بدوري مرّاتٍ لا حصر لها لطلابي عندما أرسلتهم إلى المملكة الدنيا.

"الجسد وهم. أنت لست منفصلًا عنّا. نحن واحد. كل شيء متصل. لا تنسَ ذلك".

لا تنسَ... يا له من أمر متناقض. الأطفال ينسون. لا بُدَّ أن ينسوا. هم مُجبرون على النسيان- يُعطون وصفة تمحو ذكرياتهم قبل

إرسالهم إلى المملكة الدنيا. نجعلهم ينسون، ومع ذلك نخبرهم أن يتذكروا.

أي مزحة رهيبية هذه؟

لفت انتباهي طفلة. كانت الطفلة شريكتي في الحياة الماضية. تعرّفت عليّ وأعطتني إيماءة طفيفة قبل أن تتفكّك، وتطير بعيداً. أغرم كلُّ منّا بالآخر ذات مرة، لكنها الآن لا تبدو سعيدة أو حزينة لرؤيتي.

يقف فوكسي في منتصف المعبد. يبدو ساحراً حتى في لمحة عابرة. كان يتقلّد تاجاً ذهبياً باذخاً فوق تجاعيد شعرٍ منفوشة وجميلة، ويرتدي رداءً دوبو يكشف عن صدر قوي. كان حجم النبي فوكسي ثلاثة أضعاف حجم أتباعه.

"ها هو الزاهد يأتي"، صاح فوكسي كما لو أنه ابتلع محرّكاً بخارياً بأكمله. كفّ الأتباع عمّاً كانوا يفعلونه والتفتوا ونظروا إليّ. توقّفت الثرثرة والموسيقى. بالنظر إلى أن هذه المساحة بأكملها كانت جسد فوكسي، وكل تلميذ جزء انفصل عنه، يمكن للمرء أن يقول إن كل فوكسي كان يعير انتباهه إليّ.

"إذن أيها النبي نبان. ما الرؤى التي اكتسبتها من ممارستك الزاهدة هذه المرة؟".

لم ينقسم فوكسي إلى العديد من الأجزاء مثلما فعلتُ عند دخولي إلى عالم الأحياء. بدلاً من ذلك، اختار حياة واحدة أو اثنتين مُصمّمة باتقان. كان هائلاً في عالم الأحياء أيضاً. لم يكن أبداً ضعيفاً، ولم يفهم الألم أبداً. عاش حياته غير راغب في شيء، وتمتّع بثروات لم يكسبها بنفسه، ومات بشكل مريح. كنت أعرفه طوال حياتي، لكنه لم يعرف بوجودي. كنت الحاجب الذي يعمل لصالحه أو الرجل العجوز الذي يلتقط أوراق القمامة في حيّه. كنت العاهرة من بيت الدعارة المفضّل

لديه، أو المشرّد الذي يعيش في صندوق داخل محطة القطار التي يديرها.

رددتُ عليه: "ماذا كسبت أنت؟".

حدّث فوكسي في السماء بنظرة بدت وكأنها تقول: "كيف يمكنني حتى أن أبدأ في وصف كل ما تعلّمته بالكلمات؟"، سقطت عيناه على الأفق، الذي يلوح فوقه عالم الأحياء المهيب.

"اكتسبتُ قوّة العقل. الثقة والجرأة". رنّ صوت فوكسي عبر الباردو خاصته. لم يتحدث إليّ، بل كان يعظ أتباعه. لم أستطع دحض كلامه. حتى بوصفه إنساناً، كان فوكسي صالحاً مثل قديس، إذا كان المعيار الوحيد للحكم عليه هو النقاء. "تعتقد أن الأطفال الذين تعرّضوا للأذى على أيدي آبائهم أكثر نضجاً من الأطفال الذين نشؤوا في رحاب المحبة. لكن يجب أن تعرف أن العكس هو الصحيح. تحتاج الروح إلى السعادة، وليس الألم".

أجلت بعينيّ في أرجاء المكان، مستمعاً بلا تركيز لكلمات فوكسي. أينما نظرت، كان جدارٌ من التربة يقفز من الأرض، وتبدلّ أغصان شجرة، وتتضخّم صخرة. عندما حاولت أن أرى من خلالها، زارت التربة والصخرة في وجهي.

لم أكن مُرحّباً بي هنا.

لم أمانع. إن جاء فوكسي إلى باردو خاصتي، فقد تكون ردّة فعلي أسوأ.

استطرد فوكسي: "عندما ينضج الأشخاص الذين اختبروا الألم، فقد يصلون بالفعل إلى مستوى من الفهم أعلى من أولئك الذين لم يعانون ألبتة قط. لكنها طريقة غير فعّالة للغاية. خطوة واحدة خاطئة، ويمكن

أن يقعوا في غياهب هاوية روحية. أساليبك أقرب إلى دفع الأطفال إلى منافسة شرسة، وتنشئة مَنْ ينجون منهم فقط".

قاطعته: "جئت بحثًا عن تانجاي".

"مَنْ؟" كان فوكسي يلعب دور البريء.

"طفلي الذي أعرف أنك تخفيه".

"للطُّلاب الحق في اختيار معلّمهم. كان ذلك الطفل متعلِّقًا بي. ولم تعطه سببًا للمكوث".

"أنا لست هنا لاستعادة تانجاي. أريد فقط أن أراه بشأن مسألة شخصية. إن كان في مجالك، فيرجى إفساح الطريق لي".

هزّ فوكسي رأسه. "في الواقع، لم يصبح تانجاي ملكي. استدرجته ونجحت جزئيًا، لكنه أصيب بالذعر، وهرب بمجرد أن وطأت قدماه مملكة الظلام. كان خائفًا جدًّا مني. أصرّ على أنه لن يتجسّد مرة أخرى أبدًا. لا ألومه. الحياة التي تمنحها كمكافأة، سيئة بما فيه الكفاية؛ أكره أن أفكر في نوعية الحياة التي ستمنحها كعقاب".

التفت بعيدًا، مستمعًا دون إنصات إلى فوكسي وهو يتمتم: "هذا الطفل المسكين...". يمكنني البحث داخل فوكسي إن بذلت قصارى جهدي، لكنني صرفت نظري عن ذلك. لن يكون ذلك نصرًا فظًّا مني فحسب، بل كان كل نبي قوة لا يستهان بها. كان بوسعه النظر بداخلي إن أنا بادرتُ أنا بالنظر داخله. لم تكن لديّ أي رغبة في السماح لنبي، أو بالأحرى فوكسي بالتحديد، بإدراك الحالة التي كان جسدي فيها. كان فوكسي أكثر من قادر على نشر الشائعات ببهجة عبر مملكة الظلام الشاسعة كلها بأنني كنت مخطئًا وهو على حقّ. قد يُصرّ حتى على جعل جسدي ملكًا له لتطهيره.

لكن تانجاي عاش حياة واحدة بصفته تلميذ فوكسي، وأولئك الذين شكّلوا رابطة مع تانجاي، يمكن أن يكونوا هنا في أي مكان. قال فوكسي ممسكًا بي: "سمعت أنك تندمج". لكن لم يُسكني بيديه. أصبحت الأرض لَرَجَةً وتشبّثت بقدمي.

حاولت أن أُخلّص نفسي، لكن الأرض الموحلة أمامي مارت وارتفعت مُتَّخِذَةً شكل إنسان. بدا أشبه بطفل شكّل رابطة معه في حياة سالفة. وقفت المزيد من الدُمى بجانبه. كل دُميَة اتَّخَذت شكل شخص مُعيَّن أحببته بشدّة من قبل. أحبابي من الأيام التي كنتُ فيها الأكثر جذبًا وتوقُّدًا. كلهم عُراة. حتى أعضائهم الحميمة كانت مألوفة لي بصورة مؤلمة.

"جمعت حتى الذباب والديدان".

الرجال والنساء، الكبار والصغار، الحشرات والآفات والحيوانات الصغيرة، والنباتات والأشجار. لأن فوكسي كان يُريني شظايا مُنتقاة من أيام افتتاحي العميق بمملكة الدنيا، لم يكن كل شيء جميلًا. برز شخص أصلع وأعمى له جسد مُتجعّد عن البقية. كنت قد مكثت بجانبه وهو يحتضر على فراش الموت. أقسمنا مرارًا على البقاء متزوِّجين في حياتنا الآخرة لكنه الآن...

"هل جمعت كل ما تعلّمته؟ إذن، ما الذي حقّقته من ممارستك؟ لماذا لا تشاركه مع بقيتنا؟".

ضيقّت الدُمى الخناق عليّ، أيديها الممدودة تتحسّس جسدي. أحاطت السيقان بخصري، واشتبكت الأذرع حول عنقي. لعقوا رقبتني وجردوني من ملابسني وفركوا ما بين ساقيّ. عندما كانوا كائنات حية في مملكة الدنيا، كانت مواد كيميائية أشبه بالمخدرات تصنع حتى تُفرز من أدمغتهم عند أقلّ تلامس جسدي، لكن هنا كانوا يقلّدون الفعل فحسب.

أزعجني تخليُّ فوكسي عني. كانت "المتعة" مجرد أداة صُنعت لإبقائنا -نحن الذين أُرسِلوا إلى المملكة الدنيا- بمنأى عن الموت، والعودة قبل الأوان. من أجل السماح لنا بالأكل والنوم والتزاوج والتكاثر بشكل غريزي دون الحاجة إلى تعلُّم كيفية ذلك. وفي الوقت نفسه تجعلنا فضولين بما يكفي لاكتشاف معرفة جديدة. لكن تلك الأداة نفسها بدأت تقودنا إلى مسارات فوضوية لأننا لم نكن نتكبَّد عناء إزالة البيانات الوهمية أو الأخطاء التي تتزايد مع كل تحديث. بدلاً من ذلك، أصلحناها في أماكنها.

لم تكن المتعة شيئاً يكرِّس المرء ذاته من أجلها حتى في مملكة الظلام.

سألني فوكسي: "لماذا أنت كتوم جداً؟ نحن جميعاً ممارسون للحقيقة وباحثون عنها، أليس كذلك؟ فكَّر فقط في مقدار ثراء أرواحنا جميعاً إن شاركت معنا حكمتك المكتشفة حديثاً. أنت تعرف كم من الوقت مضى منذ آخر مرة استرجع فيها نبيُّ أجزاء ذاته كلها. الجميع مهتمُّ جداً".

كانت دمية من الصلصال تعانقني بوجهٍ شهوانيٍّ، وتلحس خدي عندما تغيَّر تعبيرها. سرَّعت من حركة جسيماتها؛ لدفع الأحداث إلى الأمام أكثر. ثم في لحظة، تجعَّدت كل دمية، وذبلت، وتقلَّصت إلى عظام.

استدرتُ وتحديثُ بصوت عالٍ يمكن أن يسمعه الجميع. "لو تمكَّننا من التعلُّم من خلال الكلمات، لما أسَّسنا المدرسة".

ظهر عبوس طفيف على وجه فوكسي. جعلت في تلك اللحظة جزءاً من جسد فوكسي، وإن كان صغيراً، ملكي. أخذته دون حتى المغامرة بإقناعه. ما فعلته كان مكافئ المملكة الدنيا ليكنم أحدهم على وجهه.

"لم نكن لنقسّم جسدنا الأصلي إلى العديد من الكيانات أيضًا، أو نمحو ذاكرتنا ونصبح أطفالًا جاهلين قبل أن نلقي بأنفسنا في معركة من أجل البقاء". بينما كنت أتحدث، تأكسدت عظام الدُمل وانهارت، وبعثرت الريح رمادها. "لا يمكن تحقيق التعلّم إلا من خلال العيش. إن كنت تريد أن تعرف ما تعلّمته، فتجسّد وعش كما فعلتُ أنا تمامًا. عندئذٍ ستعرف".

استدرتُ، لكن فوكسي نادى عليّ.

"نابان". بدا فوكسي قَلِقًا عليّ بطريقته الخاصة. "متى كانت آخر مرة عشت فيها حياة لائقة؟".

لم يسعني إلا التّسمُر في مكاني.

"في المرة القادمة، حاول أن تحظى بأبوين صالحين على سبيل التغيير؛ اختر حياة أسهل وأكثر راحة لنفسك حتى تستطيع أن ترتاح. حياة من المتعة ليست خيارًا ضعيفًا أو رعيديًا كما تعتقد. أنت لا تعرف الفرحة. هذا يعني أنك تفتقد جانبًا واحدًا من الحكمة".

لم أجد أيّ ردٍّ؛ إذ لم تكن كلمات فوكسي خاطئة. لا أحد منّا يمكن أن يكون مخطئًا لأن لا أحد منّا على صواب.

تركتُ أرض المعبد، ونزلت مجموعة السلام البيضاء المؤدّية إلى أسفل الجبل. وقف أطفال فوكسي على مسافة آمنّة، يراقبونني أو يتحاشونني، في حين يهمسون فيما بينهم. تعرّفت على واحد منهم. رأني الطفل أنظر إليه، واختبأ في عجالة خلف تمثال.

كانت لديّ رابطة مع هذا الكيان، رغم أنه كان من العسير بالطبع العثور على شخص لا أعرفه هنا. اعتاد هذا الكيان أن يكون طفلي.

تحركتُ نحوه وأمسكت به. تمامًا مثلما حجب فوكسي رؤيتي، لم أستخدم يدي. جعلت التعريشات تنمو وتسدُّ طريق هروب الطفل.

قلت: "يوهي المرح".

"المعلم نابان"، شهق يوهي. بدا الطفل مثل عجين من الطحين الأبيض، مع نتوءات بالكاد يمكن اعتبارها أطرافًا. أو بالأحرى كان يرقّة بحجم إنسان مثبتة عليها عينان وأنف وفم. اختار يوهي مظهرًا غريبًا، وفقًا لأحدث بدعة من بدع تقليد الشكل البشري.

"أنا لست هنا لإثارة ضجة. أنا أبحث عن تانجاي. هل تعرف مكانه؟".

نظر يوهي يمينًا ويسارًا.

"قلت لك، أنا لست هنا بحثًا عن المتاعب. كان طفلك وطفلة تانجاي متزوجين في مملكة الدنيا. لا بُدَّ أنكما رجعتما معًا. هل رأيت أين ذهب تانجاي عند رجوعكما؟".

تراجع يوهي إلى الورا في رعب. زوج من المنحوتات التي وقفت بيننا، رجل وامرأة، تجردًا من ثيابهما، وبدأ كل منهما يداعب الآخر في مواضع مختلفة. بدا لي أنهما يقلدان تعابير وجهينا وإيماءاتنا. تركتهما يفعلان ذلك من منطلق معرفتي كيف لا يملك فوكسي شيئًا أفضل للقيام به.

"تعرف أن تانجاي غريب الأطوار قليلًا. بنى سفينة فضاء، وقفز على متنها، وهرب بعيدًا".

للحظة ظننتُ أنني أخطأت سماع ما قاله يوهي: "سفينة فضاء؟!".

"تنطلق بسرعة الضوء باستخدام وقود دافع حيوي⁽¹⁾، وهو أمر ممكن نظريًا فقط في عالم الأحياء. بالطبع، صنع مثل هذه السفينة

(1) مادة أو مجموعة مواد يُولّد تفاعلها الكيميائي طاقة تُستعمل في الدفع الذاتي للصواريخ أو يُولّد الغازات الساخنة التي تغذي حركة صاروخ ذاتي الدفع (المترجم).

هنا أسهل بكثير مقارنة بمملكة الدنيا. لا داعي للقلق بشأن أشياء مثل معدات النجاة، أو حدّ التسارع".

"سفينة فضاء؛ أهذا ما تقول؟".

"حسنًا، أفترض أنه يمكنك تسميتها 'باردو' تانجاي، لكنها بالتأكيد سفينة فضاء. استخدمت الدفع الصاروخي. تانجاي... كما تعلم، تحكمه بالكامل قوانين الفيزياء ثلاثية الأبعاد حتى في مملكة الظلام".

بدأت أسأل: "هل قلت دفع صارو..."، لكنني بترت عبارتي، وقلت بدلاً من ذلك: "نعم، لأن تانجاي يفكر من منظور ثلاثي الأبعاد؛ ولهذا، سافر تانجاي في حيز ثلاثة أبعاد... المسافة المقطوعة تتوافق مع الوقت المنقضي. هل رأيت أي طريق سلكه؟".

أشار يوهي إلى مكان على مبعده.

"جيد جدًا. كنت مفيدًا".

استدرت لأغادر، لكن يوهي أوقفني. المنحوتتان اللتان كانتا تتطارحان الغرام بيننا، أطلقتا أنينا استفزازيًا. لا بُدَّ أن فوكسي قرّر أن اللحظة تتطلب موسيقى خلفية.

"ماذا؟".

"يا معلم، أنا... لم أكن أعرف أنه أنت".

"لا يهم. أنا أيضًا لم أتعرف عليك".

تركني يوهي قبل حياتين. كان الطفل مقاتلاً في كل حياة جمعتنا معًا. حتى عندما كان ذئبًا أو خنزيرًا بريًا. كرّس حياته ووفاته في كل مرة من أجل التوزيع العادل للثروة والدخل. ثم نفدت طاقته واحترق. كما فعل الكثير من الأطفال. سئم يوهي من الخسارة، واعتقد أنني المشكلة.

- يا معلّمي، أنا أخسر لأنك جعلتني فقيراً.

هذا ما قاله يوهي قبل أن يهجري.

- لا يمكنني محاربة الأقوياء إن كنت عاجزاً.

وكان ردّي:

- إن لم تكن فقيراً، لم تكن لتفكر في محاربتهم في المقام الأول.

- يمكنني تحقيق أي شيء بالقوة. متى ستكف عن السماح

لهؤلاء المادّيين بإدارة العالم. يمكنني التّجسّد آلاف المرات في

هذه الحالة، ولن تتغير النتيجة مطلقاً. لا يمكننا تغيير العالم

هكذا!

هكذا تركني يوهي. كما هو الحال دائماً، رحّب فوكسي بيوهي

بذراعين مرحّبتيّن، وأعطاه حياة مثالية تلو الأخرى. في حياة يوهي

الأخيرة، كان عبداً لملذّاته الجنسية. لم يشعر بالذنب حيال مثل هذه

الأمور. عاش معتقداً أنه يستطيع مضاجعة عددٍ لا نهائي من النساء.

في حياتي السابقة، كنت إحدى النساء اللواتي مارس يوهي الجنس

معهن. مارس الجنس معي مدّةً أطول وبإصرارٍ أكبر من أي امرأة

أخرى. قال إنه أعجب بي من النظرة الأولى. كلّما التقينا، شدّد على

أنه وأنا لم نكن متساويين في الأصل.

لم يفهمني عندما قتلت نفسي. لم يتخيّل أبداً حياة الخضوع والإذلال:

لذا لم يفهم دَرَّةً واحدة من حياتي. اعتبر نفسه متشرّداً بروح جامحة،

وبطريقة ما كان كذلك.

"أتيت إلى هنا حتى توبّخني على آخر مرة التقينا فيها في المملكة

الدينا، أليس كذلك؟" قال يوهي بكآبة.

لم أملك غُدّاً لعباية، لكن كان ثمة طعم مرير في فمي.

"كلًا. ما حدث قد حدث. بالنسبة لشخص انقسم كثيرًا مثلي، قدرتي أن أقابل الجميع مجددًا في مرحلة ما. عالم الأحياء مدرستي أيضًا، وكنت بحاجة إلى تعلّم ما يجب أن أتعلّمه. عشتُ تلك الحياة من أجلي، وليس من أجل أي شخص آخر." "كنتُ أيضًا رفقة امرأة كانت والدي في حياة سابقة"، تلثم يوهي. "ورفقة أختي الصغرى السابقة، وابنتي السابقة...".

"لا بُدَّ أنهم كانوا من حولك لأنك شكّلت روابط معهم بالفعل. وينطبق الشيء نفسه عليّ. مَنْ منا لم تكن تربطه علاقة قرابة بكيان أو بآخر في وقت ما في مملكة الدنيا؟ إن واصلت التفكير بالطريقة التي تفكر بها، فلن يتبقى لك أحد لتجبه".

"معلّمي، أنا...".

"ماذا؟".

"اعتقدت أنني إنسان عظيم". قال يوهي، وقد بدا وكأنّ شيئًا قد انكسر بداخله.

"كان هذا درسك. هذا يكفي".

شعرت وكأنّ يوهي ينكسر أكثر قليلًا. لكنني كنت أنا الشخص المحطّم حقًا؛ إذ إنني عجزت حتى عن مواسة هذا الطفل الصغير. في حين أو شك على مغادرة باردو فوكسي، اخترق صدري شيء. ليس بالمعنى المجازي. عبرت ذبابة مايو من خلالي، وكانت تحلّق عاليًا الآن. كنت قد تركتها تمرّ دون وعي مني تقريبًا. بوصف المملكة الدنيا، كان الأمر أشبه باستشعار حركة خلف ظهرك والتحرُّك جانبًا لا إراديًا لتفاديها.

وكانت ذبابة مايو شائعةً بدرجة كافية. سواء في المملكة الدنيا، أم هنا.

كان الاختلاف أن كل شيء في باردو أي نبي يمتلك ذكاء. كانت السلام التي وقفت فوقها، والمنحوتات بجواري ذكية. لا شيء هنا يجروء على إيذائي أو يعبر من خلالي دون قصد. مهما كان هذا الشيء، فقد مرّ من خلالي عن عمد.

اختبار.

راق للأنبياء مفاجأة طلابهم بالاختبارات. يصدمونهم دون سابق إنذار أو يطعنونهم بإبرة لمعرفة ما إن كان بإمكانهم الانفصال عن أجسادهم مثل الماء أو تغيير شكلهم.

يتأكدون من وجود علامات الفساد من عدمه.

ولكن مَنْ يجروء على اختباري أنا- نبي؟

حسنًا، لا وجود للأسرار في مملكة الظلام. مهما بذلت قصارى جهدي حتى لا أشكّل روابط في المملكة الدنيا، كان كل من أقابله هناك ولو مدة وجيزة، شقيقي أو عائلتي أو معلّمي أو تلميذي. كل مَنْ تصادف أنني تناولت العشاء معه على الطاولة نفسها، أو ركبت معه السيارة نفسها، أو عشت معه في الحي نفسه، كان عشيرتي. يمكن للمراقب الدقيق أن يكتشف فسادى بمجرد أن يحتكّ بملابسي.

مَنْ يمكن أن يكون؟ فوكسي؟ توشيتا؟ أيّا كان، لم أكن أريده أن يكتشف بعدد. ليس الآن.

ضخّمت طرف إصبعي مثل علكة وبترته. حوّلت القطعة المنفصلة إلى يراعة، وأرسلتها وراء ذبابة مايو. انطلقت ذبابة مايو أسفل الجبل، متّبعةً انحناءات وانعطافات الدَّرَج. تسارعت وتباطأت، رقصت بهذه الطريقة أو تلك مُتظاهِرةً بالتخلُّص من مطاردتها، لكنها في الواقع كانت تجذبها إليها بدهاء.

طاردها يراعتي وصولاً إلى أكاديمية تقع في منتصف الطريق أسفل الجبل، حيث كان الأطفال يوزعون منشورات.

منشورات!

كان تصنيع أشياء بسيطة مثل الورق أو القماش جزءاً من المنهج الدراسي الأساسي، ولكن هل كان ثمة أي معرفة هنا في مملكة الظلام تتطلب تمريرها كتابياً؟

لم يترأى لي أيٌّ من الأطفال مألوفاً. إن لم يكونوا مرتبطين بي، فلا بُدَّ أنهم حديثو الولادة. ربما لم يعيشوا سوى حياة أو اثنتين، أو ربما لم يزوروا حتى عالم الأحياء على الإطلاق.

قال طفل لا أعرف اسمه: "يجب أن نتخلص من نظامنا التعليمي الذي عفا عليه الزمن. مرة تلو الأخرى، نحو ذكرياتنا ونهبط إلى عالم الأحياء لتتعلم ما نعرفه بالفعل، ونطور تقنيات طورناها بالفعل، وندرك حقائق أدركناها بالفعل".

صرخ الأطفال في نَفَسٍ واحد: "دعونا نتبع النبي أمان. يجب أن نتوقف عن تدمير عالم الأحياء تحت راية التعليم. يجب أن نتوقف عن نشر الكوارث والأمراض. دعونا نضع نهاية للحروب واللاجئين. الأنبياء لديهم القوة والحافز للقيام بذلك، ولكنهم يتجاهلون معاناة المملكة الدنيا".

أمان.

كان هذا اسمًا عرفته. قلبته في رأسي.

أمان، طفلي الأول، الكيان الأول الذي انفصل عني، والذي كان أنا يوماً. أول نبي يمسه الفساد. أكثر النبيين فساداً على الإطلاق.

إدًا، بعض أطفال فوكسي ينضمون إلى أمان الآن. حسناً، لم يكن ذلك مفاجئاً، نظراً لقيم فوكسي البالية.

"قال أمان إنه يجب علينا أن نجعل المملكة الدنيا عالمًا حكيمًا وعادلًا، أن نجعلها واقِعًا، وليس وهمًا فوضويًا من المشقة والفقْر. وأنه يجب علينا تغيير العالم الذي دمَّرَه المعلمون الزائفون".

لم يذكر الطفل المعلمين الزائفين بأسمائهم، لكنني عَلِمْتُ أنني من ضمنهم .

يا لها من فكرة عجيبة. إن كانت المملكة الدنيا مرآةً تعكس مملكة الظلام تمامًا، فما الهدف من وجود المملكة الدنيا؟

تمكّنتُ من تحديد موقع "سفينة فضاء" تانجاي سريعًا لأنها كانت ثابتة .

كانت تطير بسرعة الضوء في حَيِّزٍ ثلاثي الأبعاد، لكن بالنظر إليها من البعد الرابع -الزمن- لم تكن تتحرّك؛ وبالتالي كان من السهل العثور عليها.

كان منزل تانجاي نوعًا من البوارج الفضائية التي كانت لا تزال ضربًا من الخيال في المملكة الدنيا. لم تحو السفينة كافيتريا ومهجعًا فحسب، بل ضمّت أيضًا ورشة حدادة، ومزرعة صغيرة، وحتى معبدًا صغيرًا. قد يكون وجود كافيتريا ومهجع مُبرّرًا، لكنني كنت حائرًا بشأن الاستخدام المحتمل للمعبد هنا.

لو أعطى تانجاي عالم الأحياء التكنولوجيا المستخدمة في بناء هذه السفينة، فلن يضطرّ البشر بعد الآن إلى الحلم بغزو الفضاء. لكن هذا سيكون مصدرَ إزعاج لنا نحن الأنبياء؛ سيتعيّن علينا إعادة تصميم هيكل المملكة الدنيا كله.

لم يكن هذا مصدرَ قلقي المباشر في حين أهبط على سطح السفينة، وأطلُّ بداخلها. كان تانجاي في قلب البارجة الفضائية -غرفة المحرّك- يدقُّ بمطرقة؛ يصنع كرسيًا. يتحكّم في السفينة شخصيتان آليتان بذكاء نصف بشريّ اسمهما ميونغياك وجوانهوا. قاد ميونغياك

السفينة، وحافظ جوانهوا على سلامة المرافق. لم يكن لديّ أدنى فكرة عمّا إن كان ينبغي أن أصنّفهما تحت بند الأشياء التي "ولدها" تانجاي؛ وبالتالي أرسلهما إلى المملكة الدنيا من أجل التدريب على التناسخ والتجسّد أم لا.

ناديت من الخارج: "تانجاي".

قذف تانجاي الكرسي في دعر، وسقط على مؤخرته.

"إنه أنا، نابان".

زحف تانجاي تحت الطاولة وسحب الكرسي نحوه حتى يختبئ وراءه. يعتقد الطفل أن الصوت لا يمكن أن ينتقل بدون وسيط، وأن الجدار إمّا أن يحجب الصوت أو يغيّر اتجاهه. حاولت أن أشرح ذات مرة: لا، كل من الصوت والجدران هما جسدي؛ لذلك كل ما كان عليهما فعله هو أن يتنازل كلّ منهما قليلاً للآخر، لكن الطفل ببساطة لم يفهم.

"افتح الباب".

"ارحلّ من فضلك! أعني، ليس الأمر أنني لا أحبّك، يا مُعلّمي، إنه فقط أنني لا أشعر برغبة في رؤيتك اليوم. أصابني المرض. من فضلك، عُدّ غدًا... لا، بعد غدٍ... لا، سأتصل بك لاحقًا، مع هدية أو شيء من هذا القبيل...".

غدًا، أليس كذلك؟ ضحكت في قرارة نفسي. كيف يمكن للمرء أن يشرع في تعريف كلمة "يوم" في مملكة الظلام في المقام الأول؟

"هل تعتقد أنه يمكنك منعي من الدخول إن أبقيت هذا الباب مغلقًا؟".

كان صوتي واثقًا، لكنني كنتُ قُلُفًا من أن يكون الأمر كذلك. هذه السفينة من صنّع تانجاي نفسه. ستكون منغلقة الفكر تمامًا مثل

مُبدِعها. لم تكن تعرف من أين أتت في الأساس. كان عليّ أن أعلمها من الصفر.

لكن تانجاي كان طفلي، بعبارة أخرى: جزء انفصل عن جسدي، جزء كان أنا قبل وقت ليس ببعيد. كان كل شيء يصنعه الطفل، بالمعنى الأشمل، من عشيرتي، ملكي. من المحتمل أن الأنبياء الآخرين لم يتمكنوا من فعل ذلك، لكنني استطعت... هكذا ظننت على الأقل. حاولت.

وضعت يدي على الجدار الخارجي، واطَّلعتُ على هيكله الجزيئي، الذي بدا لي وكأنه تشابُكٌ مُعقَّد من الخيوط. ذكَّرتَه بأيامه الأولى قبل أن يُسخَّن إلى درجات حرارة قصوى، قبل أن يُخلط وتتغيَّر بنيته الجزيئية. ذكَّرتَه بأصوله. حاولت إقناعه: أنا وأنت لسنا مختلفين، نحن الكيان نفسه. أنا، مثلك، مجموعة من الجزيئات، حيث الحيِّز بين كل جزيء فارغ، والمسافة بين النواة والإلكترونات فارغة أيضًا. الفراغ والامتلاء هما الشيء نفسه فعليًّا.

ارتبك الجدار. ثم قاومني.

أنا لست شكلاً حيًّا.

أجيبته: لا شيء هامد.

أنا لست أنت. نحن غريبان.

لا يوجد غرباء.

أنا كائن صلب. لا يمكنك المرور.

لا شيء صلب.

فكَّر الجدار مَلِيًّا للحظة ثم طرح سؤالًا منطقيًّا.

إنْ لم تكن أنت وأنا مختلفين، ألا يمكنك اتِّباع أوامري؟

كانت حجةً سليمة. إن استسلمت الآن، فسأفعل الشيء نفسه من أجلك عندما تحتاج مني فعله.
عندئذ تمكّنت من المرور.

على الجانب الآخر من الجدار، وجدت نفسي أقف في منتصف غرفة المحرك. كان تانجاي يرتجف تحت الطاولة، وعيناه فقط تطلّان إلى الخارج، مثل شامة.

"من فضلك لا تقتحم المكان بهذه الطريقة. ذلك مخيف."
"إذا كان عليك ألا تُجبرني على ذلك."

تظاهرتُ بالتماسك، لكن كلماتي خرجت متلعثمة. أصبحت منهكًا فجأة. كنت قلقًا من احتمال أن أفشل في إقناع الجدار، وأعلق فيه بصورة هزلية، أو الأسوأ، أن أترك عاجزًا خارج الجدار مثل أحمق.

"لم أكن أتصرّف بمحض إرادتي في حياتي الأخيرة". قال تانجاي وهو يسحب الكرسي أمامه أكثر لإخفاء جسده على نحو أفضل. أردت أن أضحك على محاولة تانجاي عديمة المعنى، لكن عندما نظرت من كذب، أدركت أنها كانت هادفة حقًا. بدا الكرسي مشابهًا لتلك الكراسي التي ترّوج لها قنوات التسوّق المنزلي في المملكة الدنيا، مع عبارات دعائية على غرار "متطوّر! مريح! إنه ليس أثنًا بل علم". لم أستطع حتى أن أبدأ في فهم آلية عمل العجلات أو ظهر الكرسي. حتى أتجاوز ذلك الكرسي، سأحتاج على الأرجح إلى إقناع كل مسمار ومكوّن صغير فيه.

"تواصل المعلم فوكسي معي أولًا. كيف تتوقّع من ضعيف مثلي أن يقول 'لا' لفوكسي؟".

"أنا لست هنا لمناقشة ذلك".

"كل ما فعلته الحصول على بعض المال. كان بمثابة تمرين رياضي. طوّرت واختبرت نظريات حول كيفية مضاعفة المال. كان الأمر أكاديمياً بحثاً. لكنك تخبرني أن أتخلّى في حياتي التالية عمّا استمتعت به في حياتي الأخيرة. حسناً، لن أفعل. لقد قلتها بنفسك: 'المصيبة لا ينبغي أن تكون عقاباً، تماماً كما لا ينبغي أن تكون السعادة مكافأة'. المملكة الدنيا هي المكان الذي نتعلم فيه. ثمّة غاية واحدة فقط لكلّ من المصيبة والسعادة، ألا وهي التعلّم".

بينما تانجاي يثرثر، كنتُ في حيرة من أمري بشأن ما يجب أن أفعله بالكرسي حتى أدركت حماقتي. دفعته جانباً بيدي.

نظر تانجاي خلفه بشكل محمووم كما لو كان يأمل في العثور على باب هناك. لم يكن الطفل قادراً على الهروب عبر الحائط إلا إنْ أحدث ثقباً فيه بصولجان حديدي. جلست أمامه.

"أنا لسْتُ هنا لأوبّخك. إنْ كنت لا توافق على طرائقي، فأنت حرٌّ في تَرْكي. سوف يساعدك معلم آخر في نسج حياتك. وإنْ تركتني، فلا داعي للخوف مني. ولا يتعيّن عليك الاستماع إليّ. لذا يمكنك طردي من هنا الآن. إنْ كان هذا ما تريده، فقلّ ذلك".

بدا تانجاي بائساً.

"لا بأس أيها الطفل. لا يوجد درس مُعيّن أسمى من درس آخر. يعبرُ كل منها عن قيَم مختلفة فحسب. هل ستذهب إلى فوكسي؟".
"لا"، أجاب تانجاي بحزن وزحف خارجاً. "سوف تعطيني حياة رهيبة، أليس كذلك؟ ماذا ستفعل؟ ستضعني في منزل فقير أو بلد محاصر في حرب أهلية وتمنعني من الدراسة؟ ستقول إن ذلك بدوره تعلّم. أنت تعاقبني حقاً، لكن بالطبع لن تعترف بذلك أبداً".

أجبتّه: "جئت لأعرف منك كيف استطعت التناسُخ؟".

"متى اكتشفتَ ذلك؟" سألني تانجاي فور عودته من المستودع وهو يجرُّ عربة ملاءى بحزم الأسلاك والبطاريات والمحطات الكهربائية والشاشات وأشياء ما زلت لا أرغب في إلقاء نظرة عميقة بداخلها. في هذه الأثناء، كان الجدار يعاني من أزمة هوية بعد أن سمح لي بالمرور من خلاله؛ ظل يتمتم إلى نفسه، أنا صلب... أنا سائل.

"من الصعب ألا أعرف شؤون طفلي".

"هل يعلم المعلمون الآخرون؟ سيعزلونني لو عرفوا".

"سيفعلون ذلك حقاً".

همَّ تانجاي بقول شيء ما، لكن لأنه تعلَّم مبكرًا عدم جدوى المقاومة بصفته تلميذي، سقط في صمت محزون. استمر الجدار في الضجيج. أنا ناعم، أنا جامد.

"لم أتمكن من تحويل نفسي إلى جسد روحي لبعض الوقت الآن. التأمُّل والدعاء لا يجديان نفعًا. يتراءى لي ذلك مستحيلًا". ضغط تانجاي على راحة يده. غاصت راحته ثم ارتفعت مرة أخرى مثل عجينة معجونة جيِّدًا. "لا يمكنني حتى تغيّر شكلي بعد الآن. لذا فكّكت جسدي بدلًا من ذلك، وأرسلت الأجزاء إلى جنين في المملكة الدنيا، وأعدتُ تجميع نفسي في تسلسل من الحمض النووي. ثم أضفت الأجراس والصفارات. كأنني أصرخ: 'أخرجني من هذا المكان'، كما لا بُدَّ وأنتك تعلم؟".

رفع تانجاي يده، راحته لأعلى، وفصل أصابعه في المنتصف مُشكِّلاً زوجًا من الأيدي. أنزل تانجاي يده ببطء عندما لم أقدم أي تعليق.

"إنه أسهل بكثير من نقل جسم من المملكة الدنيا. يمتلك الجسم دماغًا وشبكة عصبية... هو أشبه بروبوت مبني بطريقة خرقاء، مع لصق أجزاء جديدة بين الحين والآخر بنموذج قديم. ولديه قدر مبالغ

فيه من البيانات الوهمية. لكن أجسامنا الحقيقية بسيطة. "أبسط الحلول أفضلها"، كما تعلم؟... أو ربما لا".

تجاهلت تانجاي ودرست الآلة أمام عيني. كانت عبارة عن أنبوب زجاجي، عريض بما يكفي لشخص واحد. كانت ثمة كوة في الأعلى، وبطانية وردية مفرودة في الأسفل. وضعت يدي على الزجاج. إقناع تلك الآلة كان صعبًا، لكنني استخلصت بعض المعلومات من خلال التحدث إليها.

"أي من المعلمين يشكّل الجيل الأول؟" سألت تانجاي، كما لو أن السؤال قد طرأ على باله فجأة.

"لا يوجد جيل أول. الجيل الثاني هو أقرب وقت يمكننا العودة إليه كمرجعية".

"لكن لا بُدَّ أننا كنا كيانًا واحدًا في البداية. مثل الفوضى أو الكون قبل الانفجار العظيم، على سبيل المثال، أو أميبا أو خلية سرطانية، أو وحشا متلوّيًا، متغيّر الشكل. في الماضي عندما كانت ثمة كثافة واحدة وذات واحدة. مَنْ كان ذلك الكائن الأول؟".

"نحن جميعًا الجيل الثاني. انقسمنا في الوقت نفسه، لم يأتِ أحد أولًا".

"تقصد أن لا أحد يتذكر الزمان الذي كنّا فيه واحدًا؟".

"لا يوجد شيء لنتذكره. لم يحدث شيء على الإطلاق حينئذٍ".

جمعت بعض جسيماتي. كان معظم جسدي يطفو حولي كالغبار في الوقت الراهن. لو ضغطت كل شيء في كيان واحد، فسأكون بحجم كويكب، وما استطعت دخول سفينة الفضاء هذه.

اهتزّت الجدران وتدحرجت الأشياء المتناثرة على الأرض، نحوي. تمسّك تانجاي بكرسيه. قال إنه كلما صنعت شيئاً ما، شعر أنه سوف "يُمتصُّ" داخلي. على ذلك رددت: "أوه، هذا ما يحدث فعلاً".

تدقّق سائل لزج من أناملي إلى داخل ناقلة تانجاي. انتفخ السائل مثل رغيف خبز، وتصلّب في شكل إنسان بالغ. كان لا يزال مرتبطاً بي، ولم يمتح شخصية بعد.

بدا تانجاي وكأنه يرغب في البلع. لو كان لديه لُعبٌ فقط. "هكذا صنعتني أيضاً، أليس كذلك؟".
"أنا لم أصنعك. ببساطة قسّمت نفسي".

"لا يختلف ذلك عن الصنع. يولد الأطفال بهذه الطريقة في المملكة الدنيا أيضاً. عندما تتّحد جينات الأم والأب، وتستقر في الرحم الذي تحوّل إليه الأم العناصر الغذائية التي يمتصّها جهازها الهضمي. تقسّم الأم الخلايا وتُنمّيها إلى طفل. إنها تتبع العملية نفسها التي نتبعها نحن، إلا أنها تفعل ذلك دون وعي منها... الأمر أشبه بتحوّل جزيئي، إذا جاز التعبير".

"نحن لا ن صنع أشياء لم تكن موجودة من قبل. الكتلة الكلية تبقى ثابتة".

"الأمر نفسه مع إنجاب الأطفال. لكنها لا تبدو كذلك فحسب".

حرّك جوانهوا ذراعه الميكانيكي، ودفع طرف سلك كهربائي في الجسم الدافئ المعجون حديثاً. وجد السلك طريقه إلى النقطة المرغوبة دون الحاجة إلى القلق بشأن القيود المفروضة على أجسام المملكة الدنيا، مثل تمزّق وعاء دموي بطريق الخطأ والتسبب في نزيف، أو حدوث ثقب في الأمعاء.

كانت حواسي لا تزال مرتبطة بالجسم؛ ممّا سمح لي باستشعار ومعرفة مكان اختراق السلك وماهيّة التفاعلات الكيميائية التي يطلقها.

أشرت: "هذه الطريقة التي تصنع بها جسمًا روحيًا".

"لست من يفعل ذلك. إنها الكيمياء".

"إذاً يمكنك أن تؤمن بهذا، ولكن ليس بقدرتك على تغيير شكلك".

"ليست مسألة إيمان، إنه علم! إنه ليس نوعية السحر الذي أنت...".

لو كان بوسعي إقناع تانجاي بالتعلّم، لكنّ فعلت ذلك سلفًا.

انتهيت من تحليل آليّة الناقل ثم تخليت عن اتصالي به. ما كان جزءًا مني قبل لحظات انفصل الآن، حتى لو أنه لا يزال من الممكن تسميته "أنا"، واحتاج إلى مزيد من الوقت لاكتساب فردانيته. شاهدت الآلة تُفكّ الجسم الجديد، وتحوّله إلى موجات راديو، وتنقله إلى المملكة الدنيا.

"لا يوجد إقناع، كما أرى".

"سمعتني، أليس كذلك؟ إنه عمل الكيمياء".

أجبر الناقل الجزيئات على التّفكُّك قبل امتصاصها. تخطّى خطوات الإقناع والتفاوض، ولم يكن هناك ذِكْرٌ لشيء من قبيل "أنت وأنا متماثلان، وكلُّ منّا بحاجة إلى الآخر...". امتثلت الجسيمات لتعليمات الآلة مثل الأشياء الهامدة، وتفكّكت.

يا له من شيء مثير للاهتمام. هل علم هذا الطفل الصغير أنه فاقني تمامًا في بعض النواحي؟ ليس أنا فقط، ولكن كل الجيل الثاني؟

سألني تانجاي: "ما الذي تحاول معرفته؟".

تظاهرتُ أنني لم أسمع، ووضعت يدي على الآلة حتى أ طرح عليها استفسارات أكثر تفصيلاً. إقناعها لا يزال صعباً، لكنه أعطاني إجابات، وإن كان ببطء. استمعت بعناية مثل طالب مُجدِّ.

سألني تانجاي: "لماذا من المهم ألا يشتمل الأمر على إقناع؟" جاهلاً كما كان ينبغي أن يكون الطفل، لا بُدَّ أن شعوراً مشوِّوماً قد ساور تانجاي أخيراً.

مكتبة

t.me/soramnqraa

"لأنني أريد أن أظل 'أنا'".

"لماذا؟".

"لو لم أكن أنا، فربما أعيد التفكير فيما أنا مُقدِّم على فعله".

"كيف تعرّف 'أنا'؟".

سؤال عميق إلى حدِّ ما؛ يجب أن أعترف.

"كل كيان على استعداد للقيام بما أنا على وشك القيام به".

كان تانجاي مرتبِّكاً. لم تكن إجابتي تتَّفَق مع شخصيتي. ولا مع شخصية أي نبي. النبي الذي يعطي أي إجابة غير "كل شيء أنا" لا بُدَّ وأن يدق ناقوس الخطر بداخل المستمع، لكن لم يلاحظ الطفل الغافل ذلك.

سألني: "إذن، هل انتهيت من التعلُّم؟".

"ليس بما يرضيني". ثم أضفت بنبرة مشوبة بالتهديد لاستفزاز الطفل، "لكن سأتمكّن من ذلك لو اندمجت معك".

تعثّر تانجاي إلى الخلف، وأسقط الكرسي وكل شيء حوله. غمغم وهو يزحف فوق الأرض، "حان الوقت، أوه، حان الوقت...".

ضحكت. "أنا أمزح".

"أنا... أنا لست خائفا. لن أموت. سأرجع فقط إلى حالتي الأصلية".
قال تانجاي دون فهم حقيقي لما يقول. "أليس كذلك؟ كنا في الأصل
كيانا واحداً. كنتُ أنتُ في السابق، يا معلمي. قَسَّمت نفسك ببساطة.
مثل الأمييا... أو دودة البلاناريا؟".

أجبتة: "هذا صحيح". باستثناء، أنه بالمعنى الدقيق للكلمة، لم يكن
كذلك. لسنا منقسمين. وما كنا في السابق واحداً، بل لا نزال كذلك.
قَسَّمتنا شخصياتنا، وانفصلنا كل منا عن الآخر في حِيَّز ثلاثي الأبعاد،
لكننا بقينا متصلين في البعد الرابع. مع أن هذا لم يكن شيئاً توقعت
أن يستوعبه تانجاي.

تابع تانجاي: "لا يوجد شيء اسمه حِيَّز فارغ، فقط اختلافات في
الكثافة. إنَّ زادت الكثافة عن حدِّ معين، فستشد الفضاء المحيط بها،
وهذه هي الطريقة التي تولِّد بها الجاذبية. الأمر أشبه باعتصار
لحمك. وهو في الواقع كذلك. كل شيء متصل. الكون كله. في النهاية
نحن واحد. نحن أكبر من غايا⁽¹⁾. نحن الكون. أم يجب أن أقول نحن
الفوضى...".

علَّقت: "لقد ألقيتَ حديثاً حول هذا الموضوع في المملكة الدنيا".
"تحدَّثتُ عن ذلك، لكنني لم أفهمه أبداً".

تظاهر تانجاي بالتهنُّد. كان شائعاً بين الأطفال الأصغر عمراً أن
يحتفظوا بعباداتهم من المملكة الدنيا.

"لماذا؟ كانت نظريتك عن الأوتار الفائقة جهداً يستحق الثناء. لا
سيما بالنسبة لشخص غير قادر على تخيل الأبعاد الأربعة".

(1) وفقاً للأساطير اليونانية القديمة للخلق، فإن غايا هي ابنة كايوس، الإله الأول والأقدم
ممثلاً الفراغ البدائي الذي نشأ كل شيء منه. وهي تجسيد الأم الأرض، والتي ارتفعت منها
السماء، وخلقَّت منها الجبال والبحر (المترجم).

"آه، من فضلك لا". لَوْح تانجاي بيديه احتجاجًا وتورّد وجهه غضبًا.

لم تكن النظرية بعيدة كل البعد عن الحقيقة. كل واحد منّا شكّل وترًا واحدًا، وتانجاي وأنا النقطتان اللتان يتشابك فيها الوتر حتى يخلق أجسامًا متذبذبة. لكن غابت الاستمرارية عن شخصياتنا.

"أنا خائف الآن، لكنني سأكون سعيدًا بمجرد أن نندمج. سأعود إلى ما كنت عليه. عندما تموت في المملكة الدنيا، فأنت تكره ذلك، ولكن بمجرد موتك، تفكّر 'واو، السؤال الذي حيرني طوال حياتي، قد حللته سلفًا قبل ثلاثة آلاف عام، وتغدو سعيدًا إذ تدرك أنك لم تمّت على الإطلاق. أعتقد أن هذا سيكون مشابهًا، أليس كذلك؟".

قاومتُ إغراء القول، "نحن كيان واحد حتى إن لم نندمج". عوضًا عن ذلك قلتُ، "أفترض ذلك. لكنني أخبرتك بالفعل أنني لست هنا من أجل ذلك؛ أنوي تأجيل الاندماج معك لأطول مدة ممكنة".

سأل تانجاي بحذر: "لماذا هذا؟"، سمعت أيضًا الاتهام غير المعلن المستتر وراء هذه الكلمات: "أكلت كل الطلاب الكبار، فلماذا تعفيني؟".

"حسنًا، يتراءى لي أنك تقف عند حافة الفساد. عادة، أي شخص بحالتك الذهنية كان ليفسد عدة مرات بالفعل. لا أستطيع أن أخمّن أين نقطة اتزانك، ولن أستطيع معرفة ذلك أبدًا إذا أنا اندمجت معك. أريد أن أراقبك كما أنت مدّة أطول قليلًا. واكتشف ما الذي أحاول أن أتعلّمه منك".

صمت تانجاي. وكذلك صمتت السفينة بأكملها. هداً ميونجياك وجوانهوا أيضًا. توقّف الجدار المغمغم عن التأمّل، ونظر إلينا. استجابت المساحة بأكملها لأفكار تانجاي. لن يكون تانجاي وحيدًا أبدًا إذا كان أكثر استنارة. إن علم أن كل من أبداعهم كانوا يحرسونه دومًا.

"هذا فساد، أليس كذلك؟" سأل تانجاي.

رأيت من خطر في ذهن تانجاي في تلك اللحظة. لا يسعني إلا أن أرى. لأن السفينة بأكملها كانت تفكر في الشخص نفسه. كل جزيء من جزيئات المحيطة بالسفينة كان يفكر في الشخص نفسه. أضاف تانجاي: "أن أصبح غير قادر على الإيمان بأن العالم كله أنا". أمان.

انقسامي الأول. أول كيان من الجيل الثالث. أول نبي من الجيل الثالث. أول نبي فاسد. النبي الذي نشر الفساد في الكون. أمان.

تمتت بالاسم بخفوتٍ في رأسي. لم يسمع تانجاي، لكن جوامد السفينة تعجُّ بالمحادثات.

استطرد تانجاي: "الاعتقاد أن الجسد حقيقي في حين أنه مجرد وهم. الإيمان بأن ذاتك الحالية هي كل ما لديك في حين أنها جزء واحد فقط من العالم". نظر تانجاي إلى جسده وقال: "مثل المعلم أمان".

- فمحو ذكرياتنا وندخل عالماً جديداً.

رنَّ صوت أمان، المليء بالنشاط في أذني.

"لأننا يجب أن نتعلم الحكمة لا المعرفة. لا نستطيع التعلُّم من المعرفة. يجب أن نتعلم من الحياة نفسها. دعونا نبني مدرسة في مركز عالمنا، ونمحو معرفتنا، ونقفز إلى حلبة الحياة الديناميكية".

أجبت أمان: "يا لها من فكرة غريبة، اقترح أن نُمحو ذكرياتنا. حتى الآن لم نفكر إلا في تقسيم شخصياتنا".

كان أمان طفلاً لا يمكن التنبؤ به. تفتّق ذهنه عن فيضٍ لا نهاية له من الأفكار الجديدة. كان متحمّساً ونشطاً. لم أستطع أن أفهم كيف "وُلِدَت" مثل هذه الشخصية.

قبل أن ننقسم جميعاً، كنّا كتلة عملاقة، مجردة، راكدة، بلا غاية، وغير متغيّرة. لم تخطر ببالنا أي فكرة جديدة أبداً خلال تلك الحالة، لأنه لا يمكن أن يحدث أي شيء جديد على الإطلاق. كانت فكرة الانقسام بالنسبة إلينا معجزة بحد ذاتها.

حقّق الانقسام الأول نجاحاً معتدلاً. لكن الجميع كانوا حذرين بشأن جولة أخرى من الانقسام. هل يمكننا التعامل مع هذا العدد الكبير من الكيانات؟ هل عشرة ليست متنوّعة بما فيه الكفاية؟ هل يمكننا لمُ شمل شخصياتنا الفوضوية من جديد عندما يوجد عشرون أو ثلاثون كياناً منبثّقاً عنّا؟ ماذا لو لم نتمكن من العودة إلى شكلنا الأساسي؟

أجريت الانقسام الثاني قبل الآخرين كاختبار. في الماضي عندما خضعنا لانقسامنا الأول، كان من المفترض أن أكون الجسد المركزي الذي يندمج فيه الجميع مرة أخرى إن حدث خطأ. هذه المرة جربنا

العكس. إن ساءت الأمور، فسيعمل الجميع معًا لإعادة دمجي مع أمان مُجددًا. كنت عديم الخبرة بالانقسامات في ذلك الوقت، ومنحتُ نصف جسدي تقريبًا؛ ممّا أدّى إلى فقداني الذاكرة وتغيير في شخصيتي. بعد أن فقدت الاستمرارية مع جسدي الأم، لم أستطع الاحتفاظ باسم إيساتا، وأعدت تسمية نفسي باسم نابان.

كان أمان طفلي الأول، وبالتالي كان طفلنا الأول. الكيان الأول الذي قطع الاستمرارية عن الكل. أول جيل لم يشعر بأي ارتباط بالأزمة البدائية. منذ لحظة ولادته، كان أمان مشغولًا بابتكار الألعاب الشقية والمسلية. أمان كان دليلًا على الانقسام الناجح، منارة مشرقة تشي بمستقبل زاهٍ.

"لكن إن محونا ذكرياتنا، فكيف سنعود من هذه المدرسة؟" سأل فوكسي متسائلًا عن أي أفكار فضولية تلك التي يحملها أمان الآن. في ذلك الوقت، كنّا لا نزال صغارًا، غير متميزين نسبيًا، ونسجم جيدًا فيما بيننا. وأضاف فوكسي: "يجب أن نتخرج على الأقل. لا يمكننا العيش طُلُوبًا إلى الأبد، هل يمكننا ذلك؟ مع عدم وجود ذكريات، سننسى كيف نجعل أجسادنا روحية. كيف سنعود في هذه الحالة؟".

كانت اللغة لعبة مُسَلِّية أيضًا. من خلال قطع الروابط بين عقولنا، اكتسبنا متعة ابتكار أدوات جديدة للتواصل. انشغلنا بصنع آلاف العلامات والرموز كل يوم. في السابق عندما كان لدينا تواصلٌ مثالي، لم نشعر بأي رغبة في التفاعل الاجتماعي. مَنْ كان يعرف أن القيود والعراقيل يمكن أن تكون بهيجة ومسلية؟

كانت فكرة أمان أن نبنّي عالم الأحياء. اقترح أمان إنشاء مكان خاص يمكننا الذهاب واللعب فيه مدة من الوقت بموجب مجموعة معينة من القواعد. مساحة تحكمها لعبتنا فقط.

"يمكن لأي أحد أن يدخل مملكة الدنيا، ويُعيدنا من هناك".

هزَّ أمان رأسه على اقتراحي. "حينذاك سيكتشف الطلاب وجود مملكة الظلام. يجب أن يكون التفاعل بين المدرسة ومملكة الظلام مقصوداً على الكائنات الروحية".

فكّر أمان في المشكلة، واستحضر هيكلًا بسيطاً عن طريق فصل جزء صغير من جسمه. كان جهاز ذاكرة يستخدم أربعة أنواع من القواعد النووية كلغته... أعطى التجاذب بين القواعد النووية شكلاً حلزونيًا مزدوجًا. سيكتشف تانجاي ذلك لاحقًا، ويطلق عليه اسم "DNA".

"دعونا نسجّل تواريخ انتهاء صلاحيتنا هنا ونحملها داخل أجسادنا عندما نذهب إلى مملكة الدنيا"، قال أمان، وجهه مشرق بالفخر وتهنئة الذات على التفكير في مثل هذه الفكرة الرائعة. كان أمان حقًا مُحِبًّا. كان الحب عاطفة جديدة، نعمة جديدة تعلمناها من خلال الانقسام.

"نضع حدًا زمنيًا، بحيث عندما يمرُّ قدرٌ مُعيَّن من الوقت، نترك أجسادنا بشكل طبيعي ونجعلها روحية من جديد، ونعود إلى مملكة الظلام. سنجدول رجوعنا في نهاية مخطّط لها، كما ترون. الاسم الذي قد يكون جيدًا لذلك...".

لم نكن نعرف ماذا نسّمِي هذه النهاية.

لأن لا أحد منّا عرف ما هية "الموت" بعد.

بدأت المدرسة بسلسلة من الإخفاقات. عدنا في نهاية كل فصل دراسي مُحَرَجِينَ مثل طُلّابٍ ذوي قدرات تحصيلية ضعيفة، انتهى بهم المطاف بفشل متوقَّع. كان محو ذكائنا مسألة مهينة، ناهيك بكونها مقلقة. كانت معظم نسخ الحياة التي عشناها في المملكة الدنيا مضیعة ميؤوس منها للوقت.

في كل مرة رجعنا فيها، ناقشنا كيف ينبغي أن نعيد تصميم عالم الأحياء. لم تكن المملكة الدنيا في أيامها الأولى مختلفة تمامًا عن مملكة الظلام. كانت بمثابة حيرة مطلقة، غير مستقرة ومرنة. حاولنا تشكيل قطعة صغيرة من الأرض وتزويدها بمخلوق مثل ثعبان أو سلحفاة، أو غرس شجرة عملاقة في وسط الأرض، لكن أيًا من هذه المحاولات لم تُرضينا. بهدوء، قضينا وقتنا هناك ورجعنا. كانت مشكلتنا الكبرى أننا كنا "موت" بسهولة بالغة. سابقًا، لم يفعل أحدنا أي شيء لتجنب الموت. كنا نجوب في أجسادنا كما نشاء، مثل الأطفال الذين منحوا لعبة لأول مرة. ألقينا بأنفسنا من فوق المنحدرات، وهشّمنا أجسادنا من أجل المتعة، ثم تساءلنا لماذا لم تُعد -أجسادنا- إلى حالتها الأصلية. قال أمان: "لا يمكننا التخلص من قاعدة ضرورة العودة إلى الحالة الروحية عندما تتضرر أجسادنا بشكل لا يمكن إصلاحها. جرّ جسم متحلّل في الأنحاء مضيعة للوقت. من الأفضل الخروج من المملكة الدنيا، والرجوع مرة أخرى بأجسام سليمة".

"نعلم. لكننا لم نضطر من قبل إلى الحيلولة بين أجسادنا وتعرّضها للأذى"، أجبت أمان بفرع، كما لو كنّا تلاميذ يُنذرهم معلمهم. فكر أمان طويلًا ووجد.

"سأحاول تجنبنا الضرر المادي. من خلال جعله مؤلمًا بحيث نفرغ لمجرد الاصطدام بشيء ما..."

كنت أول مَنْ زرع الجين المعدّل في جسدي قبل دخول عالم الأحياء. نتيجة لذلك؛ أصبح جسدي أكثر تعقيدًا. تُبِتت مستقبلات الألم بداخله، وصُنِعَ جهاز عصبي حسي لمعالجة المؤثرات الخارجية. كان الموت مختلفًا تمامًا هذه المرة.

تحاشاني أمان مدّةً طويلة عندما رجعت من تلك الحياة. كان مقتنعًا بأنه كان فشلًا ذريعًا، وأنني سأدمره بالاندماج معه.

"يا معلم. أنا... لم يكن لدي أي فكرة أن ذلك سيحدث. لم أكن أعلم أنك ستتألم كثيراً هكذا. ليس حتى في أكثر أحلامي جموحاً".
إن كانت لدينا حينذاك عادة اتُّخذ شكل ثابت في مملكة الظلام، لكان وجه أمان قد تحوّل بلا شك إلى اللون الأحمر وانفجر باكيًا. لكن في ذلك الوقت كنّا مجرد كرات من الضوء تغيّر شكلها باستمرار.
"لا تشغل بالك. كانت تجربة مذهلة".

"يجب أن أبحث عن طريقة أخرى، رغم ذلك. مثل هذا الألم. إنه شيء فظيع".

"لا، هذا هام. كيف أصيغ هذا. كان بالفعل يتجاوز أكثر أحلامي جموحاً...". تباطأ إيقاع حديثي بينما عادت إليّ ذكريات حيّة من حياتي، مندفعة. كنت أتجوّل في الأرجاء، غير راغب في الموت. قاومته وقد تملّكتني إرادة الحياة. سعيت وراء الحياة كأنه مقدر لي أن أقضم لحمها؛ أن أعيش حتى آخر لحظة فيها.

قلت: "أعتقد أن هذا المكان الذي يكمن فيه التعلّم الحقيقي. لم أسع وراء شيء بهذه الشراسة من قبل كما فعلت حينها. كان كل شيء ديناميكياً للغاية. حتى في عالم بدائي جدًّا. لكن حاول إضفاء بعض المتعة أيضًا، في المرة القادمة".

كان أمان نادماً وطلب مني مرة أخرى العفو عنه.

طمأنته، "لو حقّقنا توازنًا جيّدًا بين الاثنين: الألم والمتعة؛ لا بُدَّ وأننا سنغدو قادرين على توجيه الحياة في الاتجاه الصحيح بصفة عامة".

أضفنا عنصرًا في كل مرة دخلنا فيها إلى عالم الأحياء. أضفنا شيفرة الجوع حتى نتذكر أن نزود أنفسنا بالطاقة، وحاسة التذوّق حتى نستشعر فائدة الطعام لأجسامنا. وهبنا أنفسنا القدرة على التمييز بين البارد والساخن. غرسنا الخوف فينا حتى نكتشف الخطر قبل

وقوعه، ولا سيما الخوف من الظلام، والوحوش الخطيرة، والحشرات السامة. وضعنا إرشادات فضفاضة لمساعدتنا على البقاء على قيد الحياة دون أي معرفة.

قرّرنا أن نبدأ في مزوجة الجينات عندما أبدنا عن طريق الخطأ النظام البيئي بأكمله. تعلّمنا أن المزوجة العشوائية بين الجينات كانت أكثر نفعاً من الجمع بين الجينات الجيدة فقط. أضفنا أيضاً غريزة الاحتياج إلى العاطفة، وهي حاجة تضاهي الأم قوة. وأدخلنا الحاجة إلى الحفاظ على السلالة بالإضافة إلى الحب الرومانسي، والعاطفة تجاه الأسرة. واصلنا التدخل؛ لأنه كلما زاد ذكاء الذوات التي نخلقها ونرسلها إلى المملكة الدنيا، أصبحت غريزتهم من أجل العودة إلى وطنهم الحقيقي، أقوى. عند أدنى إهمال، يتنامى الاعتقاد السائد بتقدير الحياة الآخرة على الحياة نفسها.

تزاوجت مع أمان في إحدى نسخ حياتي في المملكة الدنيا. حالما عدتُ إلى مملكة الظلام، صرخ أمان، الذي كان ينتظرنى، بفرح وعانقني. كان هذا حين كنّا كائنات ذات ريش، نصف طائر ونصف زواحف. "أنت حي!"

بدا أمان تمامًا كما كان في حياته الأخيرة. عضّ رقبتى ولعق وجهي وعانقني، وذيله يتمايل.

"علمت أننا سنلتقي مرة أخرى! كنت أعرف أنك ستعود! الحياة الآخرة موجودة بالفعل. الحياة أبدية، أقول لك، أبدية!"

"أمان، انتظر، اهدأ". كنتُ أفكّر في أنني لن أشعر بالملل أبدًا طالما كان موجودًا، ضحكت وسحبت أمان بعيدًا عني. "عمّ تتحدث؟ بالطبع الحياة الآخرة موجودة، لماذا تبدو متفاجئًا؟"

حدّق أمان في وجهي كما لو كان يتوق إلى الاندماج، يبدو أنه يريد امتصاص كل جزئياتي في التّوّ واللحظة، لو كان بوسعه ذلك. استغرق الأمر بعض الوقت قبل أن تختفي الابتسامة من وجهي. "أمان، هل ما زلت بأي فرصة...".

عندما حاولت فحص جسد أمان، هزّ رأسه. "لا أملك حيناً. تعفّنت في المملكة الدنيا بالطبع".

"إذاً لماذا...؟".

حاجته القوية للبقاء والتّزاوج، رغبته في المودّة والتواصل، ماذا يعني كل هذا؟ لماذا امتدّت رغبات المملكة الدنيا إلى مملكة الظلام؟ قال أمان بحرارة: "يا معلم. لم أتخيّل أبداً أن بإمكانني أن أشعر بمثل هذا النشوة، مثل هذه الشرارات المضطربة في القلب. أنني أستطيع أن أتوق إلى أحدهم، وأسعد بوجوده كثيراً لدرجة أن أنسى نفسي، لدرجة أن أرى الآخر على أنه أنا".

في حين أن هذا ربما كان خطاباً مثيراً للإعجاب في المملكة الدنيا، إلا أنه هنا في مملكة الظلام كان كلاماً بعيداً كل البعد عن ذلك. كان له التأثير نفسه عليّ كما لو كان أمان يقول: "أوه، يا معلم، لقد أدركتُ أن واحداً زائد واحد يساوي اثنين، يا له من أمر عجيب!".

"أمان، أنا وأنت الذات نفسها. أنا لسْتُ الآخر".

"نعم، أعلم ذلك. لكنني لا أشعر أن هذا صحيح. هنا، هي حقيقة كليشيه مثل قول 'جسدي ملكي'. ولكن هناك في مملكة الدنيا، شعرت به في عظامي مع كل نَفَسٍ استنشقه. شعرت به بصورة أكثر حدّة لأنني بالكاد صدّقته. ألم تختبر ذلك، يا معلمي؟".

فكّرتُ في حياتي السابقة. كنتُ وحشًا مكسوفًا بالريش، أتجول في الغابة ولا يشغل بالي شيء سوى الطعام والمأوى. بكيت لأيام عندما مات شريك حياتي قبلي. تجوّلتُ في الغابة، غاضبًا ومتألمًا بسبب الفقد. عزفت عن التفكير في الأكل أو النوم. كانت الحياة التي أمضيتها مع شريكي مصدرَ فرحي، والحياة بدونه فقّدت كلَّ معانيها. قابلت موتي عن طيب خاطر. لم أكن لأصبح مفجوعًا هكذا، لو كنت أنا الشخص الذي هلك.

"فعلتُ. لكنني كنت تحت تأثير الهرمونات جزئيًا، وإلى جانب ذلك، غرائز التزاوج والحزن هي، إلى حدٍّ ما، مجرد فبركات من أجل الشعور بالراحة، أليس كذلك؟ هي ليست حقيقية، بعد كل شيء." لكن عندئذ حدّق أمان في وجهي بعيون وحشٍ، عيون لمعت كما لو كان في المملكة الدنيا. روح بدائية مفتونة بفرحة الحياة، تتوهّج من داخله.

قال أمان بصوت حيواني، خفيض: "أيها المعلم، إن لم نؤمن بأن الحياة حقيقية، فما الذي يمكن أن نأمل أن نتعلمه منها؟". تغيّر أمان مع كل زيارة إلى المملكة الدنيا. استوعب كلَّ ما حدث هناك بوصفه تجربة حقيقية. طعم شخصياته غير المكتملة في المملكة الدنيا، بشخصيته الحقيقية. أصبح غير مستقرّ على نحو متزايد؛ ممّا جعل بقيتنا غير مرتاحين.

سأت حالة أمان بشكل كبير بعد أن خلقنا البشر. تعامل أمان معهم بعمق. كان البشر سلالة تجريبية قلّلنا من مهارات بقائهم من أجل استثمار كل شيء تقريبًا في ذكائهم. نظرًا لمعدل تكاثرهم وقدراتهم القتالية المريعة؛ توقّعنا أن تتفوّق السلالات الأخرى عليهم في الصراع من أجل الوجود، لكنهم تكاثروا، بطريقة ما، بوتيرة لا يمكن إيقافها. نصّت قوانين الحفظ والحماية على أن الاكتظاظ السكاني

لسلالة واحدة يؤدي بالضرورة إلى انهيار التَّنوع البيولوجي. بدافع الفرع؛ خططنا لكبح جماح البشر عن طريق إرسال الفيضانات أو الجفاف، لكن أمان عارض الفكرة بشدة. جادل بأنه لا ينبغي علينا الإخلال بالنظام البيئي للمملكة الدنيا. الآن، يمكننا أن نفهم؛ معاشة الدمار كنتيجة للزيادة السكانية قد تكون شكلاً من أشكال التعلُّم. لكن حينذاك...

"كم مرة يجب عليك قلبُ المكان رأسًا على عقب لإرضاء نفسك؟" صرخ أمان، وهو يقذفني بحجر. امتصت الحجر الأول الذي ألقاه داخل جسدي، ومرَّ الثاني من خلالي. كانت تصرفات أمان الغريبة تتزايد بشكل فظيع. تساءلت ما إن كان ينبغي أن أترك الحجارة تصطدم بي. كنت في حيرة. كان الفيضان الأخير حدثًا صغيرًا مقارنة بالانقراض الجماعي في العصر ما قبل الكامبري أو العصر البرمي. لم تغمر المياه سوى مدينة ساحلية وعددًا قليلًا من الدول الجزرية.

بدا أمان تمامًا كما كان في اليوم الأخير الذي مات فيه في المملكة الدنيا، وجهه أبيض طباشيري، وتفوح منه رائحة أعشاب بحريَّة، ومياه مخضرة تتساقط من ملابسه المبلَّلة. كان في بعض الأحيان يتقيأ المياه. كنت أعلم أن أمان حُرٌّ في اتخاذ أي شكل يريده في مملكة الظلام، لكنني شعرت بالقلق من الدقة المذهلة التي نسخ بها شكله السابق.

صمت الأطفال الذين كانوا يلعبون في الحديقة، واختلسوا نظرات مضطربة إلى المعبد حيث اندلعت الاضطرابات. رجعوا من المملكة الدنيا بأعداد كبيرة بسبب هذه الكارثة الأخيرة، وكانوا منشغلين في معرفة أخبار بعضهم بعضًا، والاستعداد بمرح للاحتفال. حدث هذا عندما كان البارود خاصَّتي لا يزال يضمُّ معبدًا جميلًا بأعمدة بيضاء وحديقة صغيرة متألَّثة بزهور برية. كان تزيين مجال المرء بنمط يرجع إلى المملكة الدنيا أحدث بدعة في ذلك الوقت.

"يؤسفني أن أقول هذا يا أمان، لكن لا يمكنني فهمك..."

ماذا كان خطب أمان؟ لماذا كان مختلفًا عن الأطفال الآخرين؟ هل حدث خطأ لأنها كانت أول مرة انقسم فيها؟

سألت: "كان من المقرر أن نعود جميعًا في وقت ما، أليس كذلك؟".

"لم يكن هذا مُقرَّرًا، رغم ذلك. كلُّ منَّا لديه أشياء ليتعلَّمها في هذه الحياة. كنَّا نستعدُّ لعيش حياتنا على أكمل وجه أيضًا. لكنك عندئذ قتلت الكثيرين، فجأة، دون منحنا أي وقت للاستعداد..."

بفضل ذلك تمكَّنتُ من تنظيف بعض القمامة المتراكمة، وكانت الأسماك مزدهرة، وتمَّ إثراء حياة الكائنات البحرية من حيث الفرص ورقعة الأرض المتاحة لها، أردت أن أقول. لكنني سيطرت على نفسي. في الآونة الأخيرة، بدا أمان غير قادر على رؤية حياته وحياة الآخرين على أنها الشيء نفسه.

"لم تكن صنيعتي، أو صنيعة أي شخص آخر. ببساطة، كان هناك الكثير من البشر على الأرض، ولم يكن هناك ما يكفي من النباتات. كانت مستويات ثاني أكسيد الكربون في الهواء تتصاعد، والأيام تزداد حرارة، والبحر يزداد دفنًا أكثر من المعتاد. تبخر الكثير من ماء البحر، وأثار عواصف أكبر، وأكثر رطوبة. ما كان أيُّ من هذا غير مُتوقَّع. أخبرتك أننا سنحتاج إلى تقليص تعداد البشر قليلًا".

دفن أمان وجهه في يديه.

"كان يجب عليك إيقافه. فعل كل ما في وسعك لإيقافه. كيف يمكنك ترك الكثيرين من الناس يموتون..."

"أمان، مَنْ بحق الأرض تقول إنه مات؟".

الأطفال الذين كانوا يزِنُّون عربة في الحديقة بالزهور، وقفوا خلسة وانزلقوا بعيدًا. كان بعضهم والد أمان أو أمُّه أو صديقه أو عشيقته في المملكة الدنيا.

"كان إنقاذهم ممكنًا. كنت في مملكة الظلام؛ لذلك كان من الممكن أن تنقذهم. لماذا اكتفيت بالجلوس والمشاهدة؟ لماذا لم تأتِ للمساعدة؟ لماذا لم تجرب شيئًا على الأقل؟".

كنتُ مرتبِّغًا. هل أسأت فهم سبب معارضة أمان التحكم في زيادة تعداد البشر؟ افترضت أن السبب هو اعتقاده أن مملكة الظلام لا ينبغي أن تتداخل مع المملكة الدنيا. ألم يلقِ هذه الحجَّة وهو مُدرِكٌ تمامًا لحقيقة أن النظام البيئي بأكمله قد يواجه الدمار قريبًا من دون تدخلنا؟ ما مصدر لا-عقلانية ولا-معقولية أمان؟ تركني قطار أفكارٍ شاعرًا بضيقٍ.

"كيف تتوقَّع مني المساعدة؟ وبماذا أساعدك؟ هل ستجعلني أتحوَّل إلى حمامة وأحلِّق وسط أشعَّة الضوء، أم أشطر البحر إلى نصفين؟ كيف سيصدق الناس أن العالم كان حقيقيًا لو فعلت شيئًا كهذا؟ وما الفائدة من عيشهم هناك بضع سنوات إضافية؟ المملكة الدنيا المكان الذي تذبذب فيه إن لم تتمكن من تناول كل وجبة، وحيث ستموت في الثانية التي تتوقف فيها عن التَّنَفُّس، أو يتوقف قلبك عن ضخِّ الدماء. المملكة الدنيا حيث يمتلأ جسمك بمواد كيميائية تشتت انتباهك عن التفكير السليم- كيف سيسكرني الناس لإبقائهم في مثل هذا المكان!".

لم يُعطِ أمان أي إجابة. ربَّت على كتفيه المبللتين.

"أمان، انغمست فيها كثيرًا مؤخرًا. الحياة بحر من المعاناة. الحياة وهم. لا يوجد شيء هناك. الواقع هو ما يحدث ما بعد الحياة".

"لكن بدون إرادة الحياة، لا معنى للحياة".

"أنا أعرف ما تعنيه. يجب أن تكون الحياة حقيقية. هذا ما يجب علينا أن نؤمن به عندما نكون أحياء. وإلا فسنبذ ثرواتنا أو نهدر حياتنا. لكن لا داعي لتصديق ذلك ما إن نعود إلى هنا، ألا توافق؟ هيا، مضى وقت طويل منذ أن اجتمعنا جميعًا معًا؛ دعنا نستمتع بالاحتفالات".

"نابان".

ثم مضى أمان ليقول شيئًا لن أنساه أبدًا.

"المملكة الدنيا حقيقية". ومضت عينا أمان. كما لو كانت تحتوي على عصبٍ بصريٍّ وأوردةٍ متّصلةٍ بدماعِ فعلي. كانتا محققنتين بالدماء، ومغرورقتين بالدموع. ارتجفت حدقاته الغائرتان كمدًا.

"الناس في المملكة الدنيا ليسوا نحن. هم كائنات مختلفة تمامًا".

"أليس هذا غريبًا؟".

أيقظتني كلمات تانجاي من شرود أفكاري وذكرياتي. التقطت حركةً وراء الجدار في اللحظة التي عُدت فيها إلى صوايي. أنا متوتّر. ليس لأنني شعرت بالحركة، ولكن لأنني استغرقت وقتًا طويلًا للشعور بها. "ما الغريب؟".

"تعلم ما نعرفه بالفعل من الصفر. كيف أنني طاردت حقائق وأسرار الكون في كل حياة لي في المملكة الدنيا، لكن لا يمكنني استكشافها سوى من خلال الاندماج معك".

"هذا ليس صحيحًا. من خلال الاندماج، لا نكتشف سوى ما أعرفه أنا"، قلتُ بينما أستمع باهتمام لأي صوت قادم من وراء الجدار، "وأكتشف بدوري ما تعرفه أنت فقط. أشياء لم أكن لأعرفها أبدًا، لو لم أفصلك عني".

دقّ تانجاي الجدار الذي أقامه بيده. صاح الجدار "آه!" في انزعاج، لكن تانجاي لم يسمعه.

"هذا الجدار 'أنا' أيضًا، أليس كذلك؟ نعم، نعم، العالم كله 'أنا'، أعرف. يجب أن تكون سفينة الفضاء هذه قريبة بشكل خاص ممّن

أكون. ولكن لو كانت هذه السفينة جسدي حقًا، فلماذا لا أستطيع أن أجعلها تفعل ما يحلو لي؟".

"لكنك تفعل ذلك بالضبط. أنت تتعامل معه على أنه جماد، تمامًا كما يحلو لك. هذا هو السبب في أن الجدار يعاملك كجماد أيضًا". مددت يدي إلى الجدار خلفي. اعتقدت أنجاي أنني كنت أوضح له الأمر، لكنه كان مخطئًا.

تذمّر الجدار، ما زلت مدينًا لي من أجل تلك المرة الأخرى.

سأدفع لك الضعف لاحقًا.

سمح لي الجدار بالمرور. مددت ذراعي، وأمسكت بذراع الطفل الذي كان يتنصّص من الغرفة المجاورة. أتت صرخة من الجانب الآخر من الجدار، وقفز تانجاي واقفًا على قدميه وقد فهم أخيرًا.

رأيت من خلال الجدار. لم أكن أعرف الطفل. نظرًا لأنه لا يتشارك معي في أي رابطة، لا بُدَّ أن الطفل حديث الولادة.

سألت: "ما اسمك؟" دوى صوتي في جميع أنحاء السفينة؛ إذ كان يجب أن يكون مرتفعًا بما يكفي للنفاذ إلى الجانب الآخر من الجدار. تدخل تانجاي: "يا معلم".

سألت الطفل: "ما اسمك؟ من معلمك؟ وما عملك هنا؟".

كنت قلقًا لأنني فشلت في ملاحظة وجود الطفل أبكر من ذلك، وهذا ضايقني. ربما تضاءلت قواي، أو ربما أخفى الطفل حركته عني. كلا الاحتمالين مزعج.

حاول الطفل التملّص مني. يبدو أنه يجد صعوبة في تصديق أن يدًا يمكن أن تبرز عبر الجدار؛ كان خائفًا. جذبت الطفل نحوي دون تفكير. كنت أنوي أن أشدّه عبر الجدار لكي أجلسه في هذه الغرفة

حتى أوبّخه. لكن معصم الطفل اصطدم بالجدار بدلاً من المرور خلاله، والتوى بزاوية غريبة. توقفت متفاجئًا.

تحدّثتُ إلى معصم الطفل. قلتُ له أن يصبح مرّناً. لم يُجب أو يعطيني أدنى تلميح باستيعاب ما قلته. ظللت أحاول التحدث إليه لكنني لم أتلقَ أيَّ ردٍّ. كان منغلّقًا أكثر من جدار تانجاي. لا، كان أسوأ من ذلك؛ لم يكن مختلفًا عن شيء جامد.

ارتجفت في قرارة نفسي. حرّرتُ الطفل.

قال تانجاي: "أنا من أحضرت الطفل".

من مكان ما في أرجاء السفينة، سمعت صوتًا يهمس:

- ستعطيني حقًا حياة مريعة الآن، أليس كذلك؟... وإلا لكان قد عُزل بسبب فساده.

أحضر تانجاي صندوق إسعافات أولية، وعقّم يد الطفل قبل أن يدهنها بمرهم. كان جزء من الجلد قد احتكّ بالجدار، وكشف الطبقة الحمراء الخام تحته. كان مشهدًا سرياليًّا؛ نظرًا لأن أي جسم ينتمي لمملكة الظلام لا ينزف أبدًا، ولا يمكن شفاؤه بمرهم.

"كان الطفل يتجوّل في الفضاء. أنت تعرف كيف يكون الأطفال الفاسدون...".

أومأت: "يضلّون الطريق. لا يعرفون أنفسهم. لا يمكنهم العثور على معلمهم. هم عالقون، غير قادرين على العودة إلى مملكة الظلام أو المملكة الدنيا".

فحصت يد الطفل. كانت نسخة مُقلّدة متقنة ليد بشريّ في المملكة الدنيا. حتى إن جسم الطفل احتوى على أوعية دموية وأعضاء، مهما

كانت بدائية. كان ذلك عندما تذكّرت الكافيتريا والمزرعة الصغيرة على متن سفينة الفضاء.

كان مجال الطفل مقصوراً على جسده. لم تكن ولو أوقية واحدة من الهواء المحيط تنتمي إليه. درست جوهره، وبعد تحقيق شاق، حدّدت مصدره. الآن فهمت لماذا تذكّر كل من تانجاي وسفينة الفضاء هذا الاسم العزيز.

ناديت الطفل: "أمان!".

كان الطفل يبادلني النظرات بعينين واسعتين دون كلام.

صحّح لي تانجاي: "لا، هذا جزء من أمان. أحد أطفال المعلم أمان من الانقسام الرابع أو الخامس. الطفل ليس لديه ذاكرة عن جسد والده".

"حسنًا، إذن هذا أمان".

"لا، إنهما مختلفان. تمامًا مثلما أنا وأنت مختلفان يا معلم".

حدّقتُ في تانجاي الذي واصل الحفاظ على رباطة جأشه: "المعلم أمان ينقسم إلى كيانات لا حصر لها كلما نزل إلى الأرض. سابقًا، سكن أجساد الحشرات أو الأسماك أو الطيور أو غيرها من الحيوانات الصغيرة... لكنك تعلم كيف بات الأمر؛ لم يتبق سوى بشر في المملكة الدنيا هذه الأيام. تقلّص العالم الطبيعي قليلًا منذ توقّف المعلم توشيتا عن الهبوط إلى الأرض. أنت أيضًا استعدت كل جزء منك مؤخرًا. في الجيل الأخير فقط، وقع انقراض جماعي مفاجئ أكثر من انقراض العصر البرمي العظيم في عصر الباليوزويك".

"أنت تتحدث عن الأمر كما لو كان خطأ".

أحجم تانجاي عن الكلام.

"هل تعتقد أنه خطأ؟" سألته، وأمسكت بذراع طفل أمان.

عن طريق الإقناع الخفيف، حقنتُ بعض جزئياتي في مسامِّ جلد الطفل. سرَّعتُ جزئياتي انقسامها الخلوي، وشفَّت الجرح. بغضَّ النظر عن مدى فساد الجسم، علاج جرح بسيط مثل هذا يسيرٌ. تسارع تنفُّس تانجاي.

يا ربي، كان تانجاي لا يزال متمسِّكًا بعادة التنفس رغم كونه في مملكة الظلام.

أجاب تانجاي بطريقة آية: "لا، لا خطأ في ذلك. لا يوجد موت أيضًا. المملكة الدنيا ليست حقيقية، تمامًا كما هو الحال مع الأم. انقراض جماعي ببساطة بمثابة عودة جماعية للوطن. يمكننا دائمًا الرجوع إلى الوراء...". كانت عبارات لا بُدَّ أن تانجاي قد كرَّرها ألف مرة أثناء الكتابة العقابية تحت العيون الحارسة لمعلِّمي الانضباط. كلما أفنى تانجاي قلبه وروحه في الكشف عن بنية الكون، كان علينا إرسال فرقة دورية على عَجَل، وطرده من المدرسة، وجرَّه مرة أخرى إلى مملكة الظلام. استُدعي عدة مرات ووُضع رهن الاعتقال في كثير من الأحيان. عندما عاد من المملكة الدنيا بعد سعيه المحموم وراء الحقيقة حتى أنفاسه الأخيرة، يفقد قلبه، ويستسلم للاحتجاز طيلة جيل كامل.

"هل تشكُّك في ذلك؟" سألتُ، مُحرِّرًا قبضتي من فوق ذراع الطفل. كان سؤالاً نموذجيًا يُطرح لاختبار فساد المرء. حدِّق طفل أمان في يده بدهشة، وكأنه شهد معجزة عظيمة

أجاب تانجاي ببطء: "لا".

"جيد. الآن، لا تمتلك ما يلزم لتعليم هذا الطفل؛ لذا أرسله إلى أي معلِّم تشاء. سوف يتلقى التعليم الذي يحتاج إليه".

وقف تانجاي، وأمسك بذراعي، ممزّقًا أجزاء من السُّترة التي نسجتها ذاتي السابقة من العشب. رميت تانجاي بنظرات متجهّمة، لكنه لم يتراجع.

"المعلمون سيعزلون هذا الطفل".

"يمكنه الخروج بمفرده إن تغلّب على فساده".

"لن يقدر على فعل ذلك أبدًا".

"عندئذ سيندمج معلّم طيب معه".

هزّ تانجاي رأسه، محبّطًا لأنني لم أفهم.

لكن على النقيض، فهمت جيدًا مخاطر هذه المحادثة.

"من فضلك، دعه فحسب يعيش هنا. هو مجرد جزء صغير. لن يؤثر على الكون".

"لكنك لن تدع ذلك يحدث؛ ولهذا السبب تطرّقت إلى الموضوع".

نظرت بحدّةٍ إلى الناقل. تحرّكت الآلة فزعة، وتظاهرت بعدم ملاحظة نظراتي. صرّ جواهرها، وسعل متهرّبًا. لفتت بطانية نفسها وحاوَلت أن تبدو أصغر حجمًا.

"إخفاء طفل فاسد أمرٌ شائن بما فيه الكفاية، لكن إرساله إلى الأرض فهذا غير مقبول. يجب أن يظل في مملكة الظلام على الأقل".

"أعرف".

"الكيانات الفاسدة لا تعرف أنهم الكون. أنهم والكيانات الأخرى واحد، ومن الطينة نفسها. لا يعرفون التعاطف أو الحب. إرسال طفل فاسد إلى الأرض لن يؤدي إلا إلى نشر الفساد هناك".

"أعرف!".

"المعرفة دون التصرف ليست معرفة حقاً".

بدا تانجاي وكأنه لا يعرف كيف يشرح نفسه.

تانجاي وأنا كنا على مستويين مختلفين من الفهم. قال: "هؤلاء الأطفال يريدون الحياة. حياة في المملكة الدنيا، وليس مملكة الظلام." "الرغبة في حياة لا تعدو كونها وهمًا، في حد ذاتها علامة على الفساد".

"ومع ذلك ما زالوا يريدون هذه الحياة. لا أعرف لماذا. أعلم أنه من الصعب شرح طرائقهم. لكنني أعتقد أن لكل شخص الحق في أن يفعل ما يريد. كما تعلم، لا يوجد خطأ حقيقي في العالم ولا خطيئة؛ لذا...".

دفعت عددًا كبيرًا من جزيئاتي عبر المسام إلى داخل جلد تانجاي؛ ممَّا أدَّى إلى تليين تلك الذراع. فقد تانجاي السيطرة على يده التي تمسكت بجسدي مثل فطيرة. مصدومًا، حاول تانجاي تحرير يده، ولكن تسبَّب ذلك فقط في استطالة ذراعه مثل العجين الدافئ والمطاطي. كانت جزيئات الذراع طرية ونضرة. بعضها تبخَّر وبعضها سال. وكانت ذراعه الآن يتصاعد منها البخار، وتقطر منها المياه.

"فكر مرة أخرى، أيها الطفل".

أغلق تانجاي فاهه. كانت سفينة الفضاء كلها متوترة. أرسلت إليَّ إشارات مُعادية. لكن مكُونات السفينة كانت فردية ومنفصلة مثل تانجاي؛ لم يكن لديها القوة لحشد نفسها، والانقضاض عليَّ.

اهتزَّت السفينة، وبدأ كل شيء في جواربي بدءًا من الغبار إلى الأشياء الجامدة يهتزُّ نحوي. ازداد سُمك الهواء من حولي، وانخفضت درجة الحرارة. تزايد الهواء المبرَّد وغاز بسبب ثقل وزنه، دافعًا الهواء

أسفله، ومولَّدًا رياحًا عاصفة. امتصصتُ حتى الضوء بداخلي؛ ممَّا تسبَّب في انزياح درجة اللون نحو أحمر، وبدا جسدي قرمزي أكثر. "إذا غيَّرتَ رأيك، فسوف أعفيك من الاندماج الآن".

نظر تانجاي إلى ذراعه، ثم إلى عيني. "إن أنا كذبت، أعتقد أنك ستعرف ذلك".

"هذا صحيح".

فتح تانجاي فمه لكنه أطبقه مرة أخرى. أغمض عيني.

تمامًا كما اتَّخذ تانجاي قراره، اتَّخذتُ أنا بدوري قراري. تسرَّبت جزيئات تانجاي إلى جسدي، مصحوبة بالخوف الذي تدفَّق في عقله. رغبته اليائسة في حماية فردانيته. رفض تانجاي التخلِّي عن معتقداته حتى النهاية. اتَّخذ خيارًا غير عقلائي على الرغم من رغبته الشديدة في الحفاظ على حياته. اللا عقلانية؛ عرض آخر من أعراض الفساد.

كان لا بُدَّ من اكتشاف فساد تانجاي عاجلاً أم آجلاً. لم تكن هناك أسرار في عالم الظلام. إن تركت تانجاي الآن، فسيُعزل أو يُدمج لاحقًا، أو إن كان محظوظًا، فسيخضع لتدريب مكثَّف سيضطر فيه إلى تكرار عيش حياة مؤلمة وبلا معنى. كان لا بُدَّ من إيقاف تانجاي الآن من أجل مصلحته.

فكَّرت: هذا الطفل هو أنا. بماذا كنت أفكر؟ ما الذي كنت أحاول أن أتعلَّمه؟

تمرَّد الطفل على مُعلِّمه يعني أنه حاز فردانيته. أن أيديولوجية جديدة قد وُلدت. كان تانجاي جاهزًا ليكون معلِّمًا جديدًا. حتى لو كانت طرائق تدريسه لا ترضيني أو تروق لي، أو لأيٍّ من المعلمين الآخرين. لا، حقيقة أن الطفل لم يكن يعجبني تشير إلى أن الوقت قد حان لأتركه يذهب.

أطلقت سراح تانجاي، الذي ارتدَّ وسقط على الأرض. لم يُستَعدَّ جسد تانجاي بالكامل بعدُ، مع تدفُّق الجزيئات السائلة مثل حبيبات العرق.

"لماذا؟" سألني تانجاي وهو يرسم على وجهه تعبيرًا جادًا رغم ارتجافه.

بعد هنيهة، أجبت، "كما قلت، لا أعرف نقطة اتزانك".

"هل أنت خائف؟ أشكُّ في أن التهامي سوف يفسدك، من بين جميع المعلمين".

"اسمح لي أن ألقى نظرة على طفل أمان. يجب أن أمنحه الحياة".

"هل سترسله إلى مملكة الحيوان؟" سألني تانجاي بحذرٍ أثناء وضع طفل أمان داخل الناقل.

"لا أعرف بعدُ".

"ولكن هذا ما تفعله عادة. تميل الحيوانات إلى مشاركة المشاعر فيما بينها أكثر من البشر. وهذا هو السبب في أن العيش في هيئة حيوانات أو مخلوقات وضيعة لبعض الوقت يمكن أن يشفيها. بينما البشر منفصلون جدًّا عن بعضهم، أليس كذلك؟".

هذا ما كنَّا نفعله عادة. كلما زاد فساد الطفل، زادت احتمالية منحه حياة مخلوق وضيع. بعض البشر الذين خَمَّنوا بشكل صحيح العلاقة بين السبب والنتيجة نظروا إلى ذلك على أنه عقاب، لكن لا توجد عقوبات في الحياة. لا توجد مكافآت أيضًا. لا يوجد سوى التعلُّم. التعلُّم بالطريقة الصعبة يمكن أن يكون مفيدًا أيضًا.

وضعت يدي على جبين الطفل.

تذكَّرت الأجزاء التي لا تُحصَى من ذاتي التي عاشت على الأرض، عندما كنتُ متجسِّدًا في صورة أشجار، و فراشات، وطيور، وجرذان،

وحشرات، أو شكَّلت الأعشاب والأنهار والحقول. استدعيت كل حياة، كل مصيرٍ كنتُ غافلاً فيه عن حقيقة أنني كنت أشارك المساحة نفسها مع ذواتي الأخرى الكثيرة.

نفضت الغبار عن ذكرى إحدى ذواتي السابقة؛ حياة كنتُ فيها امرأة تسيطر عليها بعض المخاوف. كانت تتوق إلى المحبَّة لأنها نشأت في منزل يخلو من الحب. أمضت حياتها كلها بدون طفل، لكنني سأرسل لها الآن واحداً. سيحب كلُّ منهما الآخر بجنون. سوف يتشاجران ويُجرحان. سيرتكبان أخطاء لكن كل منهما سيتعلم من الآخر. سوف يتأذيان ولكنهما سيعيشان بشغف وشراسة أكبر بكثير. ستكون حياة أحدهما سؤالاً محورياً في حياة الآخر.

قلت للطفل: "سأكون والدتك في مملكة الدنيا. سوف تتعلَّم التعاطف في حياتك القادمة. ابحث عن شيء تعتقد أنه قريب منك، سواء كان إنساناً أو حيواناً أو جماداً. عندها سيتركك الفساد. وستستعيد القدرة على الانقسام أو الاندماج حسب رغبتك".

جسيمات جسدي المشبعة بإرادتي تدفقت من أطراف أصابعي إلى جينات الطفل. ستوجَّه الجينات حياة الطفل إلى حدِّ ما، ولكن ليس أكثر من ذلك. إرادته هو مَنْ ستحدّد حياته.

قال تانجاي بعد إتمام نقل الطفل إلى المملكة الدنيا: "لم أفهم ذلك. كيف يؤثّر التناسخ في الماضي على العلاقات السببية؟".

"لا توجد علاقة سببية. فقط تفاعل متبادل".

"ماذا لو عاد الطفل بالزمن، وغير الكون؟".

"كل حياة تغيّر الكون. في كل مرة تعيش فيها حياة وترجع إلى هنا، كل شيء يتغيّر أيضاً. تذكر، ذلك الطفل هو أنت، وأنت أنا. إن تغيّر هذا الطفل، فسيتغير بقيتنا". قلت، وجُلت بعيني في أرجاء السفينة

كلها. تحدّثت إليها. كانت محادثة صعبة إذ تطلّبت إبرام الكثير من الاتفاقات، لكنني بذلت قصارى جهدي لإقناعها.

اضطرت إلى تقديم العديد من الأشياء في هذه العملية والتّخلي عن جزء من جسدي. كانت حالتي تزداد سوءًا. لكن لا يهم. سوف تتفاقم بغضّ النظر عمّا فعلته.

لاحظ تانجاي التعب الذي أصابني، وسألني: "ماذا فعلت؟".

"أنشأت مجال جاذبية شّرطي. الأطفال الفاسدون الآخرون الذين يموتون، ويضلّون طريقهم سيُسحبون إلى سفينة الفضاء هذه. خُذ أكبر عدد ممكن تحت جناحك".

كان تانجاي هادئًا. ثم سألني: "لماذا فعلت ذلك؟".

"حتى تتمكّن أنت من التّحكّم في تناسخ هؤلاء الأطفال".

ابتسمت لِنفسي، مفكّرًا أنه بالنسبة لمثل هؤلاء الأطفال، الاستيقاظ في بارجة فضائية بعد الموت من شأنه أن يكون تجربة مزلّزة تمامًا.

لم يرَ تانجاي مصدر تسلّيتي. "لماذا عليّ فعل ذلك؟ ذلك ليس صائبًا".

"لا يوجد شيء 'صائب'. الشيء إمّا مُبالغ فيه أو منقوص. نظرًا لأن هذا ليس مشروعًا مبالغًا فيه؛ يمكنك القيام به".

نظرتُ إلى مسند ذراع الكرسي، ودفعت يدي من خلاله، كما لو كنت أغمس يدي في الماء. أعطاني تانجاي القليل من الاهتمام. اعتاد على قيامي بمثل هذه الاستعراضات المثيرة.

لكن تطقّلي ألقى بمسند الذراع في حالة من الفوضى. من منظور بشري، أصبح مجنونًا. صرخ، أنا مادة صلبة، لا يمكن اختراقها بهذه الطريقة. أنا... وكأنه يعيد التأكيد على تلك الحقائق لنفسه، أو ربما لي.

تغلّبت عليه باستخدام الآلية نفسها التي استخدمتها مع ناقل
تانجاي. لم يكن ثمة وجود لإقناع. أو محادثة. أو اتفاقات.
همسْتُ: إنها الكيمياء.

ذاتي القديمة

كنت أشعر بالسوء عندما جاء يونشيم المُحبُّ لرؤيتي. استلقيت على سرير حَجْرِيُّ كنت قد نصبته داخل كهف مظلم، غارقًا في هاويتي، وقد أوكلت تعليم الأطفال إلى أتباعي. أزلت المعبد، وكل منزل من الباردو خاصتي، وتركته يتحول إلى برِّيَّة من الصخور والحقول الكئيبة. اشتكى الأطفال من أن أذواق معلّمهم ملتوية وعجيبة، لكن الحقيقة هي أنني لم أمتلك القوة لأي شيء آخر.

انقضَّ يونسيم عليّ. أسقطني، وثبّنتي على الأرض، وأمسك بي من حنجرتي، وهزّني، وصفعني، ومزّق ملابسي.

استدار حشد الأطفال الذين يناقشون حياتهم خارج كهفي. نظرت الجِراء والحشرات والقروود والخنازير صوبي. شعر المعلّمون بما يجري واستعدّوا للمشاكل. كان الاعتقاد بأن أحدهم يمكن أن يؤذي آخر في مملكة الظلام سببًا كافيًا للقلق.

"قتلت طفلي!"

يبدو أن يونشيم قد سحب جسده مباشرة من المملكة الدنيا. كان لحمه الداكن المرَقْش مُغَطَّى بالتراب، كما لو كان قد زحف خارجًا من قبر. ثديان مترهلان، وشعر أبيض متشابك مثل عش العقّوق، وبعض أسنانه مفقودة. لا يبدو أنه قد اخترق الصخور أو حُمِل هنا بفعل الرياح. لا بُدَّ أنه سافر سيرًا على الأقدام. كانت أظافر أصابع

يديه وقدميه سوداء بالأوساخ، يدها وقدماه متشققة ودامية بفعل قطع الحصى التي تحفر في جلده.

"قتلت طفلي!"

تذكَّرتُ الآن. كان يونشيم ابن وانغ-ليانغ. وفقًا لنسب مملكة الظلام، كان الأمر كذلك. انعكست العلاقة في المملكة الدنيا، حيث أضحى يونشيم والدة وانغ-ليانغ في حياتهما الأخيرة. في المرة الأخيرة التي رأيت فيها يونشيم كان كرة من الضوء، مثل اليراعة الصغيرة، ولم يجرؤ على النظر في عيني. عندما تلقى الأمر بأن يصبح والدة معلّمه في المملكة الدنيا، رفض وتوسّل من أجل سحب الأمر؛ أُنّي له أن يفعل شيئًا غير معقول إلى هذا الحد؟ طمأنته بالقول إنها كانت دورة تدريبية للمبتدئين ولن تستمر سوى مدة وجيزة.

على هذا ردّ: "عسى أن تضرب السماء أمثالك، أتسمّي هذا تدريبًا!"

حاول يونشيم تمزيق جسدي إلى أشلاء، لكن بالكاد أحدث ثقبًا فيه، بينما نبتت أشجار كروم ذات أوراق زيتونية اللون من حولي، وأحاطت يونشيم وجرّته بعيدًا عني. بينما كان الأطفال يراقبون من بعيد، طار وانغ-ليانغ نحونا كشبورة من الجزئيات، قبل أن يتجمّع في هيئة بشرية بيني وبين يونشيم.

قال وانغ-ليانغ، وهو ينادي طفله بالمسمّى الذي استخدمه في الحياة السابقة: "أمي". كنتُ مدهوشًا. "ها أنا هنا. لا يوجد موت. أنت مخطئ".

كنت مُمددًا على التراب وقد طرحني الرياح أرضًا. خوف لا يمكن تفسيره ينساب بداخلي. أردت أن أنحّي كبريائي وشرفي جانبًا، وأفرّ من هذا المكان.

توقّف يونشيم أخيراً بشكل محموم عن محاولته قطع الكرومات، ونظر إلى وانغ-ليانغ، غاضباً: "أنت لستَ طفلي. طفلي مات. ابن العاهرة ذاك قتله".

كان يونشيم في حالة سيئة. يبدو أنه فقد كل ذكرياته ما عدا ذكرى حياته السابقة. كان انفصاله شديداً ويبدو أنه نسي كيف يغيّر شكله.

كان ذلك عندما عادت إليّ ذكرى. هل كان انقلاباً عسكرياً في بلد ما؟ انتميتُ إلى قوات مكافحة التّمرد وأطلقت النار على حشود من المتظاهرين. جاءت والدة الشاب الذي قتلتُ برصاصي، الآن، بعد مرور نصف قرن. كنت غاضباً بسبب الارتباك والشعور بالذنب الذي ساورني بعد قتل الشاب.. لكن هذا كان مجرد نصيبي من الألم الذي عليّ أن أتحمّله. لا أستطيع أن أخفف من آلام الآخرين؛ لذلك لم تكن حياة جيدة تماماً، مع أنني قد تعلّمت شيئاً منها.

نظر وانغ-ليانغ إليّ، لكن عندما لم أظهر أيّ ردّة فعل؛ افترض أن هذا كان نوعاً من الاختبار، وقرّر أن يُبادر بفعل معيّن. أقنع الكهف بالابتعاد عن الطريق؛ انفتح السقف وتراجعت الجدران. انزاحت المنحدرات والتلال الصخرية المحيطة جانباً طواعية، وانسحبت المساحة التي كنت فيها تحوّلت إلى رقعة خالية واسعة. شعرت أنني عارٍ في العراء. حدّق الأطفال في وجهي بفضول مُشعّ في عيونهم. كنت أتوق إلى فتح جُحر صغير في مكان ما، والاختباء فيه، لكن حتى هذا لم أستطع القيام به.

أعلن وانغ-ليانغ: "فَسَد يونشيم. يمكن لأي شخص أن يكون معلّماً لكيانٍ فاسد. سأعلّم يونشيم درساً بصفتي ابنه ومعلمه نيابة عن النبي نابان".

نحن لا نعاقب أنفسنا. ما الألم الذي يمكن أن يلحقه بنا أي عقاب؟
نحن لا نكافئ أنفسنا أيضًا. ما المتعة التي يمكن أن تجلبها لنا أي
مكافأة؟ نحن ببساطة نعلّم ونتعلّم. في بعض الأحيان، نضطر إلى
تعليم الطفل ما لا يريد تعلمه.

"أمي، أنتِ فاسدة. سأعزلك في الحَجَر الصحي حتى تتمكني
من التَّحرُّر بنفسك. سأصوغ جدارًا بجسدي. بهذه الطريقة سأترك
جزءًا من ذاتي بجانبك. ستكونين قادرة على الخروج بمجرد أن تدري
أن الجدار هو أنت، أنه من نفس طينتكِ وطينتي، أنك وأنا لسنا
مختلفين".

كان قرار وانغ-ليانغ قرارًا عاديًا. لكنه تراءى لي وحشيًا. ألم يكن
وانغ-ليانغ ابن يونشيم؟! تلك المرأة العجوز قد رعته في رحمها لمدة
عشرة أشهر، وأرضعته أكثر من ذلك بكثير. غيرت الحفّاضات التي
تغوّط فيها، ووضعت الطعام في فمه الباكي. ألم تقضِ نصف حياتها في
البكاء والعذاب بعد وفاته؟ كيف إذًا يعامل والدته بهذه الطريقة؟
"يمكنك إمّا أن تتناثر إلى جزيئات، أو تُقلّص جسمك، أو تجعل
نفسك قادرًا على المرور عبر الجدار. سأبقي عيني عليك".

كان صوت وانغ-ليانغ رقيقًا ولطيفًا، ومع ذلك لم يترأى لي كذلك.
بدا الأمر برُمّته مروّعًا. سوف يستغرق يونشيم مائة عام على الأقل
للهرب.

"لا"، قال يونشيم، مدرّكًا أخيرًا خطورة الوضع. تفحصت كرومات
وانغ-ليانغ جسد يونشيم.

قال وانغ-ليانغ: "صرت منفصلًا جدًا حتى تستطيع التفتت إلى
جزيئات. إن كنت لا تستطيع الانقسام، فلا يمكنك التناسخ وتطهير
فسادك من خلال التعلّم. رغم صعوبتها، لكنها أسرع طريقة".

قلت: "انتظر". حتى بينما أتحدث، كنت أخشى أن أترك حالتي تخرج عن سيطرتي. غير مدركين لمخاوفي، ركّز الجميع انتباههم عليّ، متوقّعين مني أن أنطق بحقيقة ما عظيمة.

"أنا من يتحمّل خطأ فساد يونسيم. منحه حياة قاسية جدًّا يستحيل على طفل صغير تحمّلها. سأشكّل رابطة مع يونسيم في حياته التالية، وأتبادل معه التعلّم".

"جسد يونسيم قد تصلّب كثيرًا. أشكُّ في أنه يستطيع التناسخ".
"سأساعده".

"إن كانت هذه رغبتك".

ولم يفكّر وانغ-ليانغ في الأمر ثانية. سألني: "هل ستكون عشيرته؟".

"إن كان هذا ما يرغب فيه يونسيم".

"أمي، قدّم الرسول عرضًا سخياً. هل ستقبله؟".

كان يونسيم مرتبكًا. لكن حتى مع هذه الحيرة، بدا يونسيم قادرًا على التّعرف على عدو من حياته السابقة.

"هذا الوغد قاتل وليس نبياً".

"عرض النبي بسخاء أن يكون عشيرتك، وسوف يرافقتك مدّة حياة كاملة".

"هذا الشرير قتل طفلي".

نظر وانغ-ليانغ إليّ باعتذار وقال: "يونسيم لا يزال غير مستوعب الأمر".

"اسأله عمًا يريد. أخبره أنني سأمنحه إياه".

طلبتُ من وانغ-ليانغ نقل الرسالة مع أنني وقفت بجوار يونشيم مباشرة؛ لأنني كنت أخشى مواجهته. لكن وانغ-ليانغ ما زال يعتقد أنني كنت أحاول تعليمه درسًا. وأبقى عينيه على يونشيم.

"اسمح لي أن أقتل ابن العاهرة هذا".

أجاب وانغ-ليانغ بهدوء: "هذا مستحيل". في الواقع، كان ذلك مستحيلًا جسديًا. "من فضلك اقترح شيئًا آخر".

"إذًا حوِّله إلى كلب، حتى أمكِّن من ربطه وجَرِّه ورائي طوال حياته".

أجبتُه: "فليكن".

ومضت عيون وانغ-ليانغ ببرود. كان النظر إلى وضع الحيوانات والبشر على أنه غير متكافئ عَرَضًا آخر من أعراض الفساد. قال وانغ-ليانغ "عشيرة أو حيوان. لا فرق. سيرافقك النبي في الحياة بصفته حيوانًا، سيحميك، ويعلمك. في ذلك الكلب، ستجد أفراح الحياة وسلوانها وحكمتها".

"اجعله يعاني من الحياة نفسها التي عانيتُ أنا منها! اجعلني أتجسّد في صورةٍ مُكُنّني من قتل طفل ابن العاهرة ذاك!".

"لا يوجد شيء لتتعلمه من مثل هذه الحياة. سوف يزداد فسادك سوءًا. المعلم لا ينسج لك حياة لا تقدّم لك أيّ تعليم".

قلت مرة أخرى: "أنا أقبل. دعه يختار الحياة التي يرغب فيها. امنحه الوقت للتفكير وأخبرني بما يقرّره. سأفعل بالضبط ما سيطلبه مني".

تردّد وانغ-ليانغ لحظة، لكنه لم يشكّ في حكم مُعلّمه. اعتقد أن لديّ خطة مفصّلة في ذهني. لكن في الواقع لم يكن لديّ أي شيء سوى الأمل.

شاهدت الأطفال وهم يقودون يونشيم إلى منطقة الاستراحة، ثم هربت. فثُتُّ ذاتي وحلَّقت في البداية، لكن ذلك أصبح مرهقًا للغاية بعد مدة طويلة؛ لذلك ركضت على ساقين. اندفعت إلى الأمام، سحبت وشابكت الأوتار التي ربطتني بالكون عن غير قصد. انزلقت الصخور من سلسلة التلال الجبلية أمامي، وغاص الوادي بشكل أعمق، وازدادت المياه هياجًا. كنت أرغب في قطع كل وَتَرٍ من هذه الأوتار. كنت أخشى من أن يكشف جسدي الضخم؛ الباردو خاصَّتي، أعمق أسراري. كنت أتوق إلى الانقسام والتفكُّك، وأن أكون أصغر حجمًا، وأن أهرب إلى مكان لا يسكنه أحد.

مكان لا يسكنه أحد؟

شعرت بالرعب لأنني فكرت في مثل هذه الفكرة. اشتعلت الفكرة بداخلي مثل المرض.

هذا الطفل أنا.

أحطت وجهي بيدي. كان يونشيم أنا. لا أحد سواي. جزء مني انبثق من جسدي.

أنا الفاسد.

كنت أنشر الفساد. كنت حاملًا للمرض، أنقله في كل مكان تطوُّه قدمي. إنَّ تغيَّر جزء واحد، سيتغيَّر الكل. من نافلة الكلام ذُكر مدى تأثير جسم ضخم مثل جسدي.

"هل انت بخير؟" قال أحدهم، وهو يسدُّ طريقي.

كان وانغ-ليانغ. لم أكن بخير. سقطت على الأرض، وغطَّيتُ رأسي بيدي. طار الجيل الثالث من المعلمين، وأحاطوا بي. تماسكت. لم يكن هناك شيء يستدعي الحرج. لا شيء أخجل منه. الجميع هنا كانوا أنا. من المستحيل إخفاء ذاتي عني.

قال وانغ-ليانغ: "الفساد يستشري بين الأطفال".

"أنا أعرف. رأيت ذلك بنفسي".

كنت أخشى من أن يطلب وانغ-ليانغ الإرشادَ مني، لأنه لم يكن لديَّ أي شيء لأقدمه. ما كان وانغ-ليانغ فاسدًا، ورأى كل ذرة من حيرتي. اندلعت الهمسات من حولي. وانغ-ليانغ يخاطب الحشود:

"استريحوا. كان المعلم نابان على هذا النحو منذ أن أخذ على عاتقه مَهْمَةُ القضاء على أمان. كانت تضحية عظيمة". استطرد: "للتَّخْلُصِ من النبي الفاسد أمان؛ تجسَّد الأنبياء بجوار أمان في كل عصر، وأزالوه في وقت مبكَّر من الحياة. جَدَّد الأنبياء الأنظمة، واستحوذوا على السلطة، وغيَّروا السياسات تحت غطاء المصادفة وسوء الحظ. ومع ذلك، لم تستطع هذه الإجراءات الإطاحة بكل نسخة من أمان، ولكن كان على المعلم نابان أن يسترد شخصيًا نسخ أمان المتبقية. هذه الطريقة التي ينمحي بها وجود أمان من التاريخ".

هذا ما حدث.

أفسد أمان الأطفال وسرَّع من وتيرة انفصال الذوات. الآن رفض الناس تصديق أنهم والعالم واحد. أنهم والآخرون الشيء نفسه. اعتقدوا أنهم وحيدون، وغمَّلوا في وحدتهم، وتساءلوا لماذا، هم الذين تُضاهي عظمتهم عظمة الكون، كانوا صغارًا وتافهين. أمرني توشيتا بجمع أجزاء أمان المتناثرة في شتى بقاع الأرض، وإحضارها إلى مملكة الظلام. لم أجد مُبرَّرًا للرفض. كان أمان طفلي، جزء من ذاتي؛ كل شيء كان خطئي.

عندما انقسمت إلى عشرات الآلاف من الكيانات، وهبطت إلى الأرض في كل نقطة زمنية، فكرت:

لا يوجد موت. نحن لا نختفي ولا نهلك. نحن ببساطة نتغيّر. الذات لا تتوقف عن الكينونة. تفسيرنا لها فقط ما يتغير. إذن، ليس ثمة قتل، أو خطيئة.

في خضمّ التفكير في ذلك، أغفلت بحماقةٍ بعض الأشياء:
فداحة تجربة الانقسام. فداحة ترقى إلى مستوى الاندماج.
سهولة الفساد... بساطته.

استطرد وانغ-ليانغ: "للقيام بذلك، كان على المعلم نابان قمع قوى التعاطف التي يتميز بها إلى أدنى حدّ. كان عليه أن يشغل جسداً مصنوعاً خصيصاً للاعتقاد بأن الذات مختلفة عن الآخر، وأن جميع الكيانات منفصلة. لهذا السبب تلوّث المعلم نابان، وحقّز فسادنا. يجب علينا معالجة هذه المسألة".

كلمات وانغ-ليانغ كانت موجّهةً إليّ أيضاً. هيأت نفسي، وقلت: "لا بدّ أن شيئاً يختمر في ذهنك".

قال وانغ-ليانغ بهدوء: "من فضلك اندمج مع أمان". كان المعلمون الذين وقفوا وراء وانغ-ليانغ هادئين أيضاً. "علاوة على ذلك، أرجوك استرجعنا، وكل البقية. استرجعنا نحن وأمان، وعُد إلى ذاتك الأصلية، لا إلى نابان أو أمان، بل إلى إيساتا".

فكّرت: هذه فكري أنا. كيف يا ترى لا تنتشر هذه الفكرة في حين ملأت رأسي؟ كيف لا يمكن أن تغري أطفالي؟ كلهم كانوا أنا بالأساس. هذه المحادثة بالذات كانت، في الواقع، أنا أتحدث إلى نفسي. كل هذه الصراعات تعكس انقسام ذاتي، الفوضى داخل ذهني.

"أمان لن يوافق على الاندماج معي".

"يجب أن نفكر إذن في طريقة".

"بمجرد أن أندمج مع أمان، سوف يختفي نابان. سوف أصبح شيئًا ما كنت عليه من قبل".

"هذا ليس صحيحًا، يا معلّم. كان أمان في الأصل نابان، تمامًا مثلما كنا جميعًا".

كنت أعرف أن ما قاله وانغ-ليانغ صحيح. ومع ذلك كنت أشكّ فيه رغم أن لا شيء يتعلق به كان مريبًا. المريض يشكك في كل شيء. "أمان نبي فاسد، مصدر التلوث، والأرض التي يتكاثر فيها. ألا تخشى كيف سيغيرنا جسد مثل جسده؟ قد نتحول، جميعنا، إلى أمان".

قال وانغ-ليانغ دون تردّد: "لا يمكن أن يحدث ذلك. بمجرد أن نندمج مع أمان، لا يمكننا جميعًا أن نتحوّل إلى ما أنت عليه الآن أيضًا. حتى في حال فقداننا هيمنتنا لصالح أمان، وهو أمر بعيد الاحتمال، سيستمر التغيير. لا يمكن أن يهلك أمان ولا يمكننا أن نهلك نحن. لا يوجد هلاك. التغيير فقط".

بدا الأمر كما لو أنني سأضطر إلى الاستقالة من منصبي التدريسي إلى وانغ-ليانغ. أو ربما أندمج مع هذا الطفل.

"الحفاظ على هوية نابان ليس بالأمر الملحّ، يا معلّم. يجب على أولئك الذين ليسوا فاسدين إعطاء الأولوية لذواتهم الأصلية.. يجب أن نعالج أمان قبل أن يلوّث المزيد من الكون. لو فشلنا، فسنكون على الأقل قد بذلنا جهدًا مفيدًا. تعلمنا درسًا آخر".

فكرتُ: هذا الشخص أنا.

كان الفساد يتغلب عليّ باطراد، وبدأت أتشبّهت بفردانيتي. كان وانغ-ليانغ على حق، وكان خوفي بلا قيمة. كنت معلّمًا مريبًا،

يستنزفني بشكل مُزِرٍ احتمال فقداني هويتي بينما أصبحت العوالم مرضى بالفساد.

أنا مسؤول.

"ولدت" أمان، وفشلت في منع الطفل من الضلال. فشلت في إعادة كل نسخ أمان إلى مملكة الظلام، في القبض على أولئك الذين تشتتوا مختبئين؛ لذلك كان عليّ تصحيح الأمور بشكل نهائي.

يجب أن أكون الشخص الذي يفعل ذلك.

في الوقت نفسه، برز سؤال في تلافيف ذهني مثل الضباب. شعور غريب بأنني كنت مسؤولاً عن أكثر مما أستطيع أن أستوعب. التلميح بأنه ربما كان هذا السبب في عدم نجاح أي من الإجراءات التي اتخذتها حتى الآن. الشك الزاحف بداخلي في أن الفساد قد يتسرّب من الشقوق غير المتوقّعة.

أنا، ككلّ كامل، أعرف كل شيء. حتى الآن وأنا منقسم، كنت لا أزال إيساتا، الكون بأسره. ربما كانت هذه المعرفة ما أوحى إلى إيساتا بهذا الحل، ثم أعطتني الأمر من خلال اتصال غير واعٍ.

هزرت رأسي للداخل. كم كانت أفكارى سخيفة، مدفوعة بالخوف من فقدان ذاتي. كانت أشبه بمتعرجات حمقاء مستمّدة من عدم اكتمالي. ستختفي اضطراباتي بمجرد أن اندمج مع أطفالى. في الوقت الحاضر سيكفّ "أنا" عن الوجود.

قال وانغ-ليانغ وهو يمدُّ يده نحوي: "أنا مستعدُّ". واحدًا تلو الآخر، شبك الأطفال الواقفون خلف وانغ-ليانغ أيديهم معًا.

"نحن مستعدون أيضًا".

كان وانغ-ليانغ مفتونًا بشكل مفرط بالحياة الآخرة في الآونة الأخيرة. تخلّص من حياته في المملكة الدنيا كما لو كانت زوجًا قديمًا

من الأحذية. مسحورًا ببعض القوة الغامضة، تخلى عن ممتلكاته، وراح يعيش في الجبال أو يقضي حياته في دير أو معبد في عزلة تامة. في بعض الأحيان كان يضحّي بنفسه بكل سرور من أجل مسائل تافهة تتعلّق بالعدالة أو الضمير.

هذا الشخص أنا.

أيًا كان مَنْ يفعل هذا، كنت أنا مَنْ يفعل ذلك. أيًا كان ما أراده وانغ-ليانغ، كان هذا ما أردت.

قال وانغ-ليانغ: "هذا سيساعد".

بالطبع سيساعد. سوف تتمازج شخصية وانغ-ليانغ وغايته بي. سأتغيّر وأصبح أكثر جرأة. لن أعرف أي خوف أو ندم. كنت بحاجة إلى شخصية وانغ-ليانغ.

وقف الأطفال رفقة وانغ-ليانغ، وكانت عيونهم تتلألأ بترقّب. كانوا متحمّسين للشروع في الطريق إلى مزيد من المعرفة والبصيرة، ليصبحوا جزءًا من ذاتٍ أكبر وأكثر حكمة.

أولادي الأعزاء، ما هو على وشك الحدوث ليس كما تتخيّلونه. عندما نكون واحدًا، لن يبدو أحدٌ منّا عظيمًا جدًّا لكم.

أخذت يد وانغ-ليانغ بيدي.

بمجرد أن فعلت ذلك، لم أستطع أن أفهم ما كان يُعذّبني خلال المدة الفائتة.

ما كان هذا شيئًا، حقًّا.

ذاتي الثانية

1

لم تكن المواجهات السابقة مع توشيتا سارةً للغاية، خاصة عندما كنت على وشك القيام بشيء ما. كانت الكيانات البدائية صعبة مثل الكيانات الفاسدة.

في أي لحظة معطاة، ما كان توشيتا في أي مكان، وفي اللحظة ذاتها كان في كل مكان. في بعض الأحيان كان عبارة عن حصة ملقاة في زاوية باردو نبي مجهول، وأحياناً أخرى كان الطفل الذي يناقش حياته السابقة والتالية في الزاوية نفسها. نظرًا لأن توشيتا يمكن أن يندمج في أي مكان؛ ما كان اكتشافه مَهْمَةً سهلة، حتى بالنسبة للأنبياء من الجيل الثاني. لم يطلب منهم احترام خصوصيته، لا سيما وهم مقتنعون بأن الكون كله كان هو في الأساس.

كان توشيتا ينتظر عند مدخل الجحيم.

اتَّخذ شكل إنسان نحيل يرتدي رداء دوبو أسود وغطاء رأس متناسق معه. كان وجهه أزرق غامق، وعيناه مثل العملات الذهبية التي تحطَّمت إلى شظايا بسبب إلقاء حجرٍ في مركزها. أطرافه طويلة وذابلة مثل الأشجار الخالية من النسغ. كان يقف داخل قارب محطَّم مليء بالثقوب في أسفله، ويحمل مجاديف وفانوسًا. اعتدت على حشد المجموعة نفسها من الأشياء عندما كنت أرشد أطفالاً إلى

مملكة الظلام قبل مدة طويلة. خلف توشيتا تدفق نهر النسيان، الذي يقود إلى الجحيم. كان النهر يتلألأ بلون أحمر كالدماغ، وتتصاعد منه فقائيع كالحمم البركانية.

بالطبع، لم يكن الشيء أمامي يمثل كل توشيتا. كان النبي توشيتا عبارة عن كرة بيضاء هائلة، بحجم كوكب، تدور حول عالم الأحياء، وكان هذا الكيان بالتحديد عبارة عن جسم صغير متأرجح انزلق من الكرة مثل فتلة من خيط مفكوك. لكن على عكس أطفالي وأنا، كان هذا الكيان وتوشيتا يشتركان في شخصية وذاكرة مشتركة. خيط أبيض رفيع مثل نسيج العنكبوت امتد من ظهر الكيان إلى توشيتا البعيد. انطلق الخيط الأبيض من طرف إصبع توشيتا متلألئاً نحوي، وحاول اختراق تاج رأسي. حشدت جزئياتي، وشكلت حاجزاً كهربائياً حول جسدي. أمام جبهتي مباشرة، هسهس الخيط واحترق بفعل التيار الكهربائي.

"هل من مبرر للحديث بالوسائل البدائية يا نابان؟" قال توشيتا، عيناه الذهبيتان تومضان. رنّت الكلمات خارجة من رأسه، وعبرت إلى ذهني في شكل أفكار.

أجبت دون أن أخفي استيائي: "قررنا منذ زمن بعيد ألا نخلط شخصيات الأنبياء. القيام بذلك سيلوِّث أفكارنا".

لكنني لم أستطع حماية كل جزئياتي الأشبه بحطام كوكب. كان توشيتا، بلا شك، ليُمسك بجسيم خارج مجال نفوذي ويستجوبه. كان نفوري ورفضي وخوفي وذُلِّي ليُفتضح.

ابتسم توشيتا. ليس بدافع المتعة. ما عرف الفرح أو الحزن أو الغضب أو القناعة. بدلاً من ذلك، كان توشيتا يشبه إلى حدٍّ بعيد حالتنا البدائية الخالية من المشاعر. كانت الابتسامة مجرد إشارة بصرية لتسهيل التواصل. ربما كان توشيتا يفكر في قرارة نفسه، يا

له من تردُّ مُرَوِّعٌ؛ حتى فيما بيننا نحن الأنبياء، يجب أن نعبّر عن أفكارنا بهذه الطريقة الخرقاء.

"الاندماج لا يعمل على هذا النحو، يا نابان. بمجرد أن تندمج مع أمان، لن يكون لديك ارتباط طويل الأمد مع ذاتك القديمة. لن تظل أنت".

غطس توشيتا مباشرة إلى داخل أعماق ذهني.

تجمّدتُ. تخيلتُ توشيتا يلتهمني، يلقي بملايين الخيوط فوقني لتفكيكي إلى جزيئات منزوعة الإرادة والشخصية. كان بإمكان توشيتا القيام بذلك دون أدنى ذرة حقد أو رغبة. لم يفهم هوس الفردانية والاستقلالية. ولأنه لم يفهمهما؛ سحقهما بدون سوء نيّة.

قلت: "أحاول العودة إلى ذاتي الأصلية مثلما فعلت أنت".

لمعت عيون توشيتا الذهبية التي لا يمكن سبر غورها. كانت العودة إلى أصول المرء هي الرغبة الوحيدة التي فهمها توشيتا. في الماضي كان توشيتا ماجو وبانغو وسولمونداي والعديدين من الأصدقاء الآخرين. كل واحد كان فريداً من نوعه بشخصيات متميّزة. ما عاد لأيّ منهم أثر في توشيتا الحالي. ولا حتى أخفت صدى لبؤسهم ما قبل الاندماج، تحسُّباً لاحتمال فقدان ذواتهم.

ضغطت قائلاً: "أخطط فقط للحفاظ على هوية نابان حتى أنتهي من الاندماج. لا توجد طريقة أخرى، إن أردت استعادة ذات منقسمة ومتفرّدة مثل أمان. قد لا أنجز هذه المهمة العويصة إن أنا تحوّلتُ إلى شيء آخر غير نابان".

أوماً توشيتا برأسه بكسلٍ كما لو كان يقول إنه سمع مثل هذه الحجج مرات عديدة من قبل بالفعل. أمسك بإحدى جسيماتي الطافية في الهواء، وفركها بين أصابعه.

أستطردُ: "أمان معلّم انقسام، يؤمن بأن الحياة في المملكة الدنيا حقيقية، وليست وهمًا. أمان مقتنع جدًا بواقع المملكة الدنيا لدرجة أنه بدأ في التشكيك في حقيقة مملكة الظلام. وبالتالي، الاندماج مع أمان سيُغيّر معتقداتي في مرحلة ما. لهذا السبب يجب أن أظل نابان حتى النهاية".

"شخصية النبي لا يمكن التّغلب عليها من خلال الخدع السحرية الخرقاء لطفل من الجيل الثالث".

مرة أخرى، انقضّ توشيتا على أفكاري، ومرة أخرى، تجمّدتُ. لم يكن نبيٌّ بمكانة توشيتا بحاجة إلى ربط الأجساد من أجل قراءة العقول. لم يدع توشيتا شيئًا يفلت من عينيه الحادثين. تمامًا كما كنتُ قبل انفصال أمان عني.

"سيكون ذلك فقط من أجل مساعدتي. يعتمد الاندماج على إرادتي".

"أمان لديه إرادة أيضًا، يا نابان. عندما نواجه نحن الأنبياء كل منا الآخر، كيان كامل ضد كيان كامل، ما من ضمانة أي نبي سيخرج منتصرًا".

أغمضت عينيّ. ابتلعني الخوف مرة أخرى. "كما قلتُ، سوف يلوّثني أمان، لكنني سألوّثه أيضًا. حتى لو فشلت، يجب أن أكون قادرًا على الأقل على منع انتشار الفساد بيننا. وعبر الكون".

أوما توشيتا برأسه، لكنني لم أكن متأكدًا مِمّا إذا كان يؤيّدني الرأي، أم إقرارًا غير مكترثٍ بسماع ما يعرفه سلفًا.

جرى النهر بمياهه القرمزية، تحت القارب المساميّ الذي وقف بداخله توشيتا. الجانب الآخر من النهر يغلي غضبًا. شكّل البخار

سحابة عيش غراب⁽¹⁾ كريهة الرائحة. تدفقت الصخور المنصهرة، ولانت الحجارة أيضًا. على الجانب البعيد يوجد الموتى، أولئك الذين سُجِنوا وتعذبوا لمئات وآلاف السنين بعد عودتهم من المملكة الدنيا. كان الموتى مدهوشين. لماذا يجب عليهم دفع مثل هذا الثمن الباهظ مدة طويلة بينما كل ما فعلوه هو كُرهُ والديهم، أو الكذب، أو تناول الطعام بانتقائية، أو ترك بقايا الطعام في أطباقهم، أو التصرف بالقليل من العناد أو الفظاظ في نسخة واحدة فحسب من حياتهم؟ لماذا يجب أن تكون قوانين مملكة الظلام بلا رحمة؟

لأنهم كلهم كانوا أمان.

أجزاء منقسمة من أمان.

لم يكن أي من المساجين آثمين. كانوا ببساطة مذنبين بسبب سوء حظ شائع أو امتلاك نقاط ضعف شائعة أو اقرار أخطاء شائعة. كان السجن أحيانًا أسلوبًا تعليميًا يستخدمه المعلم، وفي أوقات أخرى كان ممارسة زاهدة يقوم بها المرء عن طيب خاطر. لكن المكان اتخذ مظهره الرهيب بالكامل بسبب مكانه، الذين أدركوا أنهم يستطيعون ممارسة بعض قواهم الصغيرة هناك وأعادوا تزيين البارد وخصتهم بزخارف خيالية- دون أن يدركوا أنهم يمتلكون أيضًا القدرة على الهروب.

"توشيتا، لا يمكنني أن أترك نفسي أزداد فسادًا. هذه الوسيلة الوحيدة المتبقية لي".

أجاب توشيتا: "أنا أتفق كليًا". لم يكن "الكل" الذي تحدث عنه توشيتا هو كل كلماتي بل كل وجودي. بالطريقة التي رآها، "أنا" كان

(1) سحابة مميزة الشكل حيث تأخذ شكل فطر عيش الغراب، وتتكون من دخان كثيف ولهب وحطام. تنتج عن انفجار هائل. وفي الغالب يُربط بين هذه السحابة والانفجارات النووية، لكن أي انفجار كبير بما فيه الكفاية سينتج التأثير نفسه (المترجم)

عبارة عن توشيتا بالإضافة إلى مملكة الظلام بأكملها. بما أن توشيتا ساوى نفسه بمملكة الظلام، فقد ساواني بها أيضًا. كان همُّه الوحيد أن فسادى قد يُسمَّم الكل. اتَّفَق معي فقط في أن مملكة الظلام يجب ألا تفسد أكثر من ذلك. فساد أو شفاء نابان، محض كيان واحد، كان أمرًا تافهًا مقارنة بالصورة الأشمل.

"على العكس من ذلك، إن التهمك أمان الآن، فقد ينتشر الفساد أكثر حتى. عزلنا أمان لسبب. يجب أن ننتظر حتى يشفى".

أجبتُه: "أعرف البروتوكول، لكن أنا لا امتلك وقتًا"، معتقدًا أن توشيتا سيفهم نطاق "أنا" بشكل مختلف مرة أخرى.

"أمان نبيُّ الانقسام. لن يوافق على الاندماج معك. سوف تفشل".

"عندئذ سوف أتعلم شيئًا من ذلك أيضًا. يمكنك المطالبة بي بعد ذلك، بعد أن أتعلم من فشلي".

الآن كنت أخطو خطوة داخل ذهن توشيتا. لم أكن أرغب في ذلك. كان هذا شيئًا أردت تَجَنُّبه بأي ثمن. سيكون الاندماج مع فوكسي أفضل ألف مرة من الاندماج مع توشيتا. على الأقل مع فوكسي، كان بوسعي أن أتمنى أن يحدِّد اتحادنا قوتنا، ويفضي إلى إنشاء كيان جديد باسم جديد، ولكن الاندماج مع توشيتا يعني أنني سأصبح توشيتا أضخم فقط. كنت أعلم أن الخوف من ذلك الاحتمال كان علامة على الفساد، لكن لم يسعني إلا أن أجفل من الفكرة.

لم يُعطِ توشيتا إجابة. بدًا أنه يتراجع لأسباب مختلفة. لا بُدَّ أنه أجَّل الاندماج معي ومع أمان لأطول مدة ممكنة؛ بالنسبة له، أكل الفاسد مثل أكل الروث.

قلت: "إذن دعني أذهب".

"أنا لست هنا لأعرقك يا نابان".

أمسك توشيتا بإصبعي ولفّها، ممتصّاً جزيئاتي، مثلما يلفُّ أحدهم الشعيرية. كنت أعلم أنني لا أستطيع إيقاف توشيتا. جرّني بلا حول ولا قوة إلى الداخل. أصدرتْ خيوط من جزيئاتي ضوءاً أثناء تجمّعها حول هذه الإصبع الجامدة. ما فعله توشيتا كان له التأثير نفسه عليّ مثل ليّ أحدهم ذراعي أو خنقي في المملكة الدنيا- تهديد.

قلتُ: "إرادة جميع الأنبياء هي إرادتي، يا نابان. لا يوجد سبب يدعو نبياً للاعتراض على قرار نبويّ آخر. تتبادر إلى ذهني بديهية قديمة: 'الفاسدون لا يعرفون فسادهم، ولا يتصرفون إلا بطرائق تنشر الفساد'."

"ومع ذلك تركت تانجاي يذهب."

"هذا الطفل لا بُدَّ أن يكون... " بترت عبارتي، وصحّحتُ نفسي. لأنني كنت أعرف أن الكلمات التي سأقولها ستبدو غير منطقية. "هذا الكيان يعرف كيف يندمج مع الحفاظ على ذاته. تركت تانجاي يذهب في حال احتجنا إلى معرفته."

أوما توشيتا برأسه، ومرة أخرى لم أكن متأكداً ممّا إذا كانت هذه الإيماءة تعني أنه يتفق معي أم أنه توقع إجابتي.

"نابان. أنا أتعاطف مع دوافعك، لكنك فشلت بالفعل مرة. بدلاً من المخاطرة، ألا تعتقد أن الحل الأفضل هو أن يعمل جميع الأنبياء على تفكيككم، أنت وأمان وبقية إيساتا؟"

صمتُ. شعرت أن توشيتا يفحص بعناية أعماق نقاط ضعفي بعيون مجردة من الإحساس.

"توشيتا... " قلت أخيراً. "دعني على الأقل أعود إلى ذاتي الأصلية. لا أرغب في الاندماج مع أي شخص آخر سواي وأمان. حتى لو اضطررت للتخلي عن نابان، لا أستطيع التخلي عن إيساتا أيضاً."

أطلَّ الخوف برأسه القبيح مرة أخرى في اللحظة التي انتهت من التحدُّث فيها. لم أشرح - ولم أستطع أن أشرح - نفسي. كشفت عن لا عقلانيّتي. إنَّ كان توشيتا سيأكلني الآن أو يحبسني بعيداً إلى الأبد، فلا يمكنني قول أي شيء دفاعاً عن نفسي. بخنوع، أغمضت عينيّ واستعددت لقبول النهاية التي ما رغبت فيها.

لكن توشيتا لم يُظهر أي علامة على التَّحرُّك. لا تعاطف أو حقد في دخيلته. باستثناء الفساد، لم يكن هناك شيء صحيح أو خاطئ عنده. فكر ببساطة في أي طريق أدَّى إلى فساد أقل، وأيها أدَّى إلى فساد أكثر.

قال توشيتا: "إرادتك هي أيضاً إرادتي يا نابان. بينما تشير كلماتك إلى اتجاه مختلف عن وجهتي، إلا أنها معقولة. بدلاً من المخاطرة بانتشار الفساد بين المعافين، من المنطقي أكثر محاولة دمج الكيانات الفاسدة أوّلاً، على الرغم من احتمالات الفشل".

كِدْتُ أطلق تنهيدة ارتياح. لو وقعت في فعل شنيع مثل محاكاة التنفس أيضاً، لكان توشيتا قد التهمني قبل أن أستطيع أن أصرخ: "انتظر!".

حدَّق توشيتا عبر النهر. "يا نابان، تمسَّك بإرادتك. الاندماج تمازج للأجساد وكذلك العقول. خطوة واحدة خاطئة وقد يغيَّرَ أمان. عندئذ ستسعى وراء غاية مختلفة".

"هذا لن يحدث".

انغمس توشيتا في التفكير للحظة، ثم أضاف: "ومع ذلك، سوف نتعلَّم من هذا أيضاً". رجع إلى الورا وأفسح لي حيِّزاً على القارب. "سوف أرشدك إلى الجانب الآخر من النهر، يا نابان. سأنتظر عودتك. إذا فشلت، فإنني أتعهَّد بأكلك بعاطفة الأخوة وما تقتضيه من واجب".

ملاحظة عادلة، لكنني لم أكن مسرورًا جدًّا لسماها. لكن لم يكن لديّ أي وسيلة لمنع توشيتا من الوفاء بوعده على أية حال. نثرت ذاتي على سطح الماء وصعدت إلى القارب. راقبني توشيتا وأنا أصعد على متن القارب، وسألني، "لماذا ترتدي ملابس، يا نابان؟".

"إنها هدية مني لذاتي".

لم يسألني توشيتا أكثر من ذلك.

المسار الذي اعتدت أن أسلكه كان مسدودًا بحجر الأديم. لم يستجب للإقناع. بالكاد وجدت صدعًا واحدًا لحشر نفسي من خلاله، بعد أن حوّلتُ جسدي إلى شكلٍ شبه غازي. كنت أعلم أنه لا يوجد مكان في الكون لم يتغيّر، لكن التحولات البرية لهذا الكون كانت تفوق كلّ توقّعاتي. انهار سطح الأرض، ودفن شظايا العظام والجماجم تحته. كانت العظام مُشوّهة ومكسورة بشكل كبير كما لو مزّقتها زئير وحوش. ثمة وقت قام فيه المعلّمون بجولات هنا للتبشير، لكن لا يطاء أي منهم هذه الأرض الآن.

فكّرتُ في وانغ-ليانغ. فكّرتُ في يونشيم وكل أولادي. كيف كان نابان قبل الاندماج معهم؟

لن أعرف أبدًا. في اللحظة التي اندمجت فيها، نسيت مَنْ كانت ذاتي الأساسية. ورثت اسم أقدم كيان لي كبادرة مجاملة صغيرة، لكن لم يكن هناك كيان واحد يمثّل مَنْ أنا الآن. تختلف شخصيتي عن كل منهم، تختلف غايتي عن غايتهم جميعًا.

ماذا سيحدث لو فشلت؟ إن كان أمان مَنْ سيلتهمني بدلاً من ذلك؟

هل يمكنني، مثل أمان، أن أعتبر القشرة الفارغة التي كانت جسدي كل ما أملك، وأؤمن أن مملكة الدنيا هي العالم الوحيد في الوجود، وأخشى من مملكة الظلام وأتشبَّث بعالم الأحياء؟ هل أفترض أن الأعضاء والأعصاب وحزمة العضلات -كتلة ثلاثية الأبعاد من المادة- تشكّل كوني بالكامل، وأن أي شيء آخر لم يكن من اهتماماتي؟ هل سأحارب بأظفري وأسناني مثل أمان للحفاظ على هذه الحالة؟ هل أنا، جسداً مريضاً، سأشتهي المرض؟

سأعرف حاملاً أصبح فاسداً. ولكن ليس قبل ذلك. خطرت ببالي فكرة أنني قد أستخلص التعلُّم من الفساد، لكن قلبي لم يقتنع بتلك الفكرة. كان الأمر أشبه بمحاولة التفكير في أنني يمكن أن أتعلم من الجنون إن صرت مجنوناً.

هبَّت رِيحٌ حَارِقَةٌ بينما خطوت فوق الأرض.

كانت الريح ملتهبة حيث احترق الأكسجين كله، ولم يتبقَّ أي شيء يمكن أن يُسمَّى الغلاف الجوي. لكنني لم أكن بحاجة إلى التَّنَفُّس، ولم يشعر جسدي بأي سخونة.

كان الفضاء عملياً فراغاً. تبخَّرت كلُّ قطرة ماء أخيرة، ودفعت الرياح الساخنة كل شيء؛ ممَّا جعل الفضاء ليس غازياً تماماً ولكن في المنتصف بين السائل والصلب.

تحوَّلتُ إلى هيئة إنسان، ووقفت منتصباً. كانت الأرض قد ذابت وانزلقت مثل جلطات الدم اللزجة. جعلت جسدي خفيفاً كالريش لأنني كنت سأغرق أو أنجرف بعيداً إن كان لي وزن. بالطبع، كان جسم مملكة دنيا حقيقياً ليحترق تماماً لمجرد احتلاله هذه المساحة.

رأيت آخرين لهم أشكال بشرية. لم يتراءوا مختلفين للغاية عن الصخور المنصهرة اللزجة أو كُتَل الطين. كما أنهم لم يكونوا مختلفين

للغاية من حيث أنهم كانوا يتلَوون ويتأوّهون، أو يغرقون في الحمم البركانية، أو ينفجرون إلى فتات بفعل هياج مفاجئ من موج أحمر. واصلت المشي، وتعثرتُ في شيء ما. كانت يداً بشرية. يد بلا جلد أو أظافر.

انحنيت إلى الأمام لفحصها. بعد إزالة بعض الحمم البركانية، وجدت وجهًا. نصفه قد ذاب، وبقي الجلد مسلوخًا بلون أحمر. عظم ذراعٍ عارٍ ومكشوف، عالقة به أجزاء من اللحم والعضلات البالية. "ساعدني" نعب البشري بعد برهة طويلة. "أتيت لإنقاذي، أليس كذلك؟ هل أنت ربُّ؟ رسول إلهي؟" نظر إليّ البشري، وعيناه تعجبان بالدهشة.

في الواقع، في حين أنا واقف حافي القدمين في هذا الجحيم وملابسي سليمة، لا بُدَّ أنني كنت مشهدًا مذهلاً. لكني تساءلت. ألم يعتقد الناس هنا حقًا أنهم معجزة أيضًا؟ كانت حرارة هذا المكان من النوع الذي لا ينبغي أن ينجو منه جلد أو عظم بشري. كان مجرد التعرُّض لبعض الحروق أمرًا مستحيلًا هنا. حتى لو كان ذلك ممكنًا، لا ينبغي أن يكون أحد على قيد الحياة في تلك الحالة، لكن من الواضح أن البشري المائل أمامي كان كذلك.

"هل انتهى؟ هل فرغتُ من دفع ثمن خطاياي؟ هل يمكنني الذهاب إلى الجنة الآن؟".

"لا تحتاج مني أن أخرجك. هذا المكان هو أنت يا أمان".

حدَّق أمان في وجهي فاغراءً فاه، ثم فقد موطن قدمه، وانجرف أعمق في بحر النار. في محاولة لفهم كلماتي، بدا أن أمان قد نسي للحظة أنه كان في جحيم نارٍ.

"هذا المكان بأكمله من صنّيعك"، قلت كما كنت أفعل دائماً في زياراتي. لكن كلماتي لم تُجدِ نفعاً. هنا، تتبعثر الذكريات في مهبّ الريح. حتى أنا لن أحتفظ بأي شيء في رأسي لو كنت سأعيش هنا بجهاز عصبي يشبه ذلك الخاص بأجسام قاطني المملكة الدنيا. سأحتاج إلى مساحة أكبر لألمي وحده.

"هذا مؤلم".

"لا يوجد ألم".

تسلّل شكٌ غير مريح إلى عيون أمان. بدت كلماتي أنها ليست ما توقّع أمان -أو أراد- الاستماع إليها. لا شكٌ في أنه تمنّى أن يهبط مخلوق مُجنّح ويُخرجه من النار ويأخذه إلى مكان مختلف تماماً عن هذا.

"كل جزء من هذا المكان هو أنت. يجب أن تفهم ذلك يا أمان".

"مَن هو أمان؟" بدا أمان حائراً.

"كلكم هنا أجزاء أمان التي استرجعتها من الأرض. أنت عُزِلت هنا، ولأنك فشلت في الاندماج أو الهروب، شيدت لنفسك بارداً مُتخيلاً. هذا المكان من صنّيعك. كله أنت".

"هل التقينا من قبل؟".

أوه، نعم التقينا. أغمضت عيني وتذكّرتُ عبير الشاي. أمان المسنُّ يرقد بجانب النافذة المضاءة بنور الشمس. فكّرتُ في الدُمى الطينية التي استحضرتها لي فوكسي لأراها.

من بين كل نسخ الحياة التي أمضيتها مع هذا الكيان، كنت أفكر في أكثرها حيوية. تفاعلتُ مع كل تجسيد لأمان، لكن حياتي مع هذا الشخص بالذات كانت الأكثر سخونة والأكثر ضراوة.

فكَّرتُ في عينيهِ، عَينين رأيتُهُما للمرة الأخرى في تلك الحَياة. تلمع حدقتاهما مثل الأَقمار السُوداء. عندما أغمض عينيهِ، كانت الدموع المتدلّية على الرموش الطويلة، تتقاطر. كُنَّا على قيد الحَياة، وكانت حَياة كُلِّ مِنَّا ملكًا للأخر. بدأ الأمر كما لو كُنَّا قطعة واحدة في البداية، ووجدنا أخيرًا النصف المفقود الذي كنا نتوق طويلًا إليه.

حتى لو كان الأُم كله من نصيبي، وذهبت كل السعادة لهذا الشخص، كان بإمكانني منح تلك الحَياة مباركتي. إن متُّ وعاش هذا الشخص، فسيكون الأمر وكأنني أنا من عشت.

أجبتُهُ: "فعلنا أكثر من مجرد اللقاء. كنت أنا وأنت واحد".

سوف تفشل. تجاهلْتُ تحذير توشيتا الذي تردَّد في رأسي، وأمسكت بيد أمان. بدأت في امتصاص أمان دفعة واحدة. تراءى لي وكأنه كتلة من المعدن. كان منفصلاً بشدة.

تخيَّلتُ الناقل في رأسي وأنا أحوّل جزءًا من جسدي إلى آلة، واستحضرت حزمة من الأسلاك الكهربائية، وصلَّتها بجسم أمان. صرخ أمان. يبدو أنه أدرك أنه ليس لديَّ أي نية لأخذه إلى الأرض، ناهيك بالجنة. متقلِّبًا مثل سمكة خارج الماء، توَسَّل لي أن أنقذه. لم أستطع أن أفهم. بعد قضاء كل هذا الوقت في مرجلٍ يغلي، هل ما زالت لديه الرغبة في العيش؟

"توقَّف عن المقاومة. أحاول أن أنقذك".

فكَّرتُ: أنت قبل أي شخص آخر، لكنني هزرت رأسي في ذهني. كان التمييز بين الكيانات علامة أكيدة على الفساد.

عندما واصلت الجذب بلا هوادة، تغيَّرت النظرة في عيون أمان. تحوَّل الخوف والاستياء إلى غضب، ثم إلى عدوانية.

بدأ جسد أمان في الاستجابة. رفضني بكل ما أوتي من قوة. احتشَدت خلايا الدم البيضاء حول أسلاكي، وتجلَّط الدم في الجروح. عندما أدخلت مواد كيميائية لإذابة الجسم، قاوم جهازه المناعي بإفراز المزيد من المواد المضادة.

نعم هذا هو. أخيراً، أنت تتصرَّف مثل شخص كان أنا ذات يوم.

فكَّرتُ في عدة صيغ كيميائية. فكَّرتُ في ذرَّة الكربون بأذرعها الأربع، وذرَّة الأكسجين مع ميلها إلى التَّشبُّث والتفاعل مع أي شيء تقريباً. جمعتها وأعدت تجميعها في تركيبات مختلفة حتى وأُفْتُ مادة كيميائية تحطِّم الأنسجة البشرية، ثم حقنتها في جسمه. وجَّهتُ الطعنة، وتصدَّى أمان. انسحبت. دفعني أمان للخلف. تطلَّب الأمر حرباً من الصيغ الكيميائية والجزئية قبل أن أتغذى على نسخة واحدة من أمان.

فحصت جسدي. تحقَّقتُ من التغيرات العقلية أكثر من التغيرات الجسدية. هل تدفَّقت ذكريات شخص واحد في؟ هل تغيرت كثيراً؟ كنت الشيء نفسه. أضخم فقط. أصبح أمان جزءاً مني دون أن يمتزج بي.

نجحت.

غمرني الارتياح. ضحكت، بينما التوتر بداخلي ينحلُّ.

يمكنني فعل ذلك. يمكنني الاحتفاظ بنفسني. البقاء بصفتي نابان. سأكل نسخة تلو الأخرى وببطء، و...

هزَّني تشنُّج عنيف. كان جسدي يندفع مثل المهر الجامح. امتصَّ كل شيء في محيطه مثل محرِّك خرج عن السيطرة. انسكبت بلورات الحمم البركانية في حلقي، وتبعها صخور وأكوام من التراب. الأرواح التي تصرخ بداخلها انجذبت إليَّ أيضاً.

أدرکت أنه فی خِصْمٍ شغفي بتعلُّمِ كيفية الالتهام، لم أتعلّم كيف
أوقِف نفسي. جاهدت لتغيير شكلي لكن جسدي نصف الآلة أبي أن
يستمع إليّ.

انفجرت عشرات الآلاف من الشخصيات بداخلي. تلوت العواطف
بهذه الطريقة وذاك. لا شيء مخلوط أو ممزوج، كلها تتحرك بسرعة
جنونية في حالة من الهرج والمرج.

سقطتُ على الأرض، متمنيًا أن أتجشأ كل شيء. الملايين من نسخ
أمان، أنبياء الانقسام، أنبياء الفردانية؛ انطلقوا في الحياة بجموح في
داخلي.

أنا مختلف.

أنا لست أنت.

أنا أنا، وأنت لست أنا.

لا، أنكرت بشدة تأكيداتك. كلُّك أنا.

لم يعيروا مناشدتي بالأل.

ارتكبت خطأ فادحًا. صدمني هذا الإدراك مثل البرق.

عندما ابتكرت طريقة الاندماج هذه، كنت أعد نفسي بالفعل
منفصلاً عن أمان. إن لم أقبل أمان بصفته جزء مني، فلن يقبلني
أيضًا. كل ما دخل إليّ بدأ يهاجمني.

همس صوت توشيتا في رأسي، ستفشل. كان الجحيم يتدفق داخلي
طوال الوقت، جرعة تلو جرعة تلو جرعة...

مشيت في مجرى النهر الموحد. كانت قدمي سوداء، واصفرت
أظفري، ميتة ومتشققة. بدءًا من كعبي، تشتتت في جزيئات ثم
تكثفت في سائلٍ تقاطر إلى أسفل، ثم تصلب، وامتصه باقي جسدي.

ما بقي من الجحيم في أعقابي كان حقلاً قاحلاً مثل الصحراء. انهارت المنحدرات والجبال، وجفَّ نهر الدم. التهمت كل شيء بداية من أولئك الذين كانت أجسامهم تُغلى في الفرن إلى المجمعدين في جحيم الجليد. أكلت أولئك الذين جُوعوا والذين أسرهم وذبحهم الدكايبى⁽¹⁾ بالسكاكين. لم أترك سوى الكثبان الرملية والرياح المغبرة كما هي، فلا داعي لأن أكلف نفسي عناء أكلها.

تخلَّف اللحم ورأى مثل كيس عملاق، والشخصيات غير المختلطة التي لا تُعدُّ ولا تُحصَى تخشخش بداخله.

كان توشيتا ينتظرنى على متن القارب الممزَّق، الذي كان يستريح بهدوء على مجرى النهر. غاصت قدمي في الوحل. نظر توشيتا إلى آثار قدمي. وقعت عيناه أيضاً على كتلة اللحم العملاقة التي كانت تتلوَّى مثل كيس مليء بالسّمك الطازج.

"أنت هناك، ما اسمك؟" سألت توشيتا. للحظة تأخّرت في الرد. لقد فشلت. سوف أموت. وفاقي كانت وشيكة لكن... ليس بعد.

أجبت: "نابان".

عبرت نظرة إعجاب وجه توشيتا. ما كانت مصطنعة. صعدت إلى القارب وجذّفت بي توشيتا عبر النهر الخالي من الماء، عائداً إلى الضفة البعيدة.

تلاشى وعيي عندما غادرت الجحيم. غير قادر على التشكُّل في جسمٍ مع حالة الدهول التي كنتُ فيها، تحلَّلتُ إلى جزئيات.

(1) مخلوقات أسطورية من الميثولوجيا الكورية. تستخدم قدراتها وقواها الخارقة للتفاعل مع البشر أحياناً من أجل خداعهم وأحياناً أخرى من أجل مساعدتهم. تصف الأساطير الدكايبى بأشكال مختلفة، وبأنهم كائنات بألف وجه، وعادة ما ترتدي الهانبوك (الزي الكوري التقليدي) (المترجم).

فكّرتُ برهة ما إن كنت نابان أم الجحيم، خليفة نابان أم خليفة الجحيم. سرعان ما أدركت أن الفكرة نفسها مجرد وهم. نابان والجحيم وأمان، كلهم كانوا جزءاً مني، مجرد أجزاء غير مكتملة. أصبحت شيئاً أقرب إلى ذاتي الأصلية؛ إيساتا. أوه، كم كنت سعيداً. كم من الوقت مضى منذ آخر مرة كنت فيها كذلك...

كانت سفينة فضاء تانجاي عالقةً في كويكب صغير.

لم تصدم بالكويكب. طار الكويكب إليها، وأحاط بها. أتى نبيُّ
إلى هنا. كانت السفينة حمراء بفعل الصدأ، وخضراء بطبقة من
الطحالب والعفن.

كانت النباتات الزاحفة قد اخترقت النوافذ وطوّقت السفينة،
وشجرة كثيفة تتلوى بطريقة ما عبر سطحها. كم من الوقت مضى؟
نظرًا لأنني لم أكن أعرف إلى أي مدى قد طفت على امتداد البعد
الزمني، كان من الممكن أن يكون قد مرّت مائة سنة في المملكة
الدنيا. بل ألف، أو حتى عشرة آلاف سنة.

أنا...

... صرْتُ نابان مجددًا.

اجتاحني حزنٌ بالغ. كم من الوقت كنت أتجوّل وأنا أشعر
بالدوار بشأن عودتي إلى ذاتي السابقة؟ ملفوفًا بالنشوة دون ذرة من
الوعي بالذات. كنقطة من الضوء أو كتلة من الخلايا. لكن بينما
كنت كتلة من الخلايا، كنت سعيدًا جدًّا بحالتي لدرجة أنني لم أفكر
في العودة.

احترق جسدي مثل الحمم البركانية. انضغط جزء منه في شكل
بشري، وكوّن الباقي طبقة سميكة من جزيئات غازية انتشرت حول
الكويكب مثل الغلاف الجوي. شرارات كهربائية تتطاير هنا، ومواد

كيميائية تتفاعل هناك مولدّة برقًا ورعدًا. في كل لحظة، كنت أتلوى مع إغراء قوي بالرجوع إلى هذا الشكل الجزيئي.

لماذا كنت هنا؟

كان ذلك عندما تذكّرت أنني كنت أفكر في جزء مني لم أمتصّه بعد. تذكّرت التساؤل عن سبب تجنبي لذلك، والشعور بالإثارة لاحتمال استيعاب تلك القطعة الأخيرة. حتى إنني تذكّرت التخطيط للاقترب منها تحت ستار نابان لتسهيل الإقناع.

اعتراني شعور فظيع. كانت تلك الأفكار أفكاري لكنني الآن لا أستطيع تحمّلها. بدت سخيّة، رغم أنها لم تكن أفكارًا غريبة. في الواقع، كان شعوري بالغرابة بحدّ ذاته غريبًا. أدهشني أن عنصر أمان بداخلي قد يكون له تأثير أقوى علي في شكلي الحالي الأصغر حجمًا. اضطررت إلى الإسراع في إعادة توزيع كثافة جسدي بالتساوي وإلا فإن العنصر المؤيد للانقسام في أمان سيظهر نفسه بطريقة مفاجئة لا يعرفها أحد.

و مع ذلك...

ثبّت نظري، وجلست مترنحًا، وزحفت إلى سفينة الفضاء. بجهد كبير، أدّرت مقبض الكوّة نصف المدفون في الأرض وفتحتها. لم أملك القوة لإقناع -أو عبور- الجدار. وبدت سفينة الفضاء بدورها أضعف من أن تتحدث معي.

خطوت خطوة إلى الداخل. تشكّلت البرك أينما وطأت قدمي. لم أكن أتصّبب عرقًا، لكنني فقدت السيطرة على جسدي - كان يسيل. تحوّلت إلى حالة غازية مرتين أو ثلاث مرات، لكنني تمكّنت من تجميع شتات نفسي في النهاية، واستئناف المشي.

بدت غرفة المحرك مثل حوت مُفَرَّغ من أحشائه. فقط هيكله العظمي بقي. كان الأطفال يتنقلون داخلين وخارجين، وهم يحملون ويسحبون كل شيء تقريبًا إلى الخارج. كانوا صغارًا جدًا. كانت لديهم أطراف، ولديهم ثقوب في أماكن العيون أو الأفواه، لكن هذا كل شيء. كان العديدون منهم شفافين أو يطوفون في الأرجاء دون أقدام.

رصدت طفلًا مكتمل التكوين في وسط الغرفة. استغرق الأمر مني بعض الوقت لأتذكر اسمه چايهوا الثري، أحد أطفال فوكسي. لم يَرُق لي ذلك الطفل حتى أكثر من فوكسي. كان لا بُدَّ أن يكون الاثنان متشابهين؛ لأنهما يشتركان في الجوهر نفسه، لكن كان چايهوا أكثر شبابًا. إن سعى فوكسي وراء المتعة، فقد كان چايهوا صادقًا مع اسمه؛ إذ سعى فقط وراء الثراء.

كان لچايهوا جسمٌ ضخم كالجبل، بأبعاد هائلة، ورأس أصلع، ووجه حَسَن المظهر له أنف لحمي، تحته تبرز خصلتان طويلتان لشارب. يحمل چايهوا تشابهًا صارخًا مع الحصّالات خنزيرية الشكل الموضوعّة بجانب خزانات النقود في بعض مطاعم المملكة الدنيا لجلب الثروة والفخر.

"حسنًا، حسنًا، ماذا لدينا هنا؟ يصنعون الورق حتى"، تمتم چايهوا، والتقط إحدى الأوراق المتناثرة على الأرض المغبرة. "من ماذا صنعوها؟ هل دقُّوا الخشب بمطرقة أو شيء من هذا القبيل؟" كانت الورقة ترفرف وتصدر حفيفًا مكتومًا. من الواضح أنها كانت من طينة مختلفة عن جسد چايهوا الطري، الذي كان إطاره الخارجي مشوِّشًا. كانت الورقة فاسدة تمامًا. كانت غافلة عن ذكائها وتشابها مع محيطها.

مكتبة

t.me/soramnqraa

حاول چايهوا أن يمتصّ الورق لكنه جَعَدَهَا ومزَّقَهَا عندما لم تتزحزح من مكانها. رفضت الاندماج بغضّ النظر عن القسوة التي واجهتها. وكأنها تعلن أنها تفضّل الهلاك الوشيك على أن تفقد شخصيتها.

لم يلاحظني چايهوا إلا بعد أن سقطت عدّة قصاصات من الورق عند قدمي.

"نابان..." هنيهة صمت، ثم أضاف چايهوا: "المعلم نابان".

سألته: "مَنْ أعطاك الإذن بالمجيء إلى هنا؟".

تسمّر الأطفال الذين كانوا ينظّفون في الجوار في أماكنهم. لوّح چايهوا للأطفال بالابتعاد، وتراجع لإلقاء نظرة أفضل عليّ. كان عليه أن يتراجع بضع خطوات لأنه كان ضخماً جدًّا. انحنى.

"مضى وقت طويل يا معلم. سمعت أنك عدت إلى أصولك، ووصلت إلى التنوير الروحي".

كم من الوقت قد رحلت؟ شعرت أن كل شيء غير مألوف. لا، الكون لم يتغيّر... أنا تغيّرتُ. لأنني كنت مختلفًا، رأيت كل شيء مختلفًا. فسّرت كل كلمة بشكل مختلف.

"هذا مجالي. لماذا يعطّل أتباع مدرسة المتعة مجال مدرسة الزهد الصادق؟".

"آه، لا بُدَّ أنك لست على دراية بالإيديولوجية الحالية بعد. أعاد المعلم توشيتا تنظيم الإدارة، ووحد جميع المدارس. تقع مدرسة المتعة الآن تحت تلك المظلة أيضًا".

استحضر چايهوا بطاقة عمل من بين أطراف أصابعه، ودفعها نحوي. دون أن أتحرّك، أخرجت مجسًّا يشبه الخيط من خاصرتي، وانتزعت البطاقة وأدخلتها جسدي. بدا چايهوا متفاجئًا، ثم نفذ الغبار عن يديه كما لو أن فقدان بطاقة عمل واحدة أمر مؤسف.

"أنت أيها المعلم وحدثت الجحيم وحدثت إلى الكون البدائي، لكن الفساد صمد. أفترض أن المرض كان متغلغلاً. قرر المعلم توشيتا أن الوقت قد حان لاتخاذ إجراء صارم، وأطلق عملية إعادة تربية جذرية للأطفال. أولئك المشتبه في أنهم يحملون المرض خضعوا لتدريب مكثف، واندمج أولئك الذين عُدوا ميوؤسًا منهم مع المعلم توشيتا".

صرخ الأطفال الذين كانوا لا يزالون في الغرفة بصوت واحد: "واحد، اثنان، ثلاثة!"; وانتزعوا لوحة القيادة من الجدار. تمزقت الأسلاك وكابلات الطاقة. قبل ميونجياك وجوانهوا مصيرهما بهدوء. لم يصرخا أو يحتجا. توقفا ببساطة عن العمل، كما لو أن لسان حالهما أنهما إمَّا موجودان بالكامل أو غير موجودين على الإطلاق، ما من حل وسط. وكأنهما يقولان إنهما لن يندمجا مع الآخرين إلا على جثتيهما. قال چايهوا: "كما اتضح، كان هذا المكان بؤرة فساد".

كان من الطبيعي أن يقتلع النبي توشيتا هذا المكان. لو لم يتصرف توشيتا لفعل نبي آخر ذلك. يجب أن تتفكك الأشياء الفاسدة، وترمم. لكن كل شيء بدا لي غريبًا. غير منطقي.

"تبدو مريضًا، يا معلم".

عندما مدَّ چايهوا يده، أذبت شكلي، ثم فردت جسمي قبل أن أنثره. تهربتُ بذلك من نظرة چايهوا، بمعنى مختلف للعبارة مقارنة بمفاهيم المملكة الدنيا.

"تائجي ليس فاسدًا. وحتى لو كان كذلك، يجب أن أكون أنا الحكم الذي يبتُّ في صحة ذلك".

أجاب چايهوا: "نعم. ولكن هذا بخس كبير للحقيقة. تائجي النبي المزيف للجيل القادم. وريث أمان".

انقبضت أحشائي. انتظرت. دعني فقط أنهي هذا، همستُ لجسدي. هذه الشخصية ستسقط قريبًا. عندما تسقط، يمكنك أن تفعل ما يحلو لك. من فضلك، أعطني المزيد من الوقت.

"كان تانجاي يجتذب الأطفال الفاسدين، ويخفيهم، ويعيدهم إلى المملكة الدنيا. كان يجب أن نشك في تانجاي منذ اللحظة التي حاول فيها نقل معرفة مملكة الظلام إلى المملكة الدنيا. فضّل الوغد المملكة الدنيا طيلة الوقت."

أدرت عيني لأعلى. ليس بالطريقة المعتادة. فردت العشرات من شرائح اللحم الطويلة، والرفيعة، والناعمة من ظهري، وأنبتُ مقلّة عَيْنِ دَوَّارة فوق كل شريحة. جفل چايهوا. باستخدام مجسّاتي، بحثت داخل لوحة الدائرة الكهربائية، وانزلت على طول فتحة التهوية. فحصت الأطفال أثناء عملهم، وانزلت داخل صناديق معبأة.

ربما اعتقد چايهوا أنني كنت أستعرض احتجاجي على نحوٍ عمليٍّ، لكنني لم أفعل ذلك. عادة، على الأقل في منزل أحد أطفالي، كان يجب أن أكون قادرًا على رؤية كل شيء دون أن أرفع جسدي أو أنمي مُقلّ العيون. لكنني لم أستطع الرؤية بدون عيون. على الأقل لم أعتقد أنني أستطيع ذلك.

حددتُ مكان الملجأ. كان محميًا بطبقات متعددة من الأمان، ويحتوي على عشرات الأطفال. كان هناك نظام سارٍ بالفعل حيث يوجد عشرون ناقل تلقائي قيد العمل. ساعد الأطفال بعضهم على الاستلقاء داخل أحد النواقل، والهروب إلى المملكة الدنيا. لا بُدَّ أن تانجاي قد أخفى الأطفال أولًا عندما داهمت فرقة البحث البارجة الفضائية.

كان تانجاي في مكان قريب. كان محبوبًا داخل صندوق معدني صغير في مستودعٍ فارغ. الصندوق ليس به فتحات أو نوافذ للتنفس.

لا يعني ذلك أن تانجاي سيموت في مثل هذا الصندوق. لن يموت، لكن...

مع أن الجزء الداخلي من الصندوق لم يكن مختلفًا عن الخارج - لا ينبغي أن يكون البقاء بداخله أصعب أو أكثر إيلاّمًا، ولم يكن هناك شيء لا يستطيع تانجاي رؤيته أو فعله بسبب كونه مقيّدًا - فقد جعلني أشعر بالغيثان. شعرت كما لو أن تانجاي تعرّض للظلم.

قال چايهوا متابعًا نظراتي: "استخدمت مادّةً من صنع تانجاي في بناء الصندوق. قدمت ذلك المعروف إليه. يمكنه الخروج بمجرد أن يدرك أن الجدار جزء منه. حتى الأطفال الصغار يمكنهم فعل ذلك. تانجاي كبير في العمر بما يكفي، ألا يمكنه القيام بشيء بهذه البساطة؟".

"يجب ألا نربط تانجاي بمملكة الظلام؛ قد تتوقّف المملكة الدنيا عن التّقدّم، أو تتراجع بضعة عقود".

"إدّا؟" سأل چايهوا وهو ينظر إليّ باستفسار. ليس من باب السخرية ولكن بفضول حقيقي. "هذا في حدّ ذاته تعلّم. هل تقصد أن تقول، أيّها المعلم، إن هناك معنى فقط في نمو المملكة الدنيا؟! يمكن تدمير النظام البيئي بأكمله ومع ذلك سنستمر في التعلّم، أليس كذلك؟ درس بعينه ليس أسمى من غيره".

كل كلمة فيما قاله كانت صحيحة. لكنها بدت بغیضة. جنونية. لم أستطع أن أكون متأكّدًا كيف ستترأى لي هذه الكلمات بعد لحظات قليلة من الآن. حتى إنني قد أمسك چايهوا من حنجرته، وأوبّخه لغزل الأكاذيب.

بدلًا من ذلك قلت: "تانجاي طفلي. بعبارة أخرى، هو أنا. هذا المكان مجالي وجسدي. عدتُ الآن وسأعتني به بنفسي".

"أنا طفلك أيضًا. جسد والدي؛ المعلم فوكسي، كان سابقًا أنت أيضًا. كلنا آباء وأبناء بعضنا بعضًا".

"أنت عشيرتي لكن من بعيد".

قال چايهوا وهو يقرع بيده أسفل بطنه: "هذا قاسٍ. لكنك تعلم أننا كنا مقربين ذات مرة".

نظرت إليه.

"لا تقل لي إنك ما زلت مستاءً مما حدث".

في إحدى نسخ حياتي، كان چايهوا مدير الميتم الذي كنت فيه. كان يتلقى تمويلًا حكوميًا من أجل كل طفل يتيم. كان الناس في نظره مألًا. أحضر أطفالًا من ملاجئ الأطفال المفقودين وأحرق دفاترهم أو أي أوراق تحتوي على أرقام هواتف منزلهم. في بعض الأحيان كان يطرد الآباء الذين تمكنوا من تعقب الميتم. كان يضرب الأطفال حتى ينسوا عناوينهم. لأنني تذكّرت كل شيء تقريبًا عن والديّ ومنزلي، تعرّضت للضرب يوميًا. أحيانًا كنت أتلقى الضرب نيابة عن الأطفال الآخرين. معظم الأيتام الذين عانوا معي كانوا أبنائي، أتباعي في مملكة الظلام. "لكنك تحب هذه النوعية من الحياة، أليس كذلك يا معلم؟".

كنت صامتًا. تذكّرت حياةً أبرحني هذا الطفل فيها ضربًا ليلة بعد ليلة. انقضّ عليّ بشراسة كلما كان ثملًا.

"من أجل التعلّم في الحياة، يجب على أحدهم إنشاء كارما سيئة. هذه تضحية أيضًا، بطريقة ما؛ إذ تتخلّى عن تعلّمك من أجل الآخرين".

تفكر

"أعلم أن فوكسي أرسلك".

"حقًا؟".

"فوكسي يريد أن يعلمني درسًا. إذًا، ماذا تريد أن تخبرني؟".

"الآن بعد أن جمعت ذاتك بالكامل، يمكنك رؤية حقائق جديدة. ما الذي تعلمته من خلال نسخ الحياة الكثيرة التي عشتها؟".

"ماذا تحاول أن تقول؟".

"يا معلم، أسأليك شجعت فسادك، وفساد أطفالك. أنت لست مختلفًا عن المعلم أمان".

كان بإمكانني رؤية فوكسي خلف ظهر چايهوا. هذا الكيان أمامي جزء من فوكسي. مجددًا فصل النبي جزءًا من جسده، وأرسله في طريقي. لأغراض نبيلة من وجهة نظره.

"الفقر، التعاسة، الحرمان، الإساءة، حياة خالية من الحب، كل هذه الأشياء تعزلك عن الآخرين. تُفسدك روحياً. تجعلك تنسى أنك والكون متماثلان".

عندما لم أعطِ أي ردٍّ، تابع چايهوا: "ينتهي بك الأمر إلى الاهتمام برفاهيتك ولا شيء غير ذلك".

تذكرت قول أمان ذات مرة:

- يحقُّ لأهل المملكة الدنيا أن يكونوا سعداء. هم ليسوا نحن. هم كيانات مستقلة. ليس لدينا الحق في نسج أقدارهم وتشكيل حياتهم لتناسب احتياجاتنا.

هل كنت حقًا أقارن بهذا الطفل الذي كانت آراؤه معارضةً لآرائي؟ ألا يوجد فرق بيننا حقًا؟ كيف كان ذلك مُمكنًا؟ سعيت إلى تعليم تلاميذي أن المملكة الدنيا مجرد وهم. لكن هل لم يؤدِّ ذلك إلَّا إلى إذكاء هوسي بالمملكة الدنيا كما يقول؟ وسرَّع من انقسامي؟ كيف حاولت أن أفكر، لكن لم يُجدِ ذلك نفعًا. لم أتمكَّن من التَّواصل مع

جسدي الحالي على الرغم من ارتباطي به، ولم يكن لديّ طريقة لقراءة عقول الآخرين، ناهيك بعقلي.

سأل چايهوا: "ما الذي تعلّمته في هذه الحياة التي قضيتها معي؟ هل فكّرت، 'أوه، إرادة عظيمة لا أستطيع فهمها تلك التي جعلتني أعيش هذه الحياة' أم 'اخترت هذه الحياة لنفسني'؟ هل كنت سعيدًا لأن الحياة علّمتك دروسًا؟ ها، كما لو! كنتُ يا معلمي العزيز، مجرد طفل صغير، يبكي من الألم طيلة الوقت".

كان چايهوا على حق. لكن الاعتراف بهذه الحقيقة جعلني أضحك باستهزاء. رغم ذكاء چايهوا في اكتشاف التشابه بيني وبين أطفالي، كان الأحمق أعمى عن التشابه بينه هو نفسه وبينني. كيف يمكن للفساد أن يلبّخ زاوية واحدة فقط في حين كنّا جميعًا متّصلين؟ كيف يمكن أن يظل الكون نظيفًا في حين كنتُ فاسدًا؟".

قلت في حين أتقدّم تجاه چايهوا: "تضحية كما تقول...". وضعت يدي على إصبع سمينه حجمها عشرة أضعاف حجم يدي. لو كنّا في المملكة الدنيا، فإن مثل هذا الاختلاف الهائل في الكم المادي كان سيسمح لچايهوا بسحق يدي تمامًا بضغطة واحدة، لكن هنا، كان جسدي أكبر بكثير ممّا تراه العين.

"إنها حقًا تضحية. تضحية أعظم ممّا تتخيّلها".

شعر چايهوا بما كنت أفكّر فيه. أحسّ به ولم يصدّقه. لأن قراره لم يكن قرارًا يتّخذه نبئ. لكنني احتضنت الجحيم بداخلي. لم يكن هناك شيء لا أستطيع فعله.

ضغطت عليه: "كلما زاد الألم الذي تُسبّبه للآخرين؛ زاد التعاطف الذي تخسره. تنسى أن الآخر مثلك. كم أصبحت منفصلًا، فقط بفعل رغبتك الصغيرة في أن تعلّمني درسًا. كم بقي من جسمك؟ ما مقدار المجال الذي يمكنك التحكم فيه؟".

شعرت بخوف چايهوا في يدي. كان چايهوا ضئيلاً. عرفت ذلك فقط من مجرد الإمساك به. يمكنه استدعاء كل قطعة أخيرة من ذاته، وسيكون هذا الجسم هو كل ما يمكنه حشده. لكنه كان ثمناً باهظاً للغاية حتى يدفعه مقابل حياة واحدة فقط من المتعة.

زادت كثافة جسدي وأصبح الهواء المحيط بنا ضبابياً. تقاربت جزيئاتي الغازية وتصادمت. أنتجت الجسيمات المتصادمة شرارات من الكهرباء، أدت إلى تسخين الجسيمات وتمددتها مؤقتاً حتى بلغت ذروتها في تصدع مُدوّ. غمر وميض الضوء خلفي جسد چايهوا في الظل.

قال جيهوا بصوت مخنوق: "يا معلم، لماذا تفعل هذا بي؟ دراساتي لم تنته...".

انهرت بعد انتهائي من التهام چايهوا.

امتدّ جسدي من تلقاء نفسه. امتصت وابتلعت كل ما وقع في مرمى بصري. التهمت الأطفال الذين كانوا يحملون لوحة الدائرة الكهربائية. جاء إليّ طفل كان يلصق بطاقات على صناديق الأدلة خارج السفينة وهو يئنُّ. أكلت الطحلب الذي ينمو على لوحة الدوائر والنباتات الزاحفة المتسلقة الجدران. حفرت الأرض التي دُفنت فيها السفينة. حشيت حفنات من التراب في حلقي، وامتصت النسخ من جذور الشجرة. كل ذلك بدون إقناع أو محادثة. صرخت الأشياء التي حشرتها في جسدي في ذعر وارتيابك.

لم أستطع التوقف. كل شيء له مذاق لذيذ.

فكّرت: يجب أن أنقذ تانجاي. في الوقت نفسه تساءلت، لماذا يجب عليّ ذلك؟ كان تانجاي في سجنه يتعلّم ببساطة. صحيح، قد

يستغرق الأمر منه ألف سنة للخروج، ولكن ماذا عن ذلك؟ ستنقضي
ألف سنة في غمضة عين...

هَزَزْتُ رَأْسِي.

يجب أن أنقذه.

دُبْتُ فِي الْأَرْضِ. زحفت مثل الماء، وتجسدتُ بالقرب من صندوق
تانجاي. مع عدم وجود قوة بداخلي للمشي، فَنُتُّ جَسَدِي هَنِهَةً،
وأعدت تجميعه أمام الصندوق مباشرة. بدا الصندوق المعدني كما
لو كان مصبوبًا في قالب واحد، ولم يظهر أي أثر لِلصَّقِ أو تثبيت
جدرانه معًا. بعد أن أدركت أنه من المستحيل إخراج تانجاي من
الصندوق، امتصتُ الصندوق بِرُمَّتِهِ. كان شيئًا صغيرًا وعنيدًا، وكان
طعمه بشعًا. كنت قد هضمت بسهولة چايهوا وكل هؤلاء الأطفال،
ولكن الآن ارتفعت الصفراء في حلقي.

رقد تانجاي، مغطيًا رأسه بذراعيه. بالكاد تعرَّفْتُ عليه، رغم أنه
لم يكن محبوبًا مدة طويلة. رمادي الوجه وأشيب الشَّعر، كان تانجاي
مبَلَّلًا لأن جزءًا من جسمه قد تحوَّلَ إل سائل.

سألت: "هل أنت بخير؟".

قال تانجاي، وهو يرتجف: "ما الذي أحرَّك؟ بالطبع، لا بُدَّ أنك
كنت مشغولًا مع وجود الكثير من الأشياء التي يجب عليك الاهتمام
بها".

اهتزَّ جَسَدِي. تحوَّلتُ إلى غازٍ مُدَّةً وجيزة قبل أن أنتفض مستيقظًا
وأعيد جَسَدِي إلى حالة صلبة.

"لا يمكنك حتى أن تبدأ في تخيُّل هذا الشعور يا معلم. عشت
نسخًا عديدة من الحياة، ولكن كلُّما تعود إلى هنا تلقيها وراء ظهرك
وكانها لا شيء. تقول شيئًا على غرار 'ها، ها، ها، المملكة الدنيا هي

نفسها دائماً ولا تتغير أبداً... أنت تسأل ما الصعب في المشي عبر جدار؟!، تمتم تانجاي ببعض الكلمات البذيئة المختارة من المملكة الدنيا. شتم أمي وأجدادي، رغم أنه لم يكن واضحاً لي لمن يشير بالتحديد.

"ليس لديك أي فكرة عن ماهية هذا يا معلم. أنت لا تعرف الأمل... لذلك أنت فقط تستمتع به".

أجبهته بحزن: "أعتقد ذلك. اذهب يا تانجاي وابحث عن معلم آخر. لم أكن المعلم المناسب لك".

تلاشى صوت تانجاي الدامع. تحوّلت بؤرة رؤيتي إلى مكان آخر. انتقلت حواسي إلى أطراف الغلاف الجوي المحيط بالكويكب. كان بإمكانني أن أشعر بالكويكب الصغير يحوم في قلب جسدي في حالته الغازية بالأسفل. حدّقتُ في القطعة المتناهية الصغر من نفسي على متن سفينة الفضاء فوق ذلك الكويكب. كنت أتساءل عمّا كنت أفعله هناك عندما استعدت إدراكي فجأة.

كنت نابان مرة أخرى، جالساً أمام تانجاي في هيئة إنسان صغير. شعرت أنني لن أتمكّن من الحفاظ على هذه الشخصية مدة طويلة جداً. لم أستطع أن أحزر ما الذي سأنحطُ إليه، أو ما هو الغرض الذي سأخدمه، بعد التهامي چايهوا، وأطفال مدرسة المتعة. أحزنتني التفكير في أن شخصيتي ستختفي. كنت أعلم أن ذلك من أعراض الفساد لكنني لم أستطع مساعدة ذاتي.

ناشد تانجاي: "من فضلك اقتلني".

"لا يوجد موت".

"إذن دعني أهلك".

"هذا غير ممكن".

ساورني شعور بأن هذه ستكون آخرَ محاضرة سألقِيها على تانجاي، ولن أتمكن من النفاذ إلى الطفل بعد الآن.. رَبَّتْ على كتفه. صفح يدي بعيدًا وكأنها قذرة.

"سوف أساعدك على التناسخ. سوف تنسى كل شيء عندما تهبط إلى المملكة الدنيا".

"لا أستطيع، ليس أنا. حتى لو عشت، سينتهي الأمر بي ميتًا على أي حال. وعندما أموت، سأتذكر كل شيء مرة أخرى. لا أستطيع تحمُّل ذلك. انتهت روحي. لا شيء يختفي. الذاكرة أبدية وكذلك الحياة".

"سوف تنسى. ثق بي".

"لا أستطيع!" مدَّ تانجاي يده. "من فضلك اندمج معي".

أطبقت فكِّي.

"خُذني. عندئذ لن أموت، ولن أكون مضطراً لأكون ذاتي مرة أخرى. أنت، أيها المعلم، ستكون على ما يرام مع ذكرياتي. يمكنك قبولها ونسيانها. أنا لا أستطيع لكنك تستطيع".

لم أقل شيئاً. اعتقد هذا الطفل أنه سيختفي إن اندمج معي. أنه سيفقد إحساسه، ويصبح ذراعي أو ساقِي أو ملحَقاً آخر بجسدي...

أفسحت أفكارِي الطريق للضحك. ألم أندب أيضاً موت وجودي قبل لحظات؟ نابان، أنت لم تَعُد معلِّماً. لا يمكنك أن تتوقع تعليم أي شخص بعد الآن.

ماذا تنتظر؟ سمعت نفسي أهمس من الجانب الآخر من الغلاف الجوي.

ستكون مكتملاً فقط عندما تندمج معه.

يجب أن أجنُب هذا الطفل الهلاك.

كنت مُمزَّقًا بين الفكرتين.

لتأكله وتصبح كاملاً مرة أخرى.

لن أفعل.

هل تخشى من أن يُلوِّثك أكل الطفل الفاسد؟ ليس لديك ما يدعو للقلق، ليس وقد أكلت الكثير بالفعل. يمكنك هضمه بسهولة.

لا.

بالطبع لا.

كان تانجاي طفلي. في نسخ من الحياة لا أستطيع إحصاءها، كنتُ أمه، وأباه، وصديقه، ومعلمه. أحيانًا كنت ابنه، ابنته، المتسول الذي طرقت بابه في يوم بارد، الطفل الرث الثياب الذي طلب مساعدته في الشارع. عندما رجعت إلى مملكة الظلام، كنت أوبَّخ تانجاي لكونه "عاقًا" أو "لإغلاقه الباب في وجهي" وهكذا، مستمتعًا تمامًا بتعبير الخجل على وجهه. لهذا لم أستطع حمل نفسي على تدمير هذا الطفل.

ذاتي كلها كانت حائرة بشأني. ذلك ليس مُبرَّرًا.

لم تكن لديَّ القدرة أو الرغبة في التوضيح. هو لن يستطيع الفهم. وقریبًا لن أستطيع أنا أيضًا. الفكرة أحزنتني.

وضعت يدي على يد تانجاي. تشبَّث الطفل بها بقوة وكأنها أمله الوحيد. كما لو كان يرغب مني أن أبتلعه بسرعة. غمرتني رائحة حلوة. كان عليَّ أن أقاوم إلحاح التهام تانجاي. لم يكن جسدي الحالي أفضل من سربٍ من الأشباح الجائعة. قاومت. هذا الإغراء الذي شعرت به لم يكن نابعًا مني. لم يكن هذا أنا.

"ومع ذلك، لا شيء ينتهي. لا شيء يهلك. فقط نفسيرنا يتغير." كان هذا تعليمي الأخير. درس غدوت أكفر به. قلت: "ابق."

"من أجل ماذا؟".

"يجب أن تخلفني. يمكنك أن تأخذ اسم نابان إن كنت بحاجة إليه".

تانجاي، أخيراً في تلك اللحظة، بدا وكأنه يهرب من نفسه. تعرّف على حالتي، رغم أنه كان يعاني من ألم عميق. من قال إن هذا الطفل كان فاسداً؟

سأل تانجاي: "هل أنت مريض؟".

"ابنّ، وساعدُ الأطفال الذين ضلُّوا طريقهم. يجب أن تكون هذه أيديولوجيتك...". كنت أنوي الاستمرار، لكن أُجبرت على الخروج من جسدي. مرّةً أخرى أصبحتُ جزيئات الغلاف الجوي التي تدور حول الكويكب الذي دفنت فيه سفينة فضاء تانجاي. الآن تساءلت لماذا واصلت إجراء محادثة عقيمة مع مخلوق وضع داخل جسدي. يجب أن أبتلعه فحسب، وأغادر...

أمسك تانجاي بذراعي وسحبها. رجعت عائداً إلى الكويكب وجثوث على ركبتني. ساعدني تانجاي على النهوض.

سأل الطفل: "ماذا أكلت؟".

"الجحيم". لم تكن هذه استعارة. "سأختفي مع أمان. لم أخبر أحداً، لكنني كنت أعاني من مرض. حاولت العودة إلى شكلي الأصلي لإيقاف فسادي. لم يحدث شيء كما توقّعت. لا أعرف ماذا سيحدث الآن".

محيطنا صار بارداً بينما أتحدث. كان الفساد يلتهم الكون. ماذا في ذلك؟ الجدار أشفق علي. البارجة الحربية بأكملها ضحكت باستهزاء. هزّ تانجاي رأسه.

"لا شيء يختفي. الاعتقاد بأنك يمكن أن تختفي لهو فساد في حدّ ذاته".

كان الأمر كما لو أن برقاً ضرب مكاناً ما في قلبي.

تابع تانجاي: "ليس هناك إثم ولا آثم. يوجد تعلّم فقط. لا يجب أن يختفي أي كيان. الخطأ الوحيد في الكون يكمن في تدمير التوازن. تجاهل قانون حفظ الكتلة. نسيان أن للكون كتلة كلية ثابتة، ومحاولة محو جزء منها".

حدّقتُ في تانجاي، مذهولًا. كنت أعلم أن الطفل كان ينطق بتعاليمي دون فهمها، خائفًا من أن أختفي. لكن تانجاي كان دائمًا لديه نوع من الرؤى التي لا يمكن أن تأتي إلا من عدم الفهم. لم تكن بعض الرؤى معروفة إلا للأطفال الرُّضّع أو الأطفال الصغار، الذين يفتقرون إلى الحكمة والمعرفة.

آه، كان ذلك عندما علمت. آه، فات الأوان. آه، الفاسدون لا يعرفون بفسادهم.

آه، تعلّمت درسًا ولكن سرعان ما سأفقدّه. ذاتي بالكامل ستلتهم وتلغي كل ما تعلمته، وتزيل أي تفاوت في الكثافة. كم كانت ذاتي الكاملة حمقاء. وأنا منقسم، كنت قطعة معمارية، عملاً فنيًا، لكن إن وُزعت كثفتي بالتساوي، فسوف أتحوّل إلى مجرد لطخات من الغبار، كومة من الأرض. سأكون بلا قيمة.

قال تانجاي: "الاندماج مع هذا النوع من العقلية لن يؤدي إلا إلى تفاقم الفساد. توقف، أرجوك. ارجع إلى ذاتك القديمة".

كان عليّ أن أعترف أن هذا الطفل كان أكثر حكمة مني الآن. لا، أصغر الأطفال سيكون أكثر حكمة مني الآن. وكذلك الحال مع أدنى المخلوقات المولودة على الأرض دون ذرة معرفة.

سحبت تانجاي في عناق قوي.

ثم ناورت بدقّة جزيئاتي التي تحوّلت إلى غازٍ وراحت تحوم حول سفينة الفضاء. مرّقتُ النباتات الزاحفة العالقة بجدران السفينة،

وأعدتُ توصيل الأسلاك الكهربائية، وجمعت المكونات المحطمة معًا. بالنسبة للأجزاء التالفة بشكل دائم، أنقذت إطار السفينة وزودته بأجزاء جديدة مصبوبة من جسدي. لَحَمَتها وركبتها. كان الجزء الداخلي من السفينة باهرًا بضوء ذهبي حيث اتَّحدت الجزيئات وانقسمت.

شعرت بتوترٍ جسد تانجاي بين ذراعي. ستكون هذه المرة الأخيرة التي أرى فيها الطفل يبدو مصدومًا جدًّا من استعراض الصغير. ضحكت رغماً عني.

"غادر هذا المكان..." قلت بعد أن انتهيت من استعادة سفينة الفضاء، وحتى صقلها إلى كمال متلائئ. "اهرب من الأنبياء. ومُنِي. أنت، يا طفلي، ستجد طريقًا يتجاوز أكثر أحلامك جموحًا. اذهب وبشَّر بتعاليمك".

"... معلِّمي؟"

تساءلت لماذا كنت لا أزال أتحدث مع هذا الكائن الصغير والتافه داخل جسدي. لا أحتاج إلى إزعاج نفسي مع مثل هذا المخلوق. كلُّ من السفينة الفضائية والكويكب الذي توجد السفينة فوقه، مجرد دَرَّات من الغبار.

"... معلِّمي؟"، سمعت صوتًا يصرخ بيأس من بعيد. فكَّرتُ في أكل المخلوق، لكن كان لديَّ شعور غريب أنه سيكون غير قابل للهضم، وتجاهلت الفكرة.

ثم فكَّرتُ في مَنْ أكون.

أحد كياناتي السابقة خطر ببالي. نبي اسمه نابان.

خطر ببالي أن نابان قد قرَّر الاندماج مع أمان ليعود إلى الذات التي كانت موجودة قبل أن تنقسم إلى نبيين. الآن بعد أن تجاوزت

نابان، كان من الواضح لي مدى هوس النبي بذاته. لدرجة أنه كان مهووسًا بالعودة إلى شكله الأصلي، إيساتا.

فكرة خرقاء. ابتسمت ونظرت إلى الكون كله على أنه ذاتي بالكامل.

كان الكون كائنًا شبيهًا بالإسفنج تتشابك خلاياه. يتحرك ويتقلب باستمرار. اسحب وترًا واحدًا وسيتحرك الكون برُمَّته في هذا الاتجاه، مهما كانت تلك الحركة دقيقة. كانت الأسباب والتأثيرات مرتبطة بشكل معقد لدرجة أنه لا يمكن للمرء أن يتنبأ بما سيظهر ويبرز في كل لحظة. كان الكل على قيد الحياة، ويتحوّل إلى أشكال جديدة أينما نظر المرء.

وجّهتُ نظرتي إلى المملكة الدنيا، ورأيت الأرض الزرقاء في وسطها. كانت الأرض كما تُرى في حيزٍ رباعي الأبعاد، عبارة عن كرة من خيوط غائمة وملونة تعجُّ بالحياة، تتشابك وتنفكُّ دون توقُّف. حاول أن تراها وستغيّر شكلها، حاول الإمساك بها وستنزلق بعيدًا. جميع الخيوط متصلة ببعضها، ومتصلة بمملكة الظلام. كيان ذو كثافة عالية وتذبذبات ضخمة بشكل خاص، أُطلق عليه، لعدم وجود مسمّى أفضل، "شخصية". لكن بالنظر إليه ككل، كانت الحدود بين الكيانات غير واضحة.

نظرت إلى شخصية نابان وابتسمت بسخرية. ما مدى ارتباطه بالمملكة الدنيا. كان مرتبطًا جدًا بها في الواقع، لدرجة أنه استغرق في التأمّل ومارس الزهد في المملكة الدنيا لإقناع نفسه بطبيعتها الوهمية. ومن المفارقات أن محاولاته لم تؤدِّ إلا إلى تعميق ارتباطه بها. لم يكن من قبيل المصادفة أن نابان قد "ولد" أمان وتانجاي.

كان ما يسمّى بالانقسام والاندماج مجرد وهم. كانت مجرد مسألة كثافة متفاوتة أو متكافئة. كلنا كُنّا متصلين، حتى الآن. كل أم

عائنا منه في الحياة، كل لحظة قُضيناها في الضحك، والغضب، والبكاء،
والبهجة لم تكن شيئاً بمجرد تغلُّبنا عليها.

ومع ذلك، فإن جزءاً قديماً مني جعل من الاندماج مَهْمَّتَه، مخاطراً
بفردانيته. في حين أن تلك المهمة لم تكن استثنائية، فقد داعبتني فكرة
إكمالها من أجل ذلك الجزء القديم مني، تكريماً لوفاة شخصية.

بحثت عن كل أولئك الموجودين في المملكة الدنيا الذين يمكن
اعتبارهم شخصية من شخصيات أمان؛ أي شخص هرب. نظراً لعدم
وجود حدود واضحة بين الكيانات، فقد حدّدت تقريباً كل ما يمكن
تجميعه مرة أخرى إلى إيساتا.

خاطبت تلك المجموعة.

"أمان".

اليعسوب الذي طار بعد مدّةٍ راحةٍ قصيرة على ورقة شجر، نحلة
العسل المنهمكة في بناء خلية، النملة التي حملت للتو فتات من
الأوساخ خارج عُشِّها، الطفل الذي نام للتو، الأم التي ترضع رضيعها،
الرجل الذي يتحسّر على حظه العائر أثناء شربه الكثير من الكحول
مع أصدقائه، والمشرّد الراقد فوق صناديق من الورق المقوى في محطة
مترو أنفاق، جميعهم يصنعون الشخص نفسه. عند ندائي، دقّت
قلوبهم كقلب واحد. معظمهم لم يُعر النداء انتباهاً، لكن الأكثر ذكاءً
من بينهم استفاق مفزوعاً، بعد أن شعر بشيء يكتسح صدره، أو
توقف ونظر حوله، أو رفع بصره إلى السماء.

ناديت مرة أخرى: "أمان". تجمّدت العديد من أفكارهم. انجرف
البعض للنوم بفعل النعاس المفاجئ الذي داهمهم، وشعر البعض
بألم حادّ في صدورهم وأخذوا استراحة من العمل في ذهول.

ردّت المجموعة: "مضى زمن طويل". لكن إلى مَنْ تحدّثوا... هذا
ما لم أعرفه.

قال أمان: "تبدو في حالة مزرية"، وهو يضحك لكن ليس بصوت عالٍ.

شعرت كل شخصية من شخصيات أمان بقلبه ينبض بفرحة غريبة، وأعلن أنه سيعزم أحدهم على الغداء اليوم أو انفجر بالغناء، أو ربّت على كتف أحد الأصدقاء مع اقتراح صديقٍ بتناول المشروبات. غير مدرك المصير الذي ينتظره.

علّق أمان قائلاً: "أنت فوضى من كل شيء".

اندهشت. كيف يمكن أن تكون "ذات كاملة" بهذه الفظاظ؟

"أوه، مرحبًا أيها الجحيم والأشياء الميته التي لا حصر لها فيه. مرحبًا يا نابان وأتباع نابان الكثيرين. لماذا أنتم خليط غير متطابق... وأين تانجاي؟ هل تركتموه وراءكم لأنه الأصغر؟.

يا للأسف. لم أتوقّع ما هو أقل من ذلك من نبيّ الانقسام. لم يستطع أمان رؤيتي ككيان واحد، ولكن فقط كعناصر منفصلة.

قلت: "تعال إلى هنا يا أمان. خرجت انقساماتك عن السيطرة، وكذلك انقسامات الكون برؤيته. دعنا نعود إلى ما كنا عليه من قبل".

شعرت بالحزن يتدفق من أمان، كأنني نطقت بشيء شنيع لا يرحم. يجب أن أمنح أمان هامشًا من التسامح. يؤمن كيانه بالموت ويفسر التغيير على أنه نهاية.

"أنت حزين الآن، لكن عندما تعود، ستفهم. ستكون عملية طبيعية، لا شيء غير مألوف".
شعرت بأمان يلتف حول نفسه.

"ليس لديك سبب للرفض. هذا إن كان لديك خيار الرفض".

"أنا لست قلقًا على نفسي. أنا أشعر فحسب بالأسف على نابان".

ماذا كان من المفترض أن يعني ذلك؟ لكنني لست بحاجة إلى إمعان التفكير في الموضوع. الآراء المشوهة لكيان فاسد لا تستحق اهتمامي.

زادت كثافتني، ضاغطة جسدي كما لو كانت تعتصر لحمي. خلقت مجال جاذبية معقدًا يستهدف أمان ويشدّه إليّ بطريقة هندسية مدروسة. ما تلا ذلك ربما يشبه مجرتين تتصادمان، وتنصهران في نجم واحد، أو نجمين على مقربة شديدة تنبعث منهما تموجات ساخنة بفعل القوة الصّرفة لجاذبية كلّ منهما حتى يندمجا معًا.

ارتحلت المادة ذهابًا وإيابًا. في البداية كانت الأشياء الوحيدة التي أتت هي الجزيئات الطافية حول الغلاف الجوي. ثم أتت الأشياء الأكبر. كوارث صغيرة ستندلع في جميع أنحاء المملكة الدنيا الآن. كائنات حية ستواجه ميتات جماعية غامضة، والأسماك النافقة ستنجرف إلى الشواطئ، والطيور ستساقط من السماء. حدث كل شيء في لحظة عابرة بالنسبة لي، لكن الأمر سيستغرق عقودًا ليتحقق تدريجيًا في المملكة الدنيا.

حزن أمان على كل وفاة. كأنما يقول إن كل حياة كانت مميزة. وكل شخصية فريدة من نوعها، وأنه ليس لدي الحق في التحكم بمصير كل تلك الأرواح.

قلت لأمان: "الموت وهم. لا تَرث الموتى".

"لكن في الحقيقة لا يسعني إلا أن أرتي...". بدأ أمان في الحديث. في تلك اللحظة، فاجأني أمان بصفته البشرية. شعرت بعيونه الحزينة تخترقني. أنهى كلامه: "... موت نابان".

موت نابان.

يا له من شيء غريب ليقوله.

ما كان للموت وجود. بالطبع شخصيات أمان ونابان لن يتجسدا مرة أخرى أبدًا... لكن ما كان ذلك موتًا. ذكرياتهم ستواصل العيش في داخلي، أبدية مثل الكون نفسه. نابان لا يمكن أن يموت... حتى لو مات، ما الذي يستدعي الحزن عليه؟

لكن لا يمكن إغفال أن أمان طالما رفض الاندماج، وقسّم نفسه على مدى دهور. كان قوة لا يُستهان بها. كان عليّ أن أبقى يقظًا حتى أنتهي من امتصاص شخصية أمان تمامًا، أو بمعنى أدق: حتى أحقق توازنًا مثاليًا. إن كانت لديّ الرغبة في إيقاف الاندماج في أي وقت، فستكون تلك في الواقع رغبة أمان بداخلي. يجب ألا يُغريني ذلك. يجب أن أنتصر.

ظللت أُجذب.

غمرتني الأفكار والخلاصات. تدفقت الذكريات. تسرّبت نسخٌ لا حصر لها من الحياة إلى جسدي. شربتها باستلذاذ مثل مخلوق يتلقّى الغذاء من خلال أغشية.

كانت جميعها بيانات وأصولاً قيمة. الكم المفرط في المعلومات من شأنه أن يربك أي كيان صغير الجسم، لكن ليس أنا. كل جزيء جديد أضاف إلى عَظْمَتِي. كنتُ إيساتا، إحدى الذوات الأوائل. آه، كم اشتقت لوطني، كَلِّي المكتمل. مجموع الحقائق. الروح النبيلة التي قدّمت تضحية تقسيم ذاتها في سالف الأزمان من أجل التعلّم والنمو. فكرت: بمجرد ضمّي أمان، يجب أن أجمع الأصدقاء الآخرين أيضًا. يجب أن نصبح كيانًا كاملًا مرة أخرى، ونقيّم ما وصلنا إليه، ثم نقسم مرة أخرى. سيكون من المفيد دمج كل ما تعلّمناه حتى الآن على أية حال.

ثم تساءلت لماذا لم تخطر ببالي هذه الفكرة من قبل.

ذكرى حياة سابقة لي مع أمان في المملكة الدنيا سرت في ذهني.

تدفّق ضوء الشمس من خلال النافذة. استلقى أمان فوق الفراش أسفلها، ونظر إليّ. الماء يغلي داخل غلاية نحاسية تهتز بقرقعة. عندما مرض أمان، وأصبح عاجزًا حتى عن أن يأكل. بدأت في تحضير الشاي له كل يوم. بحثت عن النباتات والزهور. صنعت جرعات من ماء زهور البقدونس، والأستر، والهندباء، والبابونج.

صابت الماء على الهندباء المجفّفة والمسحوقة. لظالما شاهدني أمان أعمل من مرقدته بجوار النافذة.

عاش أمان في كل مكان حول العالم. انقسام تلو انقسام، اختار أن يعيش كأصغر وأضعف الكائنات. أصبح نباتًا مائيًا ينجرف في نهر هادئ. ذبابًا يحوم حول كيس قمامة يستند على عمود مرافق. قطعة ضالّة تلتفّ حول أطفالها القطط المولودين للتوّ أسفل سيارة مغطّاة بالثلوج. طائرًا يكافح في مزارب شارع لدفع أجنحته خارج بيضة

كسرت أمه نصفها حتى تفتح له شقًا يخرج منه إلى رحابة الحياة.
كان جنيًا في أرحام أمهات أصغر من أن تربِّي طفلًا، وُلِدَ في الشوارع أو
في غرف الملاجئ القذرة. كان طفلًا رضيعًا محرومًا من اللبن، أو طفلًا
يحتضن أولئك الرُّضَع وهم يتوسَّلون للحصول على الطعام.
لم تَدُم أي حياة منها مدة طويلة. لا أحد منهم عاش باستهتار.
عندئذ استيقظ نابان. واستيقظت أنا.

نابان، بل أنا، حدِّقتُ بنظرة فارغة في محيطي كما لو كنتُ مُنومًا
مغناطيسيًا. فقط الآن أنا... لا، لم يكن هذا أنا. لم أستطع تحمُّل تسمية
هذا الشيء بـ"أنا". تذكَّرتُ تأملاته "هو"... إيساتا... الكيان الكامل
الذي أنتمي إليه.

ما الذي كنت أفكر فيه؟ سعيت إلى طمس كل أشكال الحياة ما
عدا حياتي من هذا الكون! ما هذا الوهم الشيطاني؟ تجرَّأت على
إزهاق أرواح لم تكن ملكي لأزهبها. لو لم يرغب أحدٌ في الموت، ما هو
الحق الذي امتلكته، وأي مبرر حتى أنهي حياتي؟
غمرني الحزن. أردت أن أبكي، وبكيت.

"XX"

ناداني أحدهم باسم غير مألوف. شقَّ طريقه عبر الزحام، وركض
نحوي، وشدَّني في عناق. شعرت بالدوار لكنني بادلتُه العناق. شدَّني
أقرب إليه، وقبَّلني على شفتي، وربَّت على رأسي.

قلت: "أمان"، وأدركت بعد لحظات أنه من غير اللباقة أن أناديه
بذلك. كان مجرد جزء من أمان. شخص كنت قد نسجت مصيره
عندما كنت عازمًا على تعليم أمان عدم جدوى الحياة. كان كلُّ منا
كل شيء في نظر الآخر حينها. كان كلُّ منا للآخر فرحة وبركة، وسببًا
للعيش. مكثنا معًا في السَّراء والضَّراء، الحياة والموت. تذكَّرتُ غلي

الشاي كل يوم من أجل أمان في اللحظات الأخيرة من حياته، عندما كان أضعف من أن يبلع أي طعام. كُنَّا سعيدين حتى عندما افترقنا. كُنَّا نعتقد أن الموت لن يفرِّق بيننا.

لكن بعد أن تركني، هبط إلى الجحيم. اعتقد أنني ذهبت إلى الجنة عندما لم يتمكّن من العثور عليّ، وقضى وقته في التساؤل عن الخطيئة التي ارتكبتها في الحياة.

أدركت أنه لا ينبغي أن أسميه "أمان" أو أراه كقطعةٍ من أمان أيضاً. كان مثاليًا وكاملًا كما هو. لم يكن أحدًا سوى نفسه، ولم يكن ملكًا لأحد.

"XX"، ناديت اسمه، واحتضنته بشدة هذه المرة. لم أفكر في مراقبة محيطي إلا بعد أن تعانقنا مدة طويلة.

كنت وسط حشد غفير. بدا كل شيء تمامًا كما كان في نسخ حياته السابقة: رُضِع، وأطفال، وكبار سنّ، وحيوانات ومخلوقات أدنى. شعرت وكأنني دخلت سفينة نوح بحجم مركبة فضائية. باستثناء هذه القطعة الصغيرة مني في شكل بشري، كان باقي جسدي عبارة عن سحابة غبار تحيط بالتجمع.

هل تجلّت صفاتي وصفات أمان بشكل مستقل؟ كنت آمل أن أرى مادتين متمزجان في سائل واحد، لكن بدلاً من ذلك، انفصلتا مثل الرمل في الماء.

كان ذلك عندما علمت أنني خسرت. لكن هزيمتي لم تكن مؤلمة. تغيّرت، وأصبحت قِيَمِي شيئًا من الماضي. لم يهم ما إذا كانت صائبة أم خاطئة، لم أعد أوّمن بها بعد الآن.

حوّلتُ سحابة غباري إلى مركبة فضائية حتى يشعر الآخرون براحة أكبر قليلاً. أجريت عملية تغيير المظهر بسهولة مستفيداً من الخبرة التي اكتسبتها من ترميم سفينة تانجاي مؤخراً.

أتضح لي أخيراً أنني قتلت كل هذه المخلوقات. قتلت نصفهم منذ زمن بعيد بتحويل نفسي إلى بشر أو حيوانات أو حشرات سامة أو آفات أو كوارث، ثم أعدتهم إلى مملكة الظلام، وشاهدتهم يعانون في الجحيم من أجل التعليم. النصف الآخر الذين ذبحتهم للتوّ لتحقيق خيالي الوهمي بالعودة إلى أصولي.

ارتجفت من الاشمئزاز.

كانت خطيئتي هائلة. كانت الكارثة التي جلبتها معي قاسية جداً. كنتُ كابوساً حياً، وحشاً. كيف يمكنني قتل هذا العدد الكبير من الأرواح دون، ذرّة ذنب؟ كل حديثي عن "التعليم" و"العودة" كان هذيان مجنون. هل يمكن أن يكون هناك عمل أكثر شراً؟ آثم أعظم؟ كانت أرواحاً نفيسة، كينونات مفعمة بالحياة.

أمسكت برأسي وبكيت. شعرت بجسدي الأشبه بالعجين يتبيّس مع كل دمعة أذرفها. ماذا كان علي أن أفعل حيال كل شيء؟

- كلُّكم تمتلكون الحق في الانتقام مني. افعلوا ما تريدون القيام به. اطلبوا أي شيء مني. سأطيع. قد يتخذ انتقامكم مسارات مختلفة لأنكم كيانات منفصلة، ولكن لا يهم. ذلك عبء عليّ أن أتحمّله.

- ليس هناك خطأ، يا نابان.

علا صوت فوق رؤوس الجماهير. رفعت ناظريّ.

- فقط اختلال في التوازن.

سرت بعض الهممة، لكن عقول الجميع كانت مرتبطة على الأقل قليلاً. آه، لا بُدَّ أن يكون هذا تأثيري. من المحتمل أن تكون الحالة التي كنت فيها نتيجة ظهور شخصية أمان.

حاولت أن أرى ما إذا كان هناك أي خطأ بي، إذا كانت هناك أية مشاكل. لكن لم أستطع أن أعرف. في حالتي الذهنية الحالية، أردتُ أن أصدق أنني كنت مفكِّكاً منذ لحظات واستعدت الآن سلامة عقلي، لكن العكس يمكن أن يكون صحيحاً تماماً.

تمتت: "أنتم على حق". وبينما كنت أتحدّث، غطى جلدٌ رقيق جسدي، وظهرت مسامٌ وبصيلات شَّعر، وانهمرت الدموع من عيني، وتصبَّب العَرَقُ على جبهتي. "فقد الكون التوازن. عندما حاولت القضاء عليك".

ربما لم يكن هناك خطأ. ربما لم يكن هناك أي شيء خاطئ أبداً. كيف يمكن أن توجد الخطيئة في عالم ليس فيه آخر؟ لا شيء موجود في مثل هذا العالم، ناهيك بالخطيئة. لا شيء له قيمة. لم يكن ثمة وجود لأعمال صالحة أو تضحيات أو فضائل أو حب أيضاً. لكن كان ثمة شيء واحد فعلته خطأ. ومع أنه كان شيئاً واحداً، إلا أنه كان بالتأكيد يستحق أن يُسمَى "خطيئة".

قلت: "بات الكون فاسداً، في اللحظة التي اعتبرتكَ فيها فاسداً يا أمان".

شخصٌ قضى حياته معي، عانقني وواساني. أردت أن أقول: تخلّ عني، أنا لا أستحقُّ مواساتك.. يجب أن يتناسب عقابي مع الألم الذي سببته لك.

حاولت أن أشرح. "الانقسام بدأ مني. صادفَ أنك ورثت طبيعتي الميَّالة للانقسام يا أمان عندما انفصلت عني؛ لذلك اتَّخذ بقيتي طبيعةً موحَّدة لتحقيق التوازن بين أجزاء نفسي، هذا كل شيء. يملأ كلُّ منَّا فجوات الآخر ببساطة. فساد الكون لم ينبع منك. بدأ في اللحظة التي وصمتك فيها بالفساد، وحاولت استبعادك منَّا جميعًا. أفسدتُ الكون، وأفسدني الكون في المقابل".

انتشرت التتمتات وسط الحشد. البعض فهمني. تذرَّم آخرون.

"عالم الموتى أكثر غرابة بكثير مما كنت أعتقد".

"هل هذا نوع من الاختبار؟".

"إذا اجتزنا الاختبار، هل تعتقد أنهم سيعطوننا منزلًا في مكان ما هنا؟".

لكن أمان "ككل" فهم وتقبَّل.

"كنتَ ضعيفًا في حين كنتُ أنا أقوى بكثير، لكنني فشلت في رؤية ذلك. ربطتك بمملكة الظلام، وهذا أخلَّ بتوازن الكون. الآن لا أحد

في المملكة الدنيا يحاول حماية الحياة. لم يبق سوى أولئك الذين يُدْمرون حياة الآخرين وحياتهم. هذا كله خطئي".

كيف بمقدور الشخص أن يتعاطف عندما يكون غير قادر على تخيل وجود الآخر؟ كيف يمكن أن يحب أو يشعر؟ كيف يمكنه التواصل دون انقسام؟ كيف يمكن أن يعزّ الحياة عندما يعرف حقائق الخلود؟ بصفتي ذاتًا كاملة، كنت كئيّ القدرة، لكنني عديم الفائدة تمامًا في الوقت نفسه. كنت بلا هفوة أو شائبة؛ وبالتالي لم أكن شيئًا. الكمال نقص.

ما كنا نملك حياة دون آخر. كانت مملكة الظلام وهمًا. فقط الحياة في المملكة الدنيا كانت حقيقية. همس أمان:
ليس هناك خطأ، يا نابان.

كان ثمة وقت لم أعتقد فيه ذلك. وقد لا أعتقد ذلك في المستقبل. لكن مهما كانت شخصيتي، سأكون متأكدًا من ثبات موقفي في كل مرة.

تمامًا كما أنك لا تستطيع فهم ذاتك السابقة، يومًا ما لن تفهم ذاتك المستقبلية ذاتك الحالية.

ابتلعت دموعي. نظرت حولي إلى الجميع.

"يمكنني أن أعيدكم جميعًا".

بينما تنتقل عيناى من وجه إلى آخر، وجوه أولئك الذين شكّلت روابط معهم، قمعت ذكريات خطاياى، والرغبة الملحة المصاحبة بقتل ذاتى، رغم أن ذلك كان مستحيلًا عمليًا.

لكن خلودي كان له جانب إيجابى؛ كانت لديّ الأبدية لإصلاح أخطائى.

غَيَّرَتْ شكل جزيئاتي كلها. تَخَيَّلْتُ ناقل تانجاي والصيغ الكيميائية والأسلاك الكهربائية بينما أُنْتَجت الملايين منها. حوَّلْتُ الغازات إلى صورة صلبة وسائلة لإنتاج مواد كيميائية حقنتها في أجسام الجميع. لم يحدث قطُّ في تاريخ الكون أن حدث تحوُّل أكثر تعقيدًا واتساعًا في مثل هذه المدة الزمنية القصيرة. استنفدت معظم جسدي في هذه العملية، ولم يتبقَّ سوى الشكل البشري الصغير.

ثم نحن، سفينة صغيرة من السحاب، انفجرنا في وسط الكون.

انقسم أمان إلى مئات وآلاف وملايين ومليارات الأجزاء. تهاطَّلت شظايا الحياة تلك فوق المملكة الدنيا. كانت جسيمات الضوء تنتشر في السماء مثل الشُّهب، كل جسيم منها يجد طريقه إلى الجسم المناسب. الجسيمات التي فشلت في العثور على جسم لها، غلَّفت الكوكب في شكل جزيئات قبل أن تتساقط على شكل أمطار واهبة للحياة.

ذاتي الثالثة

1

سقطتُ في بركةٍ من الطين.

في أثناء سقوطي، مددت يدي غريزيًا لحماية رأسي، فانغرزت الأغصان بها. لم يستطع جسدي المرور عبر الأرض أو التفكير في إزالة الصخور من أجل هبوط آمِن. ارتدَّ عندما اصطدم بشيء، وتوقَّف عندما سدَّ شيءٌ آخر طريقه. واصلت محاولة التقيؤ متناسيًا أنني لا أملك أي أعضاء. نسيت أيضًا أنني لا أحتاج إلى التنفس، ولهثت بحثًا عن هواء نقي.

فتحت عيني، ونظرت حولي. كنت على كويكب صغير لا يحمل سوى آثار بارجة فضائية قد أفلَعت. كان عالم الأحياء يلوح في الأفق باللون الأسود. في محاولة لمعرفة سبب تحطمي هنا، تذكَّرت الظروف التي حدَّدتها لتوليد مجال الجاذبية الشرطي المحيط بالسفينة الفضائية وهذا الكويكب. قمت بذلك بهدف أن يأتي الأطفال الفاسدون الذين ضلُّوا طريقهم إلى هنا.

كان هذا مكانًا مألوفًا. لكن لم تتراء لي تفصيلةٌ واحدةٌ كما كانت من قبل. كانت السماء كثيفةً، والزهور شاحبة. لم أستطع الرؤية في الظلام أو رؤية ما وراء ظهري. اندلعت زوبعة من تلقاء نفسها،

خَفَّتْ، ثم ثارت مرة أخرى. سقطت ورقة من شجرة، ورفرفت زهرة،
كل حسب هواه.
ثم ساد الهدوء.

اختفت الضوضاء التي لطالما سمعتها. الهمسات التي دقَّت في أذني
باستمرار مثل موجات راديو استاتيكية. لم يكن الصوت شيئاً سمعته
بسبب خللٍ في الدماغ أو طنين. كانت مشاعر وأفكار اتصالياتي تتدفق
إليّ.

كنت منفصلاً.

لم أستطع إيجاد أي روابط بيني وبين الكون. ستظل الخيوط
موجودة، لكنني لم أتمكن من رؤيتها أو لمسها أو الشعور بها. لم
أستطع التحوُّل، ناهيك عن التَّجسُّد في صورة روحية. لم يَعد الانتقال
إلى المملكة الدنيا أو التناسخ أمراً ممكناً.

جثوثٌ على قدمي. وقفت في حالة من اليأس مدة طويلة، حتى
تقبَّلتُ حقيقة أنه من أجل التحرك؛ كان عليّ الآن استخدام قدمي.
وضعت قدمًا واحدة أمامي، وتعثَّرت؛ لم أكن قادرًا على مغالبة
الجاذبية.

فكَّرتُ في سؤال إن كانت هذه المساحة بأكملها جزءًا مني أم
لا. عُدتُ بالذاكرة إلى الوراء إلى زمن بعيد كنت فيه مجردَ فقاعة
بدائية من سائلٍ سميكٍ، زمن اعتقدت فيه أنه سيكون من الممتع
فصل المواد الصلبة عن اللينة. وقت فكَّرتُ فيه في تقسيم نفسي إلى
شخصيات مختلفة، والتحدث معها لإنقاذ نفسي من الضجر.

لم أستطع تصديق حالتي. لم أستطع تصديق أي شيء. مهما بذلت
قصارى جهدي.

فكّرتُ شاعراً بألم ينبعث من احتقار ذاتي: يجب أن أبحث عن تانجاي. قد يسمح لي الطفل بأخذ غرفة إضافية على متن سفينته الفضائية. قد يبني لي سريراً مريحاً، وآلة طهي أرزٍ، أو حتى ميكروويف. لكن لم يكن لديّ طريقة للوصول إليه. لم أكن أعرف أين كانت سفينة تانجاي، ولم أتمكّن من السباحة إليها. كنت عالقاً في جاذبية هذا المكان. رأيت الآن أن الطفل كان نبياً عظيماً. كيف بحقّ السماء تمكّن من تشييد بارجة فضائية!؟

"خسرت يا نابان".

انتفض رأسي لأعلى عند سماع الصوت الهادر القادم من فوق. كان توشيتا أمامي مباشرة.

بشكل مثير للدهشة، لم أستطع رؤية توشيتا إلا عندما خفضت رأسي ورأيتَه. جسد توشيتا الأم على مبعده، والخيوط الممتدة منه، والجزئيات التي تدور حوله كانت كلها غير مرئية بالنسبة لي. بدا توشيتا ببساطة أشبه بشينينغامي (حاصد أرواح)، يرتدي الأسود، والمنجل في قبضته، ومنفصلاً تماماً عن بقية الكون. صدمني حينها إلى أي مدّي تدهوّرت حواسّي البصرية والسمعية.

يبدو أن توشيتا قد وصل منذ مدّة. بالحكم على الوقت الذي استغرقه حتى يتكلم، خمّنتُ أنه حاول استخدام وسائل أخرى للتواصل معي قبل التحدث بالكلام. أنا فقط لم أستطع سماعه.

"لم أخسر. أدركت ببساطة الخطأ الذي ارتكبته".

"خطأ... هل هو...".

اقترَب توشيتا من السترة الورقية التي كنت أرتديها وامتصّها.

على نقيضي، لم تكن السترة فاسدة، واستسلمت بسهولة لتوشيتا. انحنيت في حالة من الذعر.

في اللحظة التالية، أدركت أنه ليس لديّ سبب لذلك. لم يكن لدى جسدي ما يخفيه. كانت تلك السترة جسدي في المقام الأول. حاولت تجميع شتات نفسي والجلوس، لكن جسدي لم يتزحزح. حاولت تصميم ثوب آخر عن طريق تقسيم جسدي، لكن فشلت من جديد. عندما فكّرتُ في الأمر، أدركت كم كانت مثل هذه المحاولات عديمة المعنى منذ البداية.

ارتعشت. لم يكن من المنطقي أن يرتعش جسدي هنا. في المملكة الدنيا، أدّى التوتر إلى انقباض الأوعية الدموية. لمنع الأوعية المنقبضة من خفض درجة الحرارة؛ يرتعش الجسم ويولد حرارة.

كان الارتعاش هنا خطأ نتج عن تعارض برنامجين. لا ينبغي على كائن خالد أن يرتعش. لاحظ توشيتا كل علامة على إجهادي.
"أعيد إليّ سترتي".

"بالتأكيد". حدّق توشيتا في وجهي غير مُصدّق "ألا تشعر بالخجل؟".
"السترة ملكي؛ لذا أعدّها! تركها لي عشيرتي. أعطيها إليّ!".

الرغبة في الاستحواذ، وإعطاء العلاقات معنى تشكّلا في المملكة الدنيا. النظر إلى جزء مني كذات أخرى، والشعور بالعواطف غير الضرورية: كل كلمة وفعل بدّر عني كشف فسادًا. لكن في هذه المرحلة، لم يكن افتضاح فسادي يُحدث أي فرق على أي حال.
قال توشيتا: "نابان المسكين".

أنفاسي انحبست في حلقي. تدفّق ألم رهيب من خلاي مثل البرق. بدت كل خلية في جسدي وكأنها ستنفجر. احترقت، تجمّدت، وشويّت على أسياخ. كانت بشرتي ممزّقة ومقطّعة. ملأ توشيتا مسامي بجزيئاته. ارتجّت حواسي.

تذكّرتُ بصورة مشوّشة شيئاً قلته في الماضي، "لا وجود للخطأ". لم أستطع حتى أن أفهم ما قلته. ماذا قصدته بـ"لا وجود للخطأ".

ألم يكن خطأ من توشيتا أن يفعل هذا بي؟

"نابان المسكين". رنّ صوت توشيتا في رأسي. ربما سمعت أثر شفقة صادقة في صوته، لكنه تراءى لي قاسياً في الآن نفسه.

رفع توشيتا ناظريه إلى عالم الأحياء. كان أسود كالليل، متناقضاً بشكل حاد مع جسد توشيتا الكامل الأبيض الثلجي في السماء. كلاهما بدا لي عملاقاً بشكل لا يمكن تصوّره، الآن وقد أصبحت مخلوقاً صغيراً تافهاً.

في مكان ما من أعماق ذهني، همس صوت بالكلمات المألوفة، "لا يوجد ألم". إن لم يكن هناك ألم، إن كان بوسعي أن لا أشعر به، فلن يؤذيني توشيتا. توشيتا لا يقصد إلحاق أي ضرر بي؛ يسعى فقط لإثبات فساد. لو لم أكن فاسداً؛ لَمَا عاملني توشيتا بمثل هذا الإجحاف. ومع ذلك، لم أفهم كيف يمكن لأي شخص أن ينكر وجود هذا الاضطراب الخام.

"سوف تتجسّد جميع أجزاء أمان بحرية الآن دون زيارة مُعلّم أو مملكة الظلام. لن تتمازج مع بعضها، وستعيش حياة مستقلّة. أتساءل، يا نابان، إن كان ثمة كيان أكثر فساداً منك منذ بداية الزمان". ركعت على ركبتي لا إرادياً، وانبطحت على بطني أمام توشيتا. كانت وضعية تبنّائها البشر غريزياً في المملكة الدنيا لمنع فقدان حرارة الجسم وحماية أنفسهم من البرد، أو حماية رؤوسهم وأعضائهم ونقاطهم الحيوية من الخطر. لكن لم يكن لديّ حاجة للقيام بذلك الآن. استوعب ذهني ذلك، ومع ذلك ظلّ جسدي ثابتاً. شعرت بنظرة جليدية مصوّبة على رأسي. كان خجلي عظيماً مثل ألمي، وهذه الحقيقة ألمتني أكثر.

قلت: "كُلّني. أنا فاسد. ليس من الخطأ أن يكون المرء فاسدًا لكن يجب في هذه الحالة أن تتخلّص مني. كُلّني وطهّرني".

مدّ توشيتا يده. ليس بالطريقة المعتادة. شيء لزج يشبه كتلة دهنية من البروتين برز من جسد توشيتا، وتحسّس كل شبر مني، في محاولة لتحديد أفضل طريقة لأكلي. كنت أشعر بالفضول أيضًا. جسدي الفاسد تمامًا سيكون محصّنًا ضد الإقناع والمحادثة. كيف ستكسرنِي يا توشيتا؟ هل ستنفث حامضًا يذيني؟ هل ستقطعني بالسكاكين؟ لم يكن لديّ ما أهابه إن لم أشعر بأي ألم.

"أنا، توشيتا، أعلن لجميع مَنْ في مملكة الظلام"، انطلق صوت توشيتا بصوتٍ مُجَلَجِلٍ في رأسي. سيدوّي داخل كل رأس في مملكة الظلام. "عن انهيار المملكة الدنيا. تحوّلت إلى أرض خصبة للنبئين الفاسدين نابان وأمان. وكر للشّرّ غير قابل للخلاص. سأعزل المملكة الدنيا كلها، بما في ذلك الكيان المائل أمامي".

لم أصدّق أذنيّ، الأداة السمعية الوحيدة المتاحة لي الآن.

"من هذه النقطة فصاعدًا، أمنع الجميع في مملكة الظلام من دخول المملكة الدنيا. باستثناء الكيانات الفاسدة في المملكة الدنيا، سيعود بقيتنا إلى ذاتنا البدائية النقية. وانطلاقًا منها سوف نستكشف طرقًا جديدة للتعلّم. سوف نطهر التلوّث ونشكل كلاً جديدًا نقيًا. لقد انتهينا من تعلّم درسٍ، وهذا مفيد في حدّ ذاته".

قفزت على قدمي، واندفعت نحو توشيتا، وأنا أصرخ. فعلت ذلك بدون سبب أو مبرر، علامة واضحة على الفساد.

ردّ عليّ توشيتا بالمثل دون حقد. أي حقد يمكن أن يعتريه في حين لا يعرف الألم؟ أولئك الجاهلون بالألم لم يعرفوا متى يتوقّفون أيضًا. ارتعدتُ بشكّلٍ لا يمكن السيطرة عليه واتبنتني رغبة في التقيؤ، مع أنه لم يكن بداخلي شيء لألفظه.

"نابان المسكين".

تردد صدى صوت توشيتا ببرودٍ داخل رأسي الدائخ.

"توشيتا... أنت فاسد". تمكّنتُ من أن أقول بصعوبة، متشبّثًا بالأرض الموحلة بأظفري. عينا توشيتا الذهبيتان ومضتا.

قلت: "أتساءل هل كان هناك كيان أكثر فسادًا منك في أي وقت مضى. أنت تجرؤ على إنكار الكل الهائل الذي هو المملكة الدنيا. أنا وأمان، كلانا أنت يا توشيتا. هذه المملكة الدنيا كلها أنت. الأشياء ذاتها التي تسمّيها فاسدة هي أنت". تابعت بصوت أجشّ، "أنت تنكر جزءًا من نفسك؛ ممّا يعني أنك فاسد. فسادك يعميك عن حالتك".

بدا أن توشيتا يفكر في هذه النقطة مليًا. لكن، مثلي، تشكّل الكيانات الفاسدة حدودًا عقلية، ولا يمكنهم إدراك أي شيء يتجاوزها. في حين أنهم قد يُقرّون بأنهم قد يكونون مخطئين، إلا أن الفكرة لا تتغلغل بداخلهم.

"بمجرد أن أحصل على رؤى الأنبياء الآخرين، سأمتلك إجابة مختلفة لهذه المشكلة، يا نابان".

"إن كنت شجاعًا بما فيه الكفاية، فكلّني أولًا. سوف أمرر إليك الأفكار التي اكتسبتها خلال نُسخ حياتي كلها".

"وأنا سأفعل ذلك. لكن بعد أن يُشفى مرضك".

"أنا لست مريضًا...".

شعرت بجسدي وكأنه يتمزّق. كأنّ مَخالبًا تُقطّع جسدي وتمزّق أحشائي. فحص توشيتا كل زاوية وركن في جسدي الصلب تمامًا، قبل أن يشرع في تحويل جزيئاتي إلى سائل وغاز.

حتى عندما أخذت أنزلق بين الوعي واللاوعي، لاحظت أن توشيتا كان يستخرج فقط الجسيمات التي تحتوي على صيغ تانجاي الكيميائية. لو كانت هذه هي المملكة الدنيا، لكان بإمكان توشيتا اختراق عقلي فحسب، ولكن هنا، الذكريات مُخزّنة في جميع أنحاء جسدي. على الأقل لم ينزف جسمي أو يعاني من تهتك الأعضاء كما كان يحدث في المملكة الدنيا. تقلص فقط.

أرغمت ذاتي على الاعتقاد بأن هذا الألم لم يكن حقيقياً. كان صعباً. كنت أتمنى أن يقتلني توشيتا بدلاً من ذلك. يا لحظّي العاثر! فكرت فقط: "اقتلني". إلى أي مدى سأنحدر؟

"قد يكون الاندماج بدون إقناع أسلوباً ناجحاً؛ لذا سأتبعه. لا فرق لمن ستكون الغلبة لأنك أنا، وأنا أنت."

تصاعدت الكراهية بداخلي، وأنا أهدق في توشيتا. مع أن كلمات توشيتا كانت منطقية، فقد تراءت لي ظالمة وملعونة. الاضطراب واللاعقلانية كانا قاصرين عليّ وحدي الآن.

ارتفعت الجدران حولي من جميع الجوانب. شيّدت نفسها، طوبة فوق طبقة من الملاط ثم طوبة أخرى. في الماضي، كنت سأفهم بسهولة أليتها. الآن، تبدو وكأنها معجزات مذهلة. عندما بلغت من الطول ما يكفي لتغطية نصف وجه توشيتا، قال النبي: "ستتمكّن من الخروج عندما تدرك أنك وهذه الجدران الشيء نفسه. أتمنى لك الشفاء، يا نابان".

"أخرس"، زمجرت من بين أسناني المطبقة، واستجاب توشيتا بإيماءة متساهلة.

بمجرد أن حجبت الجدران توشيتا من مجال رؤيتي، تجسّد سقف فوقها، وغرقت في الظلام. انمحي المشهد وانكتم الصوت.

كنت عالِقًا هنا. وحيدًا. معزولًا تمامًا.

كم عدد الأطفال الذين احتجزتهم أنا من قبل في مثل هذا الحيِّز من أجل "التعليم"؟ كنتُ حائرًا في فهم معاناتهم. كنت أحمق وأدفع ثمن ذلك الآن. كنت بحاجة إلى ذلك.

لم يكن لديَّ أي نيَّة للمغادرة. لم تكن لديَّ رغبة في أن أتحد مع الجدران. لن أفكك جسدي أو أندمج مع أي أحد.

تذكَّرتُ برمجتنا مخلوقات المملكة الدنيا حتى يُغمى عليها أو تصاب بالجنون إنْ عانوا من ألم يتجاوز حدًّا معيَّنًا. البرنامج مُصمَّم من أجل تجنُّب أولئك المقيدين بأجسادهم من معاناة ألم غير ضروري. إنْ كنت فاسدًا حقًّا، فرمًا أصاب بالجنون. حينذاك قد لا يكون الأمر صعبًا جدًّا. تمَّنيْتُ بدون أمل حقيقي.

بينما كنت مستلقياً هناك، تضاءل إدراكي للضوء والصوت. تلاشت الحرارة والبرودة أيضًا. عندما انغلقت كل حواسي، أخذت الهلوسات مكانها. الجسد التَّوَّاق إلى المحفِّزات يجبر الحواس الأخرى على الاستيقاظ. رأيت توشيتا يهبط فوق قصر فوكسي. فيما يرتدي ثوبًا أبيض كالثلج، وبأجنحة لامعة كأجنحة الطير، انقسم توشيتا إلى عشرات الكيانات التي ظلَّت متَّصلة بظهر الجسد الأم من خلال خيوط فضية. هبط في الحديقة. سقط صمْتُ فوق الأطفال، وأظهر فوكسي استياءه بجلاء.

قال توشيتا: "لقد حان الوقت".

أجاب فوكسي: "متى يحين الوقت لهو شيء يجب أن نحدِّده نحن جميعًا".

"لا يهمُّ متى. المقاومة علامة تشي بالفساد. لقد أصابك الفساد يا فوكسي".

زاد فوكسي من صلابة جسده وحذا الأطفال حذوه. صارت أجسادهم صلبة كالحجر، ومدرّعة بشدة. نظّموا أنفسهم وأنتجوا أنصالاً ومعادن برزت من أجسادهم؛ ممّا جعل التهامهم صعباً. بمساعدة الأطفال الأكبر سنّاً، تراجع الأطفال الصغار، وتفكّكوا، وطاروا. ظهرت فجوة واسعة في صدر كل كيان من كيانات توشيتا. امتصّت الفجوات كل شيء في محيطها. بصرخة طويلة مفعمة بالدماء، مزّقت كيانات توشيتا الفجوات حتى يوسّعوا حجمها قبل أن ينقضّوا على الأطفال.

كنت لا أزال عاقلًا بطريقةٍ أو بأخرى عندما أتى تانجاي.

يبدو أنه لم يكن لديّ الوقت الكافي لأصاب بالجنون. أو ربما كان جزءًا صغيرًا مني غير فاسد. لم أستطع التَّحَرُّكُ فحسب. لم يكن جسمي الضعيف بل ذهني. ألم الحرمان الحسيّ سلَّبني القدرة على الحكم والقيادة.

وصل تانجاي في بدلة مدرّعة خضراء نيون لامعة مزوّدة بمفاصل ميكانيكية. حمل مسدّس ليزر بحجم جسمه تقريبًا. يبدو أنه استخدمه لاختراق الجدران. كانت ذاتي القديمة لتنفجر ضحكًا لرؤيته، لكنني الآن كنت مذهولًا. كيف صنع مثل هذا الشيء؟

"ماذا عن توشيتا...؟" سألت في حين يساعدني تانجاي. هزّ رأسه.

"لم يَعدْ موجودًا. لقد أصبح شيئًا آخر".

"فوكسي والأنبياء الآخرون...؟ هل حاربوا توشيتا؟ مَنْ فاز؟".

"الاندماج لا يعمل بهذه الطريقة. إنه ببساطة التغيُّر إلى شيء جديد. تعرف ذلك بالفعل". قال تانجاي بهدوء. شعَّت منه هالة شخص خاض الكثير من المعارك... "حاول المعلمون تحييد توشيتا في النهاية من خلال دمج أنفسهم معه، لكنهم تحوّلوا أيضًا إلى شيء آخر".

ترنَّحْتُ وانْهَرْتُ على الأرض. دَفَنْتُ وجهي في يدي، غير قادر على النهوض. "لا، ما كان من المفترض أن...".

"ما كان من المفترض ماذا؟".

"أولئك الأنبياء كانوا ذوات أخرى. ما كان من المفترض أن يأخذ توشيتا حياتهم دون إذن... توشيتا ارتكب خطأ، عملاً فظيلاً".
كان تانجاي صامتاً.

"من الناحية الفنية، هذا ليس خطأ. إنه مجرد شيء لا تريد أن تراه يحدث، أيها المعلم، رغم أنك اعتدت على ذلك في الماضي". قال الطفل، الذي أصبح الآن معلّمياً أكثر منه تلميذاً. "إنه شيء لا أريد بدوري رؤيته".

الفضاء من حولي مُشوّه. تداعت الجدران. انهار السقف؛ ما أدّى إلى انثناء الجدران بسهولة كما لو كانت طيناً رطباً. ارتفعت سحابة بيضاء من الغبار، سألت ثم تساقطت كزخّات المطر.

قال تانجاي: "لكن كان من المفترض أن يحدث ذلك عاجلاً أم آجلاً".

كنت لأقول ذلك أيضاً بمجرد اندماجِي. "كان من المفترض أن يحدث". بدون حزن أو ندم. كما كانت ذاتي القديمة لتفعل. لكنني كنتُ فاسداً الآن، وكل شيء أحزنني.

كان قادماً من أجلي. يمكنني أن أشعر به. كان قادماً لابتلاع آخر نبيّ بقي في مملكة الظلام. كان توشيتا متردداً في أكلي، لكن هذا الشيء لم يعد توشيتا.

تداعى جدار وتطاير الغبار إلى الخارج. مالت الأرض، وتدرجرتُ أسفلها بلا حول ولا قوة قبل أن أتمكّن من القيام بأي ردة فعل. حلّق تانجاي في الهواء باستخدام قوة الدفع الصاروخي لأحذيته الميكانيكية،

وسدَّ الفتحة في الجدار بجسمه، وأمسك بي بين ذراعيه. كانت الأذرع المعدنية لبدلة تانجاي ضخمة وقوية.

قال تانجاي وهو يحدِّق إلى الخارج: "علينا حماية المملكة الدنيا". تسبَّبت الكلمات في صفاء رأسي. "مملكة الظلام ستكون بخير. هم يعرفون طبيعتها. ليست مُعضلةً كبرى. لكن أولئك الذين في المملكة الدنيا لن يفهموا. لن يقبلوا هذا النوع من النهاية. سيعتقدون فقط أن هذه كارثة مروعة. ماذا علينا أن نفعل؟".

لم تحمل كلمات تانجاي أي منطق، لكن لدهشتي، فهمتها تمامًا. لم أكن معتادًا على ذلك- تراءت لي من قبل أشبه بثثرة طفل أحمق. الآن تساءلت: أتى لي أن أفكر في ذلك؟

تجعَّد الكويكب، وتحطَّم، وتَشَتَّت في الفراغ، شظاياه تتلأأ مثل الجواهر. تدفَّق الضوء من خلال الجدار المتداعي. حقيقة أن الكون يشعُّ ضوءًا كان يعني أنه يتقلَّص. ضوء عديم المصدر تدفَّق من جميع الاتجاهات. كان قلب الكون المتقلَّص أسودَ فيما يمتصُّ الضوء. انجذب كلُّ باردو إليه مثل الألياف. كان الكون كله يحاول استرداد حالته الأصلية. مع أنني بالكاد أصدق ذلك، كان هذا الكيان أنا. رغم فسادي، ما زلت أحتفظ بذكريات بدائية، ويمكنني تقييم خصائص وميول "ذاتي".

قلت: "اذهب إلى المملكة الدنيا. أنت نبيُّ أيضًا. وهذا الشيء لن يذهب هناك قبل أن يأكل كلُّ نبيِّ هنا في مملكة الظلام. نظرًا لأن المملكة الدنيا لها نفس حجم مملكة الظلام؛ فلن يحاول الهجوم عليها قبل أن يصبح ضخماً بما يكفي للقيام بذلك. ستظل المملكة الدنيا آمنّة أثناء هروبك. أنا متأكّد من أنك ستجد وسيلة انتقال لا يمكن لبقيتنا تخيلها أبدًا".

"ماذا عنك يا معلم؟".

نظرت إلى الخارج. "بمجرد أن يأكلني؛ سيتغير أيضًا. إن كنت فاسدًا بما فيه الكفاية... ربما إصراري على إنقاذك قد يؤثر عليه. دعنا نثق في فسادي". قلت، نصف مؤمن ونصف متشكك. هل سيكون فساد هذا المخلوق المتواضع قويًا بما يكفي لإفساد الكون بأسره؟ هل سيثبت أن فسادي عظيمًا جدًا؟

لكن أنا نابان. أول من حاول عكس الفوضى، وابتكر اختلال التوازن. أول من انقسم. أنا النبي الذي "وُلِدْتُ" نبي الانقسام. بداخلي أحمل المعرفة التي جُمعت عبر زمن سحيق وذكريات نسخ لا حصر لها من الحياة. كل فساد نبع مني، والفساد المطلق يكمن بداخلي. أنا لست ضئيلاً بأي حال من الأحوال.

"قد أكون فاسدًا لكنني ما زلت نبيًا. بمجرد أن أندمج؛ سأمضي لأصبح شيئًا آخر. دعنا نأمل".

"صحيح".

لم أكن أعرف ما الذي يعنيه تانجاي بكلمة "صحيح" حتى عندما دفعني جانبًا، وحدّق عبر الفتحة الموجودة في الجدار. فقط عندما قال تانجاي، "لذلك لن يهّم إن بدلنا الأدوار"، أدركت نواياه دفعةً واحدة، وتشبّثت بالطفل. مستخدمًا الذراع الميكانيكية لبدلته، سحب تانجاي يدي، بلطف ولكن بقوة. لم أتمكن من الاختراق أو التمدد أو التحول. تقشّرت أصابعي إصبعًا تلو الأخرى.

قال تانجاي: "لا أستطيع الذهاب. تطلّب الوصول إلى هذا الحدّ كل طاقتي. نفذ وقودي، وأكل ذلك الشيء سفينتي. يبدو أنك تعتقد أن العلم يمكنه فعل أي شيء، لكن لا يمكنني استحضار الأشياء من الفراغ مثلما يستطيع المعلمون".

انعقد لساني من الصدمة. ضغط تانجاي على كتفيّ بينما يستطرد:
"لكنك مختلف يا معلّم. أرجوك، اذهب إلى المملكة الدنيا. اذهب
واكتشف طريقة لحمايتها مع المعلم أمان".

فكّرت: لا، لم أكن شيئًا الآن. لم يكن لديّ قوى. يجب عليّ تفكيك
جسدي والتسرّب إلى داخل أحد أجسام المملكة الدنيا. كان عملاً
مستحيلًا. سأموت إن حاولت ذلك. لكنني علمت أن الأفكار التي
كنت أواجهها الآن كانت أكثر غرابة.

تابع تانجاي: "سأكون بخير. أنا حزين الآن، لكنني لن أكون كذلك
بمجرد أن أندمج. ستختفي الأوهام وسأكون سعيدًا، أليس كذلك؟".

لم أستطع الإجابة. في حياة سابقة، عندما كنت كاهنًا في كنيسة
صغيرة، أمسكتُ يدي تانجاي وأخبرته بشيء مشابه بينما كان الطفل
الصغير يحتضر من المرض. كنتُ جاهلاً آنذاك، وأكثر حكمة الآن، لكن
اليأس تعمّق بداخلي.

خطًا تانجاي أمام الفتحة بلا عزم أو خوف. لم تظهر عليه أمارات
الأسى، ولا حتى الجدية. كان تانجاي واثقًا ومتمزّنًا، مثل إله صغير.

قال تانجاي مرة أخرى: "اذهَبْ". ثم قفز عبر الفتحة.

لا يمكنني الذهاب.

كان جسدي يُثقلني مثل صخرة ضخمة. لم أستطع الطيران به أو
تفكيكه إلى جزيئات. تساقطت كتلاً من التراب والحجارة من السقف.
لم أستطع استحضار قشرة صُلْبَةٍ لأحمي نفسي من الحجارة أو أحوّل
ذاتي إلى حيوان ضخم بما يكفي لتحمل الألم. أسقطني أيُّ شيء اصطدم
بي، وتدرجستُ في الاتجاه الذي دُفِعت إليه. انحرفت الجاذبية إلى
جانب واحد؛ ممّا تسبّب في ترنُّح الأرض وإلقائي في الهواء. كنت أتقلّب

مثل شيء جامد. الجدران التي انهارت شكّلت أرضية، ثم تناثرت في الفضاء إلى أسفل.

لا، ليس "إلى أسفل".

ظهرت الجاذبية ببساطة هناك.

"أنا" أو ما كان أنا سابقًا، راح يلتهم أجزاء مني.

توهّج الكون المنكمش بشدّة لدرجة أنني بالكاد استطعتُ فتح عينيّ. اندفع الضوء نحوِي من جميع الجهات. كان مركز الانكماش أسود. سقطتُ سقوطًا حرًّا، مُجرّدًا من أي دعم ودون موطنٍ قدم.

كنت لأجرب أي شيء حتى أوقِف سقوطي لو كانت لديّ قواي القديمة، لكن كان ذلك عديم الفائدة. لم أتمكّن من خلق الجاذبية أو صنع مروحة دفعٍ عكسيّ كما استطاع تانجاي. رُحْتُ أهبط بسرعة.

في حين أسقط، تدفّقت شخصية غامرة مثل شلال عبر وعيي. مرّت أعداد لا تُحصَى من الذوات أمامي. لفتت أفعى شقّافة نفسها حولي، ثم تركتني. وحش لم أتمكّن من تمييزه اندفع نحوِي، كاشفًا عن أنيابه. ثارت زوبعة من عددٍ لا يُحصَى من الأشخاص في ذهني. تواترت الأحاديث والإقناعات والحجج. لكن لم يؤثّر عليّ أيٌّ منها. كل شيء مرّ من خلالي.

توقّف مهاجمي، وأمسك بي في الفضاء، ثم تراجع. راقبتُ مهاجمي دون أن أعرف ما إن كنت مستلقياً أم واقفاً أم لا أزال أسقط سقوطاً حرًّا.

الكيانات التي لم تذبّ بالكامل بعدُ في الجرم السماوي المتقلّص، قفزت للخارج مثل الأوتار قبل أن تُسحب إلى الداخل مرة أخرى. لا تزال الخيوط ممتدّة في كل اتجاه، تمتصّ الكيانات والجسيمات المتبقية. بدا مهاجمي وكأنه شمس سوداء تنفجر باستمرار، أو ربما

كتلة ضخمة من الخلايا السرطانية. شكل خالد للحياة، خلايا سرطانية تتكاثر حتى هذه اللحظة في أجسام المملكة الدنيا.
ذات مطلقة.

لم يُسرِع. ليس لديه سببٌ لذلك. ذهب بالفعل إلى أبعد من الذكاء المحض بالفعل. كل تواريخ الكون التي عشناها، كل معارفنا المتراكمة امتزجت، وخلقت معنىً جديدًا. صدمته عاصفة من المعرفة الجديدة في كل لحظة.
كان "أنا".

أنا قبل أن أبدأ الانقسام هروبًا من أبدية العزلة والجمود. تمامًا كما كنت حينذاك، كان أنا الجديد هذا حكيماً بشكل جذري وقاسياً لأبعد حدً.
هذا كيان فاسد.

يمكنني أن أسبب له الألم.

الفاسد يخضع بسهولة للألم.

غمرتني أفكاره. لكنني كنت بالفعل أفيض بالألم. أيًا كان العذاب الذي ألحق بجسدي في تلك اللحظة، كيف يمكن مقارنته بعذاب فقدان رابطتي بالآخر؟ كيف يمكن مقارنته بمعاناة التشبُّث بحياة كَلَّفَت شخصًا آخر حياته؟
"نابان".

"أنا" ناداني... "انضمَّ إليّ. انتهت دورة واحدة وستبدأ أخرى. دعنا نتعلم من جديد".

هَزَزْتُ رأسي.

كنت أعلم أن ألمي سيتلاشى إن انضممتُ إليه. عرفت أن الحكمة والتنوير سيتدفقان إلى داخلي، أنني سأمتلئ بالسعادة والسلام. سأنظر إلى الوراء وأضحك على هوسي بهذا الجزء الضئيل من ذاتي. كنت أعلم أن تانجاي لم يمُت. ولا الأطفال الآخرون. كنت أخدع نفسي بأنهم صاروا أشكالاً مستقلة للحياة، الآخر. عرفت كل هذا، لكنني لم أستطع احتواء حزني.

"أنا" يقرأ أفكاري ويشفق عليّ. "توقّف عن التّصرف ككائن تحكّمه الجينات، يا نابان. أصابك الفساد، وتحتاج إلى التطهير". تحدث إليّ بنبرة مواسية، وبرحمة شخص معتنق مجموعة من القيم الغربية عني تمامًا.

عندما لم أرد، انطلقت خيوط بيضاء نحوي. وخزّت أصابعي والتفتّ حول معصمي. أمسك بكاحلي وخنق رقبتي. كان سيقطعني إربًا بالقوة. ظللت مشلولًا، إرادتي على التّحرك منعدمة من فرط الحسرة.

ممت الأظافر من يدي المقيدة. نما الشّعْر فوق نباتات الكروم الملفوفة حول رقبتي. انفتحت المسام في بشرتي وبرزت الشعيرات الدقيقة بين تجاعيدي. أحشائي تحوّلت أيضًا. شكّل الجسم نفسه بنفسه بناءً على ذاكرتي التشريحية ومعرفتي. تشعّبت الأوعية الدموية تجاه خفقان قلب قوي. دقّات قلبي دوت في جميع أنحاء الكون المجرد من جميع الأصوات الأخرى. انتفخت رئتي إلى حويصلات سميقة، ونبتت مسارات تربطها بالأنف والفم. تصلّبت العظام، وزادت كتلة العضلات، وممايزت الأعضاء. تدفّقت الدموع إلى أسفل بينما تشكّلت القنوات الدمعية. بلعت لعابي، وزفرت نفّسًا عميقًا.

ألم أكثر حدّة من أي شيء شعرت به في حياتي، سرى بداخلي عندما دبّت الحياة في جهازي العصبي ومستقبلاته الحسية. شعرت أن قلبي سينفجر مفتوحًا. تجمّع الدم تحت جلدي، واعتصرته الكرومات

بشدة. كان الألم حاداً في المناطق التي انقطعت فيها الدورة الدموية. كان الألم قاسياً ومُرَكِّزاً. لم يكن مثل الأحاسيس التي تنقلها المستقبلات الحسّية الخام للمملكة الدنيا. فتحت عيني، اللتين كانتا متصّلتين الآن بالأعصاب البصرية، ونظرت إلى مهاجمي.

خففت الكرومات قبضتها قليلاً حول رقبتني. لم يحمل وجه مهاجمي أي ملامح، لكنني شعرت بدهشته. وفكرت في دخيلة نفسي ما إن كان امتصاص كيان بهذه الدرجة من الفساد أمناً. هل يجب أن ينتظر حتى أتعافى، خاصةً عندما يتعيّن عليه تحمّل الفساد الهائل للمملكة الدنيا. ربما يجب عليه عزلي في الوقت الحالي...

وبينما كان متردداً، ألقيت بنفسي في أعماقه.

كل شيء يغلي بداخله. ذاب قصر فوكسي وتحوّل إلى حساء كما لو كان قد غاص في فرن صهر. انسحق أصدقاء آخرون، جنباً إلى جنب مع البارود الصغيرة خاصتهم، وتناثرت أجزاءهم. كان الأمر أشبه بمحلول كيميائي يخضع لتفاعلٍ متسلسلٍ جامح، أو كأننا داخل مفاعل اندماج نوويّ. احتفظ كل كيان بنصف ذاته وخسر النصف الآخر. وجدت سفينة فضائية تطفو في وسطهم. بالأحرى لم أجدها، بل انجذبت إليها. كنت أعلم أنني سأنجذب إليها. شكراً لك، يا مجال الجاذبية لالتقاطك فسادي.

في هذا البحر المرعب من الشحنات الكهربائية الذي سحق شخصيات الأنبياء، صمدت سفينة الفضاء بإصرار، وحافظت على هويتها. قاتلت وحدها في مواجهة الفوضى المطلقة. كانت رائعة، طفلاً حقيقياً لتانجاي.

في حين أسقطُ بسرعة، همست إلى جدار السفينة. آسف لإلحاحي في السؤال، ولكن...

أمرني الجدار، ادخُل. أطعته.

ألقي بي داخل غرفة المحرك.

اعتقدت أن الألم سيقتلني، لكنني كنت عاقلاً بما يكفي لأعرف أنه لا يستطيع قتلي.

سرعان ما استوعبت ما يحيط بي بينما أَدْفَع كل شيء رأيته نحو الجدران. سحبت الآلات ودفعتها مع المكاتب والكراسي. صدمني كم كانت جميعها ثقيلة ومُرهِقَة.

سمعت جلبة من بعيد. ما الذي تنوي فعله؟

كانت سفينة الفضاء مغمورة بكتلة من الضوء طاردتني إلى هناك. صرخت الجدران وتأوّهت في حين بدأت تضيق. تراجعْتُ إلى منتصف الغرفة. توقّفت الجدران.

سُدَّ الباب بأشياء مثل الطابعات وأجهزة التلفزيون وأنظمة الصوت؛ كل الأشياء ملأى بالدوائر الكهربائية والمكونات التي تنقل الطاقة الكهرومغناطيسية. كانت لهذه العوائق تصميمات داخلية بهياكل أكثر تعقيداً من معظم الكائنات الحية. أوقف المهاجمُ زحفه نحوي لأن الباب رفض التحدُّث إليه. شعرت به يتحرَّك بسرعة بحثاً عن حلٍّ عاجل.

عرفت أنه سيجد منفذاً قبل مُضيِّ مدة طويلة.

لأنه كان "أنا".

عزَّزت الحاجز عن طريق حشر كرسي تانجاي المريح الفاخر بداخله، ثم اندفعت عبر مَخْرَج الطوارئ، ثم في الممر. حتى لو نجح مهاجمي في إقناع الباب، فسيتعيَّن عليه قضاء وقت طويل في الجدل مع الكرسي.

كان عليَّ المشي من أجل الوصول إلى أي مكان، والركض من أجل الوصول إلى أي مكان، أسرع. اضطررت إلى فتح الأبواب قبل أن أمكِّن

من المرور عبرها والالتفاف إن بلغت طريقًا مسدودًا. جسم إنسان عارٍ لهُو شيء رديء من منظور بيئي. جمع باطنا قدميَّ الهَشْتين الخدوشَ بسرعة. التوت ساقاي وأنا أركض؛ فتعثرت، وارتطم رأسي بالحائط وأنا أقرب من الزاوية. لم أمكّن من رؤية الكثير في هذه المتهاة، لكنني شققت طريقي باستخدام خريطتي العقلية كمرجعية. تحسّستُ طريقي عبر الظلام. أخيرًا أشعلت الضوء.

كان المستودع يحتوي على عشرين ناقلًا. اخترت واحدًا بشكل عشوائي وانحنيت حتى أدخله. استلقيت هناك بضع ثوانٍ فقط قبل أن أجلس من جديد.

كانت الأسلاك المتشابكة في كل مكان. كان جوانهوا بجواري، لكنني لم أستطع التحدث معه. نسيت كيف. كانت لوحات التحكم المعقّدة تقع بجانب الناقلات، لكن آليتها كانت تفوق معرفتي. لم أمكّن من رؤية ما بداخلها حتى أتصوّر هيكلها أيضًا. استرجعت المعرفة الهندسية التي اكتسبتها من مملكة الدنيا، لكنها لم تكن مُجديّةً. مهما كانت الآلية المستخدمة في لوحات التحكم، فهي تتفوّق بكثير على تقنيات المملكة الدنيا في أي وقت ومكان.

فكّرتُ نصفَ ضاحِكٍ ونصفٍ مُتنهّدٍ، تانجاي أيها المعلم العظيم، لا يملك تلميذك الغبي أي أمل في تنفيذ إرادتك.

جلست هناك، قانطًا، ولكن عندئذٍ دبّت الحياة في الباب، وارتجف. بدأ يُصدر ضوءًا خافتًا، ويتعرق ويتضخّم مثل بالون. لم أسمع أي إقناع أو صفقات تجري.

مشى طيفٌ عبر الباب. كان مشعًا وشقّاقًا، وله مظهر تانجاي. امتدّت عشرات من الخطوط البيضاء اللامعة من جسد تانجاي إلى مكان ما بالخارج.

أُرسل تانجاي إلى الداخل بمفرده عن قصد. لأن سفينة الفضاء سوف تتعرّف على سيدها. وكان تانجاي يمتلك أكبر قدر من التأثير عليّ.

قلت لنفسي: هذا ليس تانجاي. حتى لو كان هذا الشيء يمتلك ذكريات تانجاي ويتألف من المادة نفسها التي كوّنت جسد تانجاي، فما عاد تانجاي بعد الآن. كان شيئًا مختلفًا تمامًا. لم يُعد ثمة وجود لتانجاي. مات الطفل. لن يرجع.

مات. ارتجفت من غرابة أفكاره. ليس الشيء نفسه.

"أنت مُحقِّقٌ يا معلم". قال الشيء الذي يحمل وجهه وجسد تانجاي، بصوت تانجاي. لم يكلف نفسه عناء تحريك فمه. قدراته تفوق قدراتي ببونٍ شاسع، قدراتي المحدودة التي فرضت عليّ التحدث عبر فمي.

"فقط تفسيري للأمر تغير"، قال بينما يقفز في الهواء ويهبط أمامي. "لم أمّت، ولم أختف. ببساطة تغيرت. لا أعرف لماذا كنت خائفًا جدًا".

نعم. كنت أعرف هذا جيّدًا. حتى في هذه اللحظة.

جال شبيه تانجاي بناظريه في أرجاء سفينته الفضائية. كما فعلتُ أنا من قبل، نظر إلى العناصر المتنوعة في السفينة كما لو كانت خردة. كاد أن ينفجر من الضحك عندما رأى جسدي العاري الصغير المثير للشفقة مُغطًى بالخدوش.

"كان هناك الكثير من الأشياء التي لم أعرفها، ولكن لو علمت أن معرفة الحقيقة سهلة إلى هذه الدرجة، كنت لأتوسّل إليك حتى تندمج معي".

قلت: "ساعدني".

"أساعدك؟" لمعت عيناه.

"أرسلني إلى المملكة الدنيا، من فضلك. لا يمكنني الوصول إلى هناك بمفردي".

بين الكثير من انقساماتنا، بين الكثير من الحياة والموت منذ غابر الزمان، هل كان ثمة كيان أكثر فساداً مني؟ هذا الشيء الذي كان يشكّل غالبيتني حدّق إليّ برحمة بريئة ونزيهة. باهتمام معلم يحاول تعليم تلميذه درسًا.

"ماذا تنوي أن تفعل هناك؟". توحى النظرة على وجهه أنه يفهم كل شيء، ولا شيء على الإطلاق. "حسنًا، حسنًا. لنفترض أنني سأنتظرك حتى تعود. لن يتغيّر شيء حتى لو فعلت ذلك. إنها مسألة وقت. ما الخطة التي يمكنك تنفيذها هناك؟ ستنسى حتى سبب ولادتك". "أعرف".

"إن توقّفت مملكة الظلام عن إرسال أطفال جُدّد، فستندعم الولادات، وسيفشل النظام البيئي للمملكة الدنيا. آه، ربما ليس قريبًا جدًّا، نظرًا لاكتشاف أمان كيفية التناسخ. لكن لا يمكنك تقسيم جسمك بعد الآن، ماذا يمكنك أن تفعل بمفردك؟". مدّ تانجاي إليّ يدًا متلألئة. "تعال. هذا لا شيء. ستنظر إلى الوراثة وتضحك بقوة على سبب محاولتك الهرب".

أجبت: "أعلم، أعلم...".

"إذن لماذا تريد أن تذهب؟".

كنت مذهولًا. كيف يمكن لمثل هذا الكائن الهائل، كائن اندمجت المعرفة كلها بداخله، أن لا يستطيع النظر داخل رأس كائن بالغ الصغر مثلي؟ ربما كانت الدهشة متبادلة؛ كيف يمكن لكائن بالغ الصغر أن يصبح منفصلًا تمامًا؟

قلت: "أريد أن أعيش". بدا تانجاي مرتبِّغًا. "أريد أن أعيش ولو
لحياة واحدة فقط. تُعاش الحياة مرة واحدة فقط، على أيِّ حال،
ومرة واحدة تكفي. منحنتي هذه الفرصة الوحيدة في الحياة؛ لذلك
يجب أن أغتتمها".

آه، كم بدوت غير منطقي وغير عقلائي. فهم قلبي بوضوح شديد،
لكنني شعرت بأنني غير قادر بشكل بائس على إقناع أي شخص
آخر.

غرق تانجاي في صمت ثقيل، ثم ابتسم. ابتسامة أشبه بابتسامة
فنان عظيم من المملكة الدنيا ربما كرَّس حياته بأكملها للرسم على
جدار معبد. كان ثمة ما هو أكثر من الرحمة في تلك الابتسامة.

أوماً تانجاي برأسه: "توازن". ساعدني على الاستلقاء. لم يستخدم
يديه. إثر هزّة طفيفة من رأسه، دفعت يدٌ غير مرئية صدري لأسفل
قبل أن أمكِّن من المقاومة.

بدأ تانجاي السيطرة على جوانهوا دون استخدام يديه. اجتاحت
الأسلاك جسدي بحثًا عن مواقع الحقن المناسبة، واخترقت بشرتي،
ودخلت مجرى دمي. تانجاي هذا لم يفهم الألم، وكان قاسيًا في تعامله
معي. لكنني لم أدعُ ألمي يظهر.

"تُعاش الحياة مرة واحدة فقط، أليس كذلك؟ ربما سيكون لذلك
قيمة فريدة".

رأيت فضولًا خفيًا -ربما كان يخصني ذات مرّة- في عيون تانجاي.
عيون نشدّت فهم ما لا يمكن فهمه. عيون حاولت أن ترى القيمة في
الصغير والتافه.

شعرت أن تانجاي كان يرى هذا على أنه تجربة جديدة. إن انقطع
الاتصال بين مملكتي الظلام والدنيا تمامًا، إن ترك كل نبي المملكة

الدنيا، وبقي الفاسدون فقط فيها، فماذا سيكون مصير مملكة الدنيا؟
عالم اعتقد جميع سُكَّانه أنه العالم الوحيد، الحقيقة الوحيدة، وأن
الحياة التي تُعاش فيها هي الحياة الحقيقية الوحيدة لأنه لم تكن
هناك حياة أو آخرة سابقة. مشاهدة مثل هذا العالم يتكشَّف سيكون
نوعًا من التَّعلُّم أيضًا.

قَسَمْتَنِي "الكيمياء" إلى جزئيات.

سأرى أمان عندما أصل إلى المملكة الدنيا. أغمضت عيني وفكرت.

نظرًا لأن العديد من نسخ أمان قد تساقطت على المملكة الدنيا،
فَبَغَضُ النظر عَمَّن سَأَقَابِلُه هناك، فسيكون أمان. حيثما أستدير،
فسأرى أمان. أيًا كان من أعشق، أيًا كان من أشكَّل معه روابط،
فسيكون أمان. الفكرة أسعدتني.

فكرتُ في أمان الذي أحببته قبل كل شيء.

فكرتُ في أمان الذي كان يراقبني من فراشه. ضوء الشمس يتدفَّق
من خلال النافذة. رائحة الشاي التي استنشقتها معًا كل صباح.
سيكون من اللطيف أن تنتهي حياتي بهذه الطريقة. أن تكون تلك
حياتي الوحيدة.

تذكَّرتُ اليوم الذي قالت فيه أغلى ما عندي "نعم" لعرضي
بالزواج منها. كانت السماء تَمطر بغزارة في ذلك اليوم. اختبأنا تحت
مظلة أحد المباني وأجبرنا على البقاء هناك مدَّة، ثم وجدت نفسي
أعرض -دون إدراك- عليها الزَّواج مني. أي عرض زواج هذا؟ قالت
أمان، وبدأنا في شجار طويل. دفع كلُّ منَّا الآخر حتى وقعنا على
الأرض المبللة بالمطر، وتناوبنا على إعلان رحيلنا بغضب ثم مضينا كل
في طريقه، فقط حتى نعود راكضين، جسدانا يرتجفان حتى نحتمي
معًا تحت المظلة مجددًا.

اتَّكأ كُلُّ مَنَّا عَلَى كَتْفِ الْآخِرِ. تَتَبَعْنَا بِأَصَابِعِنَا مَا فَوْقَ حَوَاجِبِ الْآخِرِ، وَتَلَامَسَتْ جِبْهَتَانَا. تَبَادَلْنَا النُّظْرَاتِ، وَأَزْحَنَا خَصَلَاتِ الشَّعْرِ الْمَبْلَلَةِ عَنِ وَجْهَيْنَا. رَبَّتْ كُلُّ مَنَّا عَلَى خَدِّ الْآخِرِ، وَالتَّقَّتْ شَفَتَانَا. الْإِثَارَةُ الْحَسِيَّةُ الْحَادَّةُ فِي مَنَاطِقِ شَهْوَتِنَا الْجِنْسِيَّةِ انْفَجَرَتْ، الْبَرْمَجَةُ الْمَضْمَنَةُ هُنَاكَ لِمُسَاعَدَتِنَا عَلَى الْعَثُورِ عَلَى نِصْفِنَا الْآخِرِ، التَّفَاعُلَاتُ الْكِيمِيَاءِيَّةُ الْمَشَابِهَةُ لِتَنَاوُلِ الْكُحُولِ وَالْمُخَدَّرَاتِ، تَأْثِيرُ الدُّوبَامِينِ وَالْأَدْرِينَالِينِ.

المواد الكيميائية التي تدفقت في عروقي وأعصابي في تلك اللحظة كانت أنا، وجزءاً مني، المطر الغزير والشارع الذي وقفت فوقه، والأرض تحت قدمي، ذلك العالم كله، حتى الشخص الذي بجانبني، كان أنا، وجزءاً مني. هذا هو السبب في أن كل ذلك كان حقيقياً. أوه، ولكن أكثر من أي شيء آخر، كان هذا الشخص ذا معنى لأنه كان الآخر. أياً كان من التقيتُ به، كان بإمكانني أن أحبه وأشفق عليه وأهبه حياتي لأنه لم يكن أنا.

أنا النبي الذي فُتِنَ بِعَالَمِ الْأَحْيَاءِ، الْإِنْسَانَ الْفَاسِدِ الَّذِي صَدَّقَ أَنَّ الْأَحَاسِيْسَ الْكَاذِبَةَ الَّتِي يَنْقُلُهَا بَرْنَامِجُ الْبَقَاءِ فِي مَمْلَكَةِ الدُّنْيَا هِيَ الْحَقِيقَةُ الْخَالِصَةُ.

أنا مُبَارَكٌ بِالْفَسَادِ؛ لِذَا خَذَنِي أَيْنَمَا شِئْتُ. لَسَوْفَ أَعْلَمُ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ أَيْضًا.

2

تلك الحياة الواحدة

حسنًا، ها أنا أرى نفسي.

لكن ليس في المرأة، على ما يبدو. من المفترض أن تكون رؤيتي
لنفسي مستحيلة من هذه الزاوية. غريب... آه، أعرف ما هذا. تجربة
خروج من الجسد. تحدث أحيانًا أثناء النوم.

أرى أنني مستلقياً على وجهي في حقل عشبي. لا بُدَّ أنه من
الصعب أن أتَنفَّس وأنفي مدفون في الأرض هكذا. أتمنى أن يقلبني
أحدهم. لا، هذا لن ينجح. ثمة سهم عالِق في ظهري. يجب على
أحدهم سحبه وإخراجه من جسدي. لكن من الممكن أن أفقد الكثير
من الدم إن أُخْرِجَ بشكل خاطئ. في الواقع، يبدو أنني فعلت ذلك
بالفعل. يبدو أن ليترًا من الدم على الأقل متجمُّع حول جسدي. بهذا
المعدَّل سوف أنزف حتى الموت. يجب إيقاف نزيف الجرح. لا يهمُّ،
فات الأوان. اخترق السهم قلبي.
إذًا أنا ميت.

بعد أن شعرت بانفصال غريب عن هذا الطوفان من المعلومات،
جبتُ بعيني في محيطي. غابة متوهَّجة بألوان قوس قزح. كانت
الألوان لافتة، وكان كل جسم يتلألأ كما لو كنت أشاهده من خلال
ضباب حراري، أو بدا ليِّنًا مثل بشرة طفل رضيع. تمتدُّ خيوط فضية
متلألئة من أشجار البتولا والتَّنُوب، والعشب البري والأوراق المتساقطة،

وتتقاطع في كل اتجاه مثل شبكة العنكبوت. كلها مرتبطة من خلال الخيوط؛ جسدي أيضًا.

حسنًا. كنت ميتًا. ماذا الآن؟

نظرت حولي، على أمل العثور على لافتة تقول: هذا الطريق إلى عالم الموتى، أو ربما دليلًا يحمل لوحة إرشادية مع عبارة: مرحبًا. جميع زوار الجحيم، اصطفوا هنا. رأيت رجلًا جالسًا على صخرة. التقت أعيننا. كان يرتدي ثوبًا فضيًّا، وكان يلعب لعبة مهد القطة⁽¹⁾ بمفرده.

رسول الموت؟

في حين تساءلت كيف كان يلعب مهد القطة بمفرده، خرجت يدان إضافيتان من ظهره، واستمرَّ في اللعب. اندهشت، لكن سرعان ما هدأت. بعد كل شيء، لم يرَ أحدٌ هيئة رُسل الموت حقًا. بالتأكيد، يمكن أن يكون لديهم أربعة أذرع؛ لما لا؟

قال الرسول: "انتهيت مبكرًا. اعتقدت أنك ستعيش مدة أطول".

عادت ذكرياتي بسرعة إلى الوراء في تلك اللحظة. لم أتذكَّر كل شيء ولكن ما يكفي حتى أقيِّم الموقف. نظرت إلى جثتي مرة أخرى. جندي صبي بالكاد بدا أكبر من أربعة عشر عامًا. لم يكن والداي قادرَيْن على شراء طريقة خروج ابنهما الأكبر من الخدمة العسكرية؛ لذلك جُرِّجت إلى ساحة المعركة بدلًا من أخي قبل يومين. كنت في ذلك العمر الحساس عندما لم أكن معتادًا تمامًا على الحياة.

أخبرت تانجاي، "كان ذلك كافيًا"، أو بالأحرى مملكة الظلام بأكملها التي تجسَّدت في صورة تانجاي.

(1) لعبة تنطوي على إنشاء أشكال هندسية متنوِّعة من خلال تمرير خيوط ما بين الأصابع، إمَّا بشكل فردي أو بتمرير الخيوط ذهابًا وإيابًا بين لاعبين أو أكثر (المترجم).

"اعتقدت أنك ستجربُ المزيد من الأشياء. لأنك تجسّدت في زمن ماضٍ، كان بوسعك أن تصبح ملكًا قويًا، على سبيل المثال، أو أن تؤسس مملكة جديدة".

كرّرتُ: "كان ذلك كافيًا".

عندئذ سمعت صوتًا فضوليًا، من النوع الذي يصدره مُكبّر صوت بحدّة مرتفعة في غرفة صدى مُصمّنة (... تراءت ومضات غريبة من المعرفة في رأسي). اتّضح لي أنه لا بُدَّ وأنني أستمع بدون طبلتي الأذن. في الوقت الحالي، يمكنني التقاط أي صوت بدءًا من التردّدات المنخفضة التي تسمعها الحيتان حتى الموجات فوق الصوتية التي تصدرها الخفافيش.

كان هذا الصوت صرخة طفلة. ارتعش جسدي الميت. بنت صغيرة مغطّاة بالطين والدموع تشقُّ طريقها للخروج من تحت جسدي الهامد. حاولت البنت وهي تبكي، أن تجد والدتها بين أكوام الجُثث حولها، ثم ابتعدت بخطوات عرجاء.

قال تانجاي: "إذا كان موتك من أجل إنقاذ طفلة؟".

"إنه عمل هادف".

"هو كذلك بالفعل. كل حياة تُغيّر الكون كله. سواء كانت تلك الحياة ملكك أم لا".

رَما كان تانجاي يواجه مشكلة مع لعبة مهد القط، إذ نبتت ثلاث أذرع أخرى من ظهره. بإحدى ذراعيه، حكَّ رأسه. بذراع آخر حكَّ مؤخرته. وبالأذرع الخمس الأخرى، تلاعب بالخيط بهذه الطريقة أو تلك حتى يصنع شكلًا معيّنًا. شكل سفينة فضاء معقّدة. في الماضي عندما كنت كائنًا على الأرض، لم أملك القدرة حتى أتعبّ أين وكيف يجب أن ينثني الخيط لإنتاج هذا الشكل.

قال تانجاي بشكل دفاعي، ملاحظًا نظراتي: "أسعى لإتقان فنّ قتل الوقت. ماذا كنت أقول؟ آه" تتم تانجاي لنفسه قبل أن يتابع: "حياة هذه الطفلة تعني أكثر من ذلك. الشخص الوحيد الذي يستوعب معناها الكامل هو نابان. حتى هوانجتشون لن يعرف حتى يندمج مع نابان."

هوانجتشيون. فكّرت في الاسم. كان غير مألوف. ربما هو الاسم الذي قرّر الكيان الناتج -أيًا كانت هيئته- عن اندماج الكون بأكمله باستثناء المملكة الدنيا، وأمان وأنا وتانجاي، أن يطلقه على نفسه، أو...

"أنا من محّا أمان في كل عصر"، قلتُ بينما كنت أسير نحو تانجاي وأسحب طرف الخيط الذي يُشكّل محرّك سفينة الفضاء بدأ الخيط يتفكّك من تلك النقطة. عندما رفعته لأعلى، بأعجوبة، استوت سفينة الفضاء في خطّ واحد. "لذا فأنا أعرف أين تتلاقى القوى".

كنت أنا أيضًا الصبي الذي أطلق السهم من سفح الجبل في ذلك اليوم. كانت إحدى ذواتي القديمة التي تساقطت فوق المملكة الدنيا للفضاء على كل نُسخ أمان. كنت خائفًا، وواصلت مناداة أمي، لكنني تمكّنتُ من تحرير وتر القوس كما تدرّبت دائمًا. امتطى السهم الريح وأصاب الطفلة أمان بينما كانت تندفع بعيدًا عن وطيس المعركة، ممسكةً بيدِ أمها. كانت تلك الريح أنا أيضًا. كنت أنا أيضًا غصن الشجرة الذي تعثّرت به والدة أمان. وأنا أيضًا الجنرال الذي قاد المعركة، وعمدة القرية الذي دفع الأم والطفل نحو الجبل. وهكذا عرفت وحدي متى أتدخل لإنقاذ أمان. كنت أعرف وحدي كيف سينتهي التاريخ إن عاش أمان.

الآن فقط، ألقيت بنفسي وسط ذواتي الأخرى، وقاطعتهم في النقطة الصحيحة بالضبط إذ كانت الغاية الوحيدة لهذه الحياة.

قال تانجاي: "يجب أن يكون هناك الكثير من المتغيّرات التي تتفاعل مع بعضها بعضًا، ولكن يبدو أنك وجدت المتغير الصحيح بطريقة ما. التفاعل بين حياة وأخرى أكثر تعقيدًا بكثير من مسألة الأجسام الثلاثة، ومن أي حسابات للأنظمة المعقدة".

"توجد الكثير من النقاط المناسبة. هذه فقط تصادف أن تكون واحدة منها. يكاد يكون من المستحيل الحصول على النتيجة التي أريدها، ولكن تجنّب النتائج غير المرغوب فيها يمكن أن يتحقّق بمعادلة أبسط".

في التاريخ الأول الذي محوّه، هربّت هذه الطفلة بمفردها من ساحة المعركة، وتعثّرت في معسكر لقطع الطرق في الجبال أقامه مزارعون فرّوا من الحرب ومملكتهم، وكان يحكمه فرمان بسيط ورعوي. هناك، انغمست أمان في الكتب والسحر الطاوي، ونشأت حتى صارت قائدة لهم. بدأت تمرّدًا مدنيًا أطاحت فيه بالملك واستولت على العرش. حكمت بصفتها ملكة قوية، وشيّدت إمبراطورية مترامية الأطراف، وعاشت حياة مديدة ومتكاملة. بعد وفاتها، انتشر التعلم الشرقي، والملكيّات النسائية، والحكومات ذات التمثيل الجندي المتوازن في جميع أنحاء آسيا وأوروبا. ظهرت الممالك النسائية عبر التاريخ، في حين ترسخت أشكال الجمهوريات المتقدّمة إلى حدّ ما، وإن كانت تحمل بعض الاختلافات الطفيفة عن الديمقراطيات الحديثة، في جميع أنحاء العالم في وقت مبكّر. عندما محوت هذه النسخة من أمان، اختفى ذلك التاريخ معها، ولم يترك سوى أثر خافت لحياتها في القصص الشعبية والأساطير.

حذفت واسترجعت كل نسخ أمان الأخرى الذين تركوا بصمة في التاريخ، واختفت حياتهم في عالم الأسطورة. في العصور اللاحقة، عندما خضع أمان للعديد من الانقسامات، أصبحت أكثر صرامة في

تنفيذ مخططاتي. أشعلتُ فتيلَ مطاردةٍ ساحراتٍ سخيقةٍ في العصور الوسطى، واستخدمتُ الإجهاض الانتقائي علي أساس الجنس لصالحني في الأزمنة الحديثة والمعاصرة. بمجرد أن انتهيت، كانت الديمقراطية الوحيدة المتبقية في العصور القديمة هي نسخة محدودة من الولايات-المدن الإغريقية. ودُهِست الثورات والحركات المدنية بلا رحمة في معظم الممالك كما استُبعدت النساء من جميع المؤسسات الاجتماعية والسياسية. لم أشعر بالذنب تجاه النتائج في وقتها.

قال تانجاي: "أعتقد أنني فهمت ذلك. التاريخ متغيّر. لكن كلما تغيّر، تتغيّر ذاكرة العالم معه، ولا أحد يدرك أنها تغيّرت. باستثناء الشخص الذي سافر بالزمن إلى الوراء. يشبه الأمر ألعاب المغامرات حيث تتذكّر الشخصية في اللعبة مسارًا واحدًا فقط، لكن اللاعب يتذكّر كل مسار لعبه من قبل...".

عندما نظرت إليه ببلاهة، تمتم: "ألم تلعب لعبةً من قبل؟"، ثم طوى أذرعته، ذراعًا تلو الأخرى.

عندما لاحظ تانجاي أنه لم تتبقَّ لديه سوى ذراع واحدة، سحب ذراعًا أخرى للخارج وهو يصيح متفاجئًا: "ها!".

كان ذلك عندما خطرت فجأةً ببالي فكرة. "كيف فصلت نفسك؟".

رمش تانجاي. كانت نظراته أكثر حكمةً ممّا كنت أتذكّر، وأكثر إنسانية قليلًا ممّا كانت عليه عندما التقيت به آخر مرة.

"إن كنت تقصد كيف فصلت نفسي عنك، فقد انفصلت لحظة 'ولادتي'. لكن لا يبدو أنك تسأل عن ذلك. لا بُدَّ أنني قد اندمجت مع أحدهم لاحقًا، أليس كذلك؟ لكن لا أتذكر ذلك. منذ اليوم الذي وُلدت فيه، كنت أنا طيلة الوقت. بالطبع، قسمت نفسي عدة مرات لأقبل طلبًا جددًا".

عَضَّ تانجاي على إصبعه، وانغمس في التفكير. لم أرَ في أي مكان في جسده خيطًا يربطه بالكون. رغم أن رؤيتي لم تكن في أوج حدتها الآن. "وأمان؟"

"لا يزال كما كان دائمًا. وهو لا ينسجم مع المعلمين الآخرين. خاصة المعلم هوانجتشيون. لكن الجميع يبذل قصارى جهده لعدم التطفُّل على مجالات نفوذ بعضهم بعضًا. لست متأكدًا مِمَّا تريد سماعه. لا يزال المعلم أمان يعتقد أن كل كيان منقسمٌ كَوْنٌ في حدِّ ذاته. يقدرُ المملكة الدنيا أكثر من مملكة الظلام أيضًا. مدرسته الفكرية تحظى بشعبية بين الأطفال حديثي الولادة. عفوًا؟ أنت لا تبكي، أليس كذلك؟"

ظهرت ذكرى على السطح ببطء، ذكرى مُشكِّلة حديثًا. المملكة العظيمة التي عاشت حياتها ووصلت إلى عالم الموتى، أدركت على الفور أن ذاتي المستقبلية قد حاولت قتلها، وأن كيانًا من مستقبل أبعد حتى قد أنقذها. ذهب أمان لرؤية نابان العجوز -الذي ما كان يعرف شيئًا حتى الآن وراح يستريح في معبد- وشنَّ عليه حربًا من المجادلات والإقناع. انخرط الاثنان حتى في العديد من المبارزات التي تضمَّنت تبادلَ جزء من جسديهما. انتهت المبارزات بوعد نابان بأنه لن يخطط أبدًا للقضاء على أمان، أو التعاون في مثل هذا المسعى. قال تانجاي: "يبدو أن ذاكرتك عن سبب مجيئك إلى المملكة الدنيا مختلفة عن ذاكرتي".

"أفترض ذلك".

ثمة بعض العدالة في التاريخ المتلاشي أيضًا. تمامًا كما سيكون هناك بعض الظلم في هذا التاريخ الناشئ حديثًا. أنا أتحمَّل المسؤولية الوحيدة والكاملة عن ذلك أيضًا. لم أكن لأسلك هذا المسار إن لم أكن فاسدًا، لكن لو لا الفساد، ما كنت لأفكر في إبادة أمان في المقام

الأول. بما أن ذاتي الحاضرة فاسدة، فأنا أرغب على الأقل في التراجع عن الميئات التي سببتهما للآخرين. بغض النظر عن العواقب. سألني: "حسنًا، على الأقل هكذا كان الكون في الأصل، أليس كذلك؟".

أجبت: "لا يوجد كون أصلي!".
ثمّة حياة واحدة فقط، والكون المتغيّر باستمرار الذي تخلقه.

مكتبة
t.me/soramnqraa

أخبرني أمان بأن أذهب إلى مبنى قديم. عرف أنه يمكنني الذهاب إلى أي مكان.

قال لي: الآلهة تسكن في الأشياء القديمة. إن أردت حقًا العثور على شخص يشبهني، فابحث بين غير الأحياء لا الأحياء. تحدّث إلى الصخور أو الجلاميد. الكائنات التي نجت من عصور من الدمار البشري، وعاشت ألفية بعد ألفية، تتمتع بالذكاء وستجيبني إن شاركتها حقيقتي من كل قلبي. أخبرني أمان أن أكون صداقات بهذه الطريقة، إن كنت وحيدًا جدًّا. ثم حكى لي أمان عن أساطير مقبرة الملك موهمو المدفونة تحت الماء، وقصر جيونج بوكجونج، ومغارة سيوكجورامو، ومعبد شادوليس، وسفن السلاحف.

ارتعشت زوايا فمي كلِّما روى أمان مثل هذه القصص بوجهٍ وَقورٍ. كِدْتُ أضحك عندما ذهب إلى حدِّ استحضار برج لوت العالمي⁽¹⁾. لكنني أجبرت نفسي على الحفاظ على وجه جاد. بقدر طول حكايات أمان، كانت تتسم بالقداسة. لم تُولَد القداسة من الحقيقة، بل من سرد الراوي الماهر الذي لم يكتفِ بالسجلات التاريخية بل أضفى عليها شيئًا من الإثارة. احتوت هذه الحكايات الشعبية التي تناقلتها

(1) ناطحة سحاب تقع في سيول بكوريا الجنوبية. ارتفاعها 555 مترًا. افتتحت في 11 أبريل 2017، وهي حاليًا أطول مبنى في كوريا الجنوبية وخامس أطول مبنى في العالم (المترجم).

الأجيال، وابتدعها أكثر من مؤلف على المزيج الصحيح من المواعظ الأخلاقية والمفارقات وتقلبات الحبكة والمشاعر. كنتُ قد بدأت في التساؤل عمّا إن كنت أعرف حقائق الكون بمفردتي، أم كنت منغمساً في خيال من صنعي. كيف تختلف الحقيقة التي لا يمكن التَّحَقُّق منها وغير المسجَّلة عن الأسطورة؟ لذا بدلاً من تصحيح خطأ أمان، شرعت في الترحال.

كانت شوارع سيول مغطاة بكرومات يورمونغاند حمراء. اخترقت سيقانها الخشبية السميكة الخرسانة وتسلَّقت إلى قِمَم ناطحات السحاب، مستخدمة جدران المباني كدعامة لها. تداعت المباني مثل الورق داخل قبضتها الحديدية لكن لا يزال البشر يسكنونها. كانت الروبوتات، التي قد يطلق عليها آخر "كائن" على الأرض متحالفة مع البشر، تقف للحراسة كل ليلة وتقوم بدوريات في محيط المباني. تتغذى كرومات اليورمونغاند على الأوزون أو الأمونيا وتطلق أزهارها السُموم. وكانت محصَّنةً ضد كل مادة كيميائية قاتلة اخترعها الإنسان. تجوّلت ثيران يمير العملاقة في الطرق على أربع أرجل، ونفثت بخار أصفر كريبه الرائحة من أفواهها. بعرضها الذي يمتدُّ مئات الأمتار من عمودها الفقري حتى أقدامها، هزَّت الثيران بحركتها المباني وسحقت الأسفلت في كل خطوة. نظراً لانهيـار الطرق مدة طويلة تحت أقدامها، لم تتمكَّن سوى المركبات ذات الدفع الرباعي والدراجات النارية من السير فيها. اعتاد بعض الناس مؤخَّراً امتطاء ذئب فزير الرمادية التي اصطادوها في الجبال.

قال الناس إن هذه كانت نهاية العالم. خالفتهم الرأى. كانت ببساطة نهاية الجنس البشري. قال الناس إن الآلهة قد تخلَّت عن العالم. خالفتهم الرأى. تحوَّل الاهتمام الإلهي ببساطة بعيداً عنَّا إلى مخلوقات أخرى. كل السلالات الجديدة كانت مقاومة بشكل رائع للتلوث والجراثيم. تضاعفوا بسرعة مخيفة في البيئات التي كان فيها

الأوكسجين نادراً لكن نسبة الأوزون والأمونيا قد ارتفعتا. نمت من مقالب قمامة بلاستيكية وغزت محيطات بعيدة عن متناول الإنسان، وانتظرت لحظتها المناسبة، وزحفت أخيراً إلى الأرض بعد أن تدمرت المدن عدّة مرّات. في البداية حاول الناس إيجاد طرق للقضاء عليها، ولكن بمجرد استخدام أي مبيد حشري أو غاز سام عليها، توالد الجيل التالي مُحصّناً ضده وبدأ في التكاثر بسرعة مرة أخرى.

رحت أتجوّل في الشوارع ليلاً، لا أحمل معي سوى خنجر وسلّة في يدي لأتظاهر بأنني كنت في الخارج من أجل الصيد. استكشفت أقبية المباني المنهارة وتحريّتُ أعشاش الكائنات الحية التي تعيش في المجاري. بحثت عن تلك التي بدت صالحة للأكل وأخذت عينات من الأنواع الجديدة لدراستها. أخبرت الناس أنني كنت أتحقّق من أي مخاطر محتملة، لكن أمان كان الوحيد الذي يعرف السبب الحقيقي وراء رحلاتي الاستكشافية؛ كنت أبحث عن كائن يُشبهني. إن كانت الطبيعة قد صنعت كائناً مثلي، ألن تصنع كائناً آخر؟ انتابني أحياناً شعور أن بقية البشرية شكّلت كياناً واحداً متجانساً، وكنّت أنا الكائن الغريب.

قال أمان: "الجميع يعتقد ذلك عندما يكونون صغاراً".

اعترضت: "أنا لست صغيراً".

"لكنك لم تكن راشداً أبداً".

عبث أمان بشعري كما لو كنت طفلاً. كانت يدها نحيفتين ومتجعدتين. أصيب بالعمى منذ مدة، وبدأ يفقد سمعه بالفعل. سعل في الليل حتى ارتعش جسده كله، وبصق بلغمًا أسود. سوف تنفذ حياته قريباً. مثل كل نسخ أمان الأخرى الذين أحببتهم من قبل.

كان النسخة الذَّكر السادسة من أمان الذي يتزوَّجني، والطفل السابع عشر الذي أسميته "أمان" عند "الولادة". كان من نسلي، على وجه الدقة، ولكن المحاذير ضد سِفاح القربى قد رُفِعت منذ مدة طويلة. كانت النساء القادرات على الإنجاب نادرات، والشابات أكثر نُدرَةً حتى. ثمة وقت حبسني فيه العلماء في المختبرات وخطموني إلى خلايا لاستخلاص سرِّ الخلود مني، لكنهم، مثل الآخرين، انتهى بهم الحال في سجلات التاريخ. إن أراد أيُّ شخص تحليل جسدي الآن، فالتكنولوجيا اللازمة لذلك لم تُعد موجودة. بدلاً من محاولة الكشف عن سرِّ خلودي، كان الناس اليوم يوقِّرون حياتي نفسها. كانت الإنسانية في عصر الأسطورة أكثر تقبُّلاً للمجهول من الإنسانية في عصر العلم. فكَّرت في زيارة مقبرة الملك موغو تحت الماء أو مغارة سيوكجورام، لكنني قرَّرتُ زيارة برج لوت العالمي من باب المُفارقة الساخرة. حدث أيضاً أنه المكان الذي وجدت فيه ثلاثة أنواع من الفطر وخمسة أنواع جديدة من الأسماك، في الطابق السفلي المغمور حيث انفجر الأكواريوم.

ربما كان أمان على حقِّ. كانت الأشياء الجامدة غير الحيَّة الأشياء الوحيدة التي كانت موجودة منذ زماني. ربما كان الكائن الذي عاش منذ الأبد أقرب في هيئته إلى شيء غير حي. تجوَّلتُ في مبنى تغطيه نباتات اليورمونجاندر، ووجدت مكاناً مناسباً للجلوس فيه. متَّكئاً على جدار رطب تفوح منه رائحة العفن والصدأ، بدأت محادثة مع المبنى بمُزاح في البداية، ثم بجدية. امتلكت الخلود في يدي بعد كل شيء؛ لذا ربما سيتعيَّن عليَّ أن أحاول إلى الأبد. سئمت من فقدان أمان على نحو متكرَّر. سئمت من عدم وجود أمل في اجتماعي بأمان في عالم الموتى. كنت أرغب في الحصول على إجابات. إجابات لأصل ومعنى وجودي، سبب استمرار حياتي.

اكتشفت أن الجوع لا يمكن أن يقتلني، منذ ثلاثة قرون، عندما كنت عالماً في نفق تحت الأرض، وقررت أن أجرب. كنت أتصور جوعاً، لكن هذا كان كل شيء. ما زلت لا أستطيع أن أفهم كيف كان ذلك ممكناً. لكنني كنت أشك في أن شيئاً ما في جسدي ربما قادر على تحويل الضوء أو الهواء أو الرطوبة إلى نيتروجين، كما يقوم النبات بعملية التمثيل الضوئي.

بعد أيام كثيرة لا يعلم أحد عددها، تلقيتُ ردّي. لكن ليس من المبنى.

بدوا وكأنهم أطياف، ملفوفة في الضباب، مهتزة وشفافة. كان لهم أطراف ورؤوس ضخمة مثل تلك الخاصة بالبشر، ويبدو أنهم يمشون على قدمين، لكنني لم أستطع التأكد من ذلك. في البداية اعتقدت أنني كنت أتوهم رؤية الأشياء بسبب جوعى. لكنني شعرت بوجودهم ثقيلًا لدرجة أنه من المستحيل أن يكونوا خياليين. أو ربما يكون هناك فطر أو طحلب مُسبّب للذهيان في الجوار. إن لم تكن هلوسة، فلا بُدَّ أن يكونوا مخلوقات تولد أطوال موجية تتجاوز حدود الطيف البصري البشري. ربما ظهرت مثل هذه السلالات مؤخرًا.

- كئنا ننتظر، يا نابان.

تردد صدى صوت في ذهني. بينما كانوا يخاطبونني باسم غريب عني، تحدثوا بلغة بشرية- لغتي.

انتظرتهم؟!

لم يكن ظهور سلالات ذكية مفاجئاً في حد ذاته. كنت أتوقع ذلك. لكن حقيقة أنهم يتحدثون لغة كنت أعرفها جعلني حذراً. كان أحد الأشياء أن يمتلكوا ذكاء، ولكن أن يمتلكوا نظام لغة مماثلاً لي؟ حتى لو لم يمتلكوا نظام لغة مماثلاً لي، فلماذا يكلفون أنفسهم عناء تعلّم

لغة السلالات الأخرى؟ مجددًا، كنت أظن أنني أهذي. ربما استشعروا
الأسئلة التي تتشكل في ذهني لأنهم أضافوا:

- ننتظر رغبتك في البحث عن كائن من نوعك نفسه حتى
تصبح قويًا بدرجة كافية.

سحبت غريزيًا خنجرًا من حزامي. مع أن جسدي كان إلى الأبد
جسد طفل يبلغ من العمر خمسة عشر عامًا، إلا أن قدراتي الجسدية
لم تتوقَّف أبدًا عن النمو. بالطبع، كان التدريب ليغدو بلا جدوى
إن أبطل جسدي الغامض أي تغييرات في كتلته العضلية، لكن جسدي
طوّر مهارات بدنية بلا توقُّف مثلما راكمت دماغى المعرفة. بدون
قصد، كنت امتلك جسد شخص خضع لآلاف الساعات من التمارين
والتدريب - رغم أن قوتي كانت لا تزال محدودة بما يسمح به
جسدي الأساسي.

تحدثوا معي كما لو كنت قد خضعت للاختبار دون أن أدرك ذلك،
واجتزته بالفعل. في اللحظة التي سمعت فيها كلماتهم، غمرني الشعور
بالفخر والإنجاز كما لو أن جهود حياتي قد بُتت جدواها. شعرت
بأنني هام، عظيم حتى. كانت هذه مشاعر خطيرة حتى تساورني
في حين لم أكن أعرف مَنْ هم، ولم يكن لديّ أدنى سبب للثقة بهم.

- نحن بالضبط ما كنت تبحث عنه، يا نابان.

مدّت الأظفار البيضاء أيديهم في انسجام تام. وقفتُ على قدمي،
ولمست الجدار خلفي، ورفعت خنجري أفقيًا أمام وجهي، متخذًا
وضعية دفاعية.

"إن علمتم أنني كنت أبحث، فلماذا لم تأتوا وتجدونى في وقت
سابق؟".

- هذا الحديث لا معنى له. خُذ بأيدينا؛ عندئذ ستفهم.

كان بإمكانني التَّعامُلَ معهم مباشرة لاختبار قوى عدوِّي، لكنهم كانوا يفوقونني عددًا، ولم أستطع المخاطرة بالفشل. برغم أنني أتعافى بسرعة ولم أتقدِّم في العمر، لم أكن مُحصَّنًا من الإصابات. تحرَّكتُ بشكل جانبي حتى وجدت يدي فجوة ورأيت وركضت عبرها. ارتفعت الأطياف عن الأرض، وسدَّت طريقي. استدرت عندما وجدت نفسي محاصرًا. كيانات محسوسة ترتحل تحت الأرض؟ تحدوا المنطق كله. كنت أعلم أنه لا يوجد مَخْرَج؛ ولذلك انتظرت.

كان الطيف الذي وقف في المقدمة يمد يده إليّ الآن.

هل هذا كل ما يريدونه؟

عندما لم أظهر أي علامة على مبادرتي بإمساك اليد الممدودة إليّ، استطالت أرجل الطيف خلفه مثل مجسَّات الأخطبوط، والتفتت حول كاحلي بينما كنت أحملق بعينين واسعتين يملؤهما الرعب. كانت المجسَّات صلبة مثل الفولاذ، وتحرق كما لو كانت تنفث مادَّةً حامضة. اعتصرت كاحلي وكأنها تقصد بترَّهما.

حقيقة أنهم يُلحِقون بي الألم يوحي بأنهم بحاجة إلى موافقتي على ذلك الطقس أيًّا كان الغرض منه. أخبرني نفاذ صبرهم أن ثمة خطرًا عليهم أكثر ممَّا كان عليّ. سألتهم: "لماذا تريدونني؟".

- أنت واحدٌ منَّا. كنَّا كيانًا واحدًا في الأصل، لكنك انفصلت عنَّا. بمجرد أن نصبح كاملين...

"ماذا سيحدث عندئذٍ؟".

هدأ الطيف. هل كان هذا تردُّد الذي رأيته في عينيه؟

- وصل الجنس البشري إلى نهايته. استشرى فيه الفساد، ويجب تنقيته وولادته من جديد. كان يجب أن يحدث هذا منذ مدة طويلة، لكنك كنت تعيش في وسطهم؛ لذلك انتظرنا.

- صراحة، قمت بأقذر خدعة على الإطلاق. قلت إنك ستعيش حياة واحدة فقط، ولكن بعد ذلك تهبط إلى هنا بجسد خالد؟ يا لها من مفاجأة! لم يفعل أحدٌ ذلك منذ عصر الأسطورة. كنت في السابق تشتكي من أن العيش في جسد أدنى أكثر من عقدين، مُضجِر. انظر إليك الآن، ستكون سعيدًا بالعيش حتى تحترق الأرض وتحوّل إلى رماد.

“؟؟؟؟”

نظرتُ إلى الطيف، مذهولًا. بدأ الطيف المتذمّر في إصدار إشعاع في حين يزداد شكله الخارجي وضوحًا. من خلال ستار من الخيوط الفضية، شاهدت امرأةً ممتلئة الجسم لها جدائل مضفّرة، وترتدي معطفًا ملطخًا ببصمات أصابع متسخة. لم تكن تشبه أي إله أو شبح أو حاصد أرواح أو فضائي. ولكن بالحكم على كيف أطال الطيف جسده من قبل، يبدو أنه قادرًا على تغيير شكله كما يشاء.

- إن كنتَ تريد العودة في أي وقت إلى مملكة الظلام، أيها المعلم، فقط فكّر في الأمر. سأطير إليك على الفور. حسنًا؟

ثم انطلق الطيف- المرأة بسرعة كوميض. اختفت معها الأطياف الأخرى. حين وجدت نفسي وحدي فجأة، لم أستطع إلا أن أرمش مرة ثانية في ذهول.

التقطت بعضًا من فطر عيش الغراب من تحت المياه التي تغمر الطابق الأرضي، واصطدت ثلاثة أو أربعة من المرجانيات الإمبراطورية في الأكواريوم، وغادرت المبنى بسلّةٍ ممتلئة. كان الفجر. غمر توهُّجٌ قرمزيّ المدينة، وسار قطيع ثيرانٍ يمر عملاقة ببطء على مبعدة، مُطلقة صيحة بووو من حين لآخر. بدوا بطيئين بسبب حجمهم

الهائل لكنهم كانوا في الواقع يتحركون بسرعة كبيرة. تتمايل نباتات اليورمونغاند حول المباني المتلائة في ضوء الشمس، حمراء مثل الأوردة.

خطرت لي فكرة غريبة. ربما كان الكون حيًا لأنني كنتُ على قيد الحياة. ربما تراقبنا كائنات كئيبة القدرة من مكان ما في تلك السموات. كائنات تعرف كل شيء ما عدا قيمة الحياة. وهم الذين كانوا غافلين عن عظمة البقاء واستهزؤوا بمعارك الحياة، وهم الذين فشلوا في رؤية قداسة فردانية شخص واحد. ومع ذلك من خلال بعض الترتيبات التي لم أكن على دراية بها، لم يتمكنوا من لمس هذا العالم طالما عشتُ أنا فيه...

... كانت مجرد فكرة.

ومع ذلك، لم تكن فكرة سيئة أن أحاول العيش طالما امتلكت الجرأة على ذلك. أمسكت سلتي بقوة وبدأت رحلة العودة إلى المنزل، حيث كان أمان ينتظر.

خفضت عيني إلى جسدي الميت، الجندي الصبي الصغير الذي اصطدم وجهه بالأرض. بعد أن قبلت حقيقة موتي، بحثت حولي بحثًا عن لافتة تقول: هذا الطريق إلى عالم الموت، أو ربما مرشد يحمل لوحة إرشادية مع عبارة: مرحبًا. جميع زوار الجحيم، اصطفوا هنا. رأيت خيالًا يقف أمام صخرة، مرتديًا رداءً دُوبو أسود طويلًا وقلنسوة متماشية معه. لاحظت عيونه الضخمة الذهبية التي بدت وكأنها عملات معدنية محطمة، وأطرافه الرفيعة المرئية بالكاد تحت رداءه.

رسول الموت؟

لكن خيط أفكاري انقطع بسبب الذكريات الأخرى التي تواترت بداخلي كما لو كنتُ أستفيق من صداع ما بعد التَّمَل. الذكريات التي قمعها جسدي حتى الآن، والتاريخ المحفور في كل حياة سابقة لي. بات ذهني أكثر صفاء عندما استدعيت جسدي الروحي، الذي انفجر منقسمًا إلى أجزاء شتَّى من صدمة الموت. سيتمكن البشر الحساسون من رؤيتي عندما أكون مجمَّع الأجزاء، لكنني كنت أشكُّ في أنهم سيرون الكثير من خلال أطيا فهم البصرية الضيقة للغاية التي لا يمكنها حتى تسجيل الأشعة تحت الحمراء والأشعة فوق البنفسجية.

ناديت باسمه: "توشيتا"، وأغلقت فمي. ألم يفقد فردانيتها بالاندماج مع الكل؟ حقيقة وجود توشيتا تعني أن التاريخ قد غير مساره. رغم فشلي، عشت الحياة التي اخترتها. قلت: "جعلتك تنتظر طويلًا. عشت حياتي الواحدة، وأنا راضٍ. يمكنك أن تأكلني الآن".

مددتُ يدي نحو توشيتا. لكن توشيتا ظلَّ صامتًا. كانت عيونه مظلمة وكئيبة. شعرت أن ثمة خطبًا ما فذهبت إلى توشيتا وأمسكت بمعصمه. كان هزيلًا. أكثر بكثير ممَّا بدا للوهلة الأولى. تقلَّص جسده إلى حجم مثير للشفقة. حتى لو استدعى جميع الأجساد الروحية التي لديه، فإن حجمه سوف يتضاعف مرتين أو ثلاث مرات على الأكثر. لن يبلغ حجم كون أو كوكب أو كويكب في الحقيقة، ولا حتى جبلًا أو غديرًا. هل كان هذا حقًا توشيتا الذي دمج زملائي أجسادهم من أجله حتى يتصدى لفساد المملكة الدنيا؟

قال توشيتا بصوت أجش: "فزت يا نابان".

"كيف؟" سألت. لم أَسرِّدْ ذكرياتي عن هذا الكون الجديد بالكامل بعد. أجال توشيتا ناظره فيّ، محاولًا تقييم ما إذا كنت أمارحه أو كنت جاهلًا حقًا. يبدو أن قدرته على الإدراك أصبحت أيضًا ضعيفة بشكلٍ يسترعي الشفقة.

"كنت قد سجنتك، لكن أجزاء من أمان وأطفاله خطفوك، وأزالوا من جسدك شيفرة الاندماج دون إقناع، وامتصوها. عرّفوا مَحَوْنَا أمان من التاريخ بأنه خيانة للكيان الكلي كما عرّفونا على أننا فاسدون، وليس هم".

تجلّت ذكرى جديدة في ذهني. تلاشت صلتني بالكيان الكلي بحلول ذلك الوقت ولم أستطع منع الأطفال من تفكيك جسدي. يأسى من فشلي منعني من التفكير حتى في محاولة إيقافهم.

"سرق الأطفال شيفرتك، وحوّلوها إلى نوع من برامج القرصنة. نشروا فيروسًا في جميع أنحاء مملكة الظلام، فيروس يعزل الكيانات عن الكل ويعرقل الاندماج. انتشر المرض في جميع أنحاء المملكة، وفقد نصف عددنا القدرة على الانقسام أو الاندماج. كما فقد الأنبياء

والمعلمون معظم أجسادهم. للتجسّد في المملكة الدنيا؛ يجب عليهم الآن المرور عبر آلة معينة في باردو أمان".

لم أنبس بينت شفة. إذًا فقد فُزْتُ. من المفترض أن أكون سعيدًا، لكنني لم أكن كذلك.

سألت: "ماذا عن تانجاي؟"

"قاوم. بأساليب غير مفهومة. أطلق النار مستخدمًا مدافع ليزر وصورايخ. حتى إنه نشر جيشًا من الروبوتات. في النهاية قبض جيش أمان على تونجاي. فكّكوه تمامًا ودمجوه في العديد من الشخصيات المختلفة. حتى يجعلوا استعادة شكله الأصلي مستحيلًا... اعتاد تانجاي الاعتناء بهؤلاء الأطفال. يصعب عليّ فهم لماذا يفعلون ذلك بمعلّمهم".

لم يكن صعبًا عليّ فهم ذلك. لم يكن تانجاي فاسدًا. وأنا أيضًا لست فاسدًا الآن.

"شارك أطفال أمان معرفة مملكة الظلام مع المملكة الدنيا. مرّوا تكنولوجيا وحكمة الآلهة. شهدت المملكة الدنيا تقدّمًا باهرًا في العلم، والذي يهدّد الآن بتجاوز حدود السحر. يعرف الأشخاص المستنثرون في المملكة الدنيا أن الحياة الآخرة موجودة، ويمكنهم الآن التواصل مع مملكة الظلام. يعرفون كيف يعيشون حياتهم. يمكنهم الوصول إلى حكمة جميع الأنبياء من خلال القنوات الروحية. كل شيء كما أراده أمان".

أراده أمان؟ على حدّ علمي، لم يكن أمان يريد شيئًا من هذا القبيل.

"فزت، يا نابان. الحاكم الحالي لمملكة الظلام هو أمان. بنى أمان معبدًا هائلًا هناك ويقوم بكل الاستعدادات للترحيب بك. جئت لأجرك لأنني أفضل أن تأكلني أنتّ على أن يُقبض عليّ وأفكّك. من

فضلك، كُنني واحتضن معرفتي وذكريات نسخ حياتي كلها، حتى أحتفظ بكينونتي. نظرًا لحجمك، فإن إضافتي إليك لن تعرض هويتك للخطر".

لم يدرك توشيتا أنه لم يعد بالفعل ما كان عليه سابقًا. كان التَّشْبُثُ بهوية الفرد علامة على التَّلَوُّث، لكن يبدو أنه لم يلاحظ ذلك.

رفعت يدي عن ذراع توشيتا. عندها فقط استوعبت حجمي الحقيقي. عاد جسدي إلى ما كان عليه قبل أن أبدأ في القضاء على أمان. بنفس الحجم تقريبًا الذي كنت عليه عندما حصلت على اسم نابان لأول مرة. الآن عرفت المدى الكامل لقدراتي وامتيازاتي. كنت الكيان الأول، والنبى الأول. يمكنني "ولادة" عدد لا يُحصى من الأطفال مرة أخرى وإعادة إسكان العالم. لو اتصلت مملكتنا الظلام والدينا كل منهما بالأخرى، فسيكون ذلك بحد ذاته بداية لتعلم جديد. أودُّ تعليم الناس حتى لا يعانون أبدًا. أودُّ نقل كل نسخ حياتي السابقة إليهم.

استمتعت بهذه التَّخْيُّلات التي نالت رضا قلبي. كم كانت مُمتعةً. لكن بدلًا من أن أفقد نفسي في المتعة، كبحت جماح نفسي.

ناشد توشيتا: "من فضلك، كُنني".

"ماذا لو رفضت؟".

حدَّق توشيتا في وجهي باندهاش لكنه سرعان ما تماسك. كنتُ ضخمًا جدًّا وتوشيتا ضئيلًا جدًّا، لدرجة أنني كنت أستطيع الرؤية ما يضمُّره في أعماق قلبه.

"أنت قاسٍ غير أنني أفهم السبب".

مكتبة

t.me/soramnqraa

ابتلع توشيتا غضبه وذكّر نفسه بالأشياء التي فعلها بي. بدا أنه يعتقد أنني اقتص منه بسبب ما ارتكبه من خطايا في حقي. داخل تلايف عقله، بدأ يحلّل مسائل الصواب والخطأ، المكافأة والعقاب.

"إن رفضت أكلي، فسوف أقاتل أمان. من وجهة نظري، أمان فاسد. ربما لم يكن كذلك في الماضي، لكن من الواضح أنه فاسد الآن. نما حجمه بصورة هائلة، ودمّر التوازن. مع أن جسدي تافه، إلا أنني سأقاتل. ولهذه الغاية سأواجهك أولاً. سأحمي هويتي من خلال هذا القتال. بمجرد أن تهزمني، فككني أو اعزّني في الجحيم".

قلّصتُ حجم جسدي قليلاً. ظهرت الجاذبية عند طرف إصبعي، وبدأ الكون يتجمّع هناك. من الناحية النظرية، لا بُدَّ أن حواف الكون قد تموّجت. كان أمان يشعر بذلك أيضاً من المكان الذي يوجد فيه في مملكة الظلام. استعدّ توشيتا للقتال، لكن خطورته بدت شبه معدومة مثل خطورة طفل متململ لا حول له ولا قوة.

أعرف كل إمكانياتي. وكل تناقضاتي.

لأني نابان، الذي يتذكر بداية الزمان. لأني لا أعرف شيئاً في الكون ليس أنا. لأنني أعلم أنه لا يوجد جزء من الكل أعلى من الآخر؛ ببساطة ثمة أجزاء أكبر أو أصغر فقط. لأنني أعلم أن الفساد ينشأ عندما يحاول المرء إقصاء الآخر من العالم. لأنني لست فاسداً في هذه اللحظة.

فتحت فمي.

"كيف يمكنني المساعدة يا توشيتا؟".

3

ما وراء القصة

نبئ الفساد / تلك الحياة الواحدة

بدأت في كتابة "نبئ الفساد" بعد أن كتبت عملي "الجلادون السبعة". بينما كنت أكتب الجلادون، أعدت بناء عالم القصة عدة مرات من أجل الفصل السابع، الذي كانت تدور أحداثه في الحياة الآخرة. خَطَطْتُ لأخذ إحدى الفرضيات التي كنت قد صرَفْتُ النظر عنها في ذلك الوقت، وتحويلها إلى قصة مستقلة.

في البداية، لم أملك صورة واضحة للكون الخيالي للقصة باستثناء أن عالم الأحياء كان مدرسة للتنوير، وعالم الموتى بمثابة منتدى حيث تناقش مختلف المدارس الفكرية طرق التدريس، بطريقة مماثلة للأغورا (مكان للتجمُّع الثقافي) في أثينا القديمة.

بينما كنت أعمل في بناء عالم القصة خلال الصيف، فكَّرتُ في الشكل الذي قد يبدو عليه عالم الموتى إن كانت أشكال الحياة المادية موجودة هناك وشكلت نظامًا بيئيًّا. تساءلت كيف يمكن أن تبدو الكائنات الخالدة. إن كانوا خالدين؛ فلن يحتاجوا إلى تناول الطعام، وفي حالة عدم احتياجهم إلى تناول الطعام، لن يكون لديهم أجهزة هضم أو إخراج. ولن يكون لديهم أعضاء جنسية أيضًا؛ لأنهم لن يحتاجوا إلى التكاثر، ولن يكون لديهم أنف أو فم أو رتتان؛ لأنهم لن يحتاجوا إلى التنفس؛ لذلك اعتقدت أنها ستكون كائنات هلامية الشكل ذات حدود غير واضحة خضعت بشكل متكرَّر للانقسام والتَّمُدُّد، مثل

الأميبا أو الخلايا السرطانية أو الجزيئات. استقررت على فكرة أن الكون بأكمله، بما في ذلك عوالم الأحياء والأموات، كان كائنًا حيًا عملاقًا مثل غايا. ثم فكّرت في كيفية انقسام هذا الكائن الحي إلى كيانات مختلفة عندما ينتقل من عالم الموتى إلى عالم الأحياء؛ ممّا أعطاني فكرة لعالم تدور فيه مناقشات محتدمة حول "الانقسام مقابل الاندماج".

لم تكن لديّ رؤية واضحة لهذا الكون حتى بحلول شتاء 2013، عندما اضطررت إلى إرسال القصة إلى المجلة الإلكترونية Crossroads. تأرجحت بين مفهومي الانقسام والاندماج حتى قرّرتُ -على عكس نيّتي الأصلية- أن الانقسام كان سيئًا، وأنتجت قصةً بنهاية مُبهمة. الآن أدرك أن حيرتي نبعث من سوء فهم للعوالم التي ابتكرتها.

نسيت القصة مدّةً طويلة بعد ذلك، حتى اضطررت إلى إعادة استخدامها للنشر في كتاب. عندما شرعت في الكتابة، ابتسمت لنفسي إذ خطر ببالي فجأة أن القصص القليلة الأخيرة التي كتبتها كانت بالفعل تطوّرًا للكون في هذه القصة بالتحديد. تمكّنتُ من تنقيح العديد من الأجزاء التي لم أكن متأكّدةً منها. هذه القصة هي مراجعة وامتداد للقصة الأصلية المنشورة على الإنترنت؛ النقاط الرئيسية في الحكمة هي نفسها، لكنني استخلصت استنتاجات مختلفة للغاية، وأعتقد أن سبب ذلك هو أنني شخصيًا قد تغيّرتُ.

"تلك الحياة الواحدة" هي قصة فرعية خفيفة وأقلّ تعقيدًا من "نبي الفساد". عندما خطّرت لي فكرة قصة فرعية، انجذبت أفكارني بشكل طبيعي إلى فكرة الأكوان الموازية. بمجرد أن ينتهي مستقبل رواية، ألا يجب أن تتفرّع إلى تصوّرات لا نهائية في ذهن قارئها؟

رهما يعيش نابان تصوّراتٍ لا حصر لها للحياة بخلاف تلك الحياة المسجّلة في هذه الصفحات.

يونيو 2017

4

فهرس مصطلحات «نبي الفساد»

منطقة يخلقها النبيُّ بجسده. عادةً ما يتَّخذ الباردو شكلَ جرم سماوي، لكن حجمه وشكله يخضعان لأهواء النبي. في بعض الأحيان يأخذ شكل منزل أو سحابة. يجتمع الأتباع في باردو معلمهم لمناقشة حياتهم السابقة والتخطيط لحياتهم التالية قبل أن ينزلوا إلى مملكة الدنيا مرة أخرى. عندما يزور أتباع مدارس مُعيَّنة باردو مُعلِّمهم وليس أي مكان آخر، يظنُّ الأطفال الصغار أحيانًا -خطأً- أن باردو مُعلِّمهم هو عالم الموتى بأكمله.

اندماج

من وجهة نظر ثلاثية الأبعاد، الاندماج هو ضمُّ كيانيين في واحد. لكن من وجهة نظر رباعية الأبعاد، الاندماج هو إعادة توزيع الكثافة بين كيانيين متفاوئيَّ الكثافة. يمكن اعتبار الاندماج على أنه زيادة في الأنتروبيا (مقياس الفوضى). بمجرد الاندماج، لا يمكن للكيان العودة إلى حالته السابقة بغضِّ النظر عن مدى تعقيد الانقسام، وهذا هو السبب في أن الاندماج يُنظر إليه أحيانًا على أنه زوال الفردانية.

انقسام

الانقسام هو التوزيع غير المتكافئ للكثافة، وبالتالي هو عكس الاندماج. في حيِّز ثلاثي أبعاد، تكون الخيوط التي تربط أجزاء كل كيان غير مرئية؛ لذلك تظهر الكيانات منقسمة. يُستخدم المصطلحان "الاندماج" و"الانقسام" بناءً على كيفية ظهورهما للعين المجردة، في حين يجب أن يطلق عليهما من الناحية الفنية "توزيع متكافئ" و"توزيع غير متكافئ"، تمامًا مثلما عبارتيَّ "تشرق الشمس" و"تغرب الشمس" شائعة الاستخدام، رغم عدم دقَّتْها الواقعية.

إن تواجد كيانات متّصلان بخيط سميك وكان ثمة اختلاف بسيط في خبراتهما، فسيعتبران الذات نفسها؛ إن كانت خبراتهما تختلفان اختلافًا كبيرًا، فإن الكيان ذا الحجم الأكبر يُعتبر الأب، والأقل حجمًا هو الطفل. إذا كان الخيط الذي يربطها رقيقًا بحيث يكاد يكون غير محسوس، تُعتبر الكيانات ذات شخصيات مستقلة.

أدنى اختلاف بين أيديولوجية الطفل وأيديولوجية مُعلّمه يُفسّر على أنه ولادة كيان جديد، بينما يشير الاختلاف الشاسع بينهما إلى ولادة مُعلّم جديد. بعبارة أخرى، لا توجد حدود واضحة بين الكيانات. فكرة وجود حدود واضحة لا يتبنّاها سوى كيان فاسد. يكتسب الكيان المستقل الحق في أن يصبح مُعلّمًا، وكذلك الحق في تأسيس مدرسته الخاصة بصفته نبيًا.

نبي

يتخلّى النبي عن جزء من جسده لـ«يَلِد» طفلًا، ويخطّط لحياة الطفل، ويوجّه دراسته. بعض المعلمين لا يحملون لقب نبي ويفوقهم الأنبياء رتبة. أي كيان من الجيل الثاني نشأ من انقسام الكون البدائي يسمّى نبيًا. كما أصبحت بعض الكيانات من الجيل الثالث، مثل أمان، أنبياء بعد تحقيق الاستقلال الأيديولوجي الكامل عن معلّمهم.

الأسماء

أسماء الجيل الثاني لها أصول قديمة، ولكن معظم الكيانات من الجيل الثالث وما بعده تختار أسماءها بناءً على الهدف النهائي لتعلّمهم. تعني كلمة تانجاي «الرماد المحترق» وهي إشارة إلى العلم. يونشيم تعني «شوق مولود من الحب». چايهوا تعني «الثروة». وهكذا دواليك. الكون البدائي (الكيان الأصلي الذي انبثقت منه

كيانات الجيل الثاني) ليس له اسم لأنه كينونة واحدة، وليس لديه سبب لتمييز نفسه.

الچندر

لا يوجد في مملكة الظلام أي تمييز من حيث الجندر أو الميول الجنسية؛ لأن لا أحد يتكاثر. حتى إن تبنى الكيان مظهرًا «أنثويًا» أو «ذكوريًا»، فهذا ليس مؤثرًا على الجنس البيولوجي. سكان مملكة الظلام هم في الأساس عديمو الجنس، ولكن يمكنهم بسهولة جعل جزء من أجسادهم ذكوريًا أو أنثويًا. الخط الفاصل بين الأحياء وغير الأحياء غير واضح أيضًا في عالم الظلام؛ لذا يُنظر إلى جميع الأشياء غير الحيّة على أنها حيّة. لكن يمكن أن يبدو كيان فاسد أقرب إلى شيء جامد لأنه يواجه مشكلة في الاندماج أو التحدّث ذهنيًا. وقد يحتفظون أيضًا بآثار جندريهم من حياتهم السابقة في مملكة الدنيا.

الفساد

نوع من المرض يُصاب به أولئك المنغمسون بعمق في مملكة الدنيا. يعتبر أمان على نطاق واسع أول كيان فاسد. تُعلّق الكيانات الفاسدة أهمية أكبر على حياتها في مملكة الدنيا، وهي حقيقة افتراضية من نوع ما، أكثر من اهتمامها بتجاربها الحقيقية في مملكة الظلام. بكلام آخر، توصّلت الكيانات الفاسدة إلى الاعتقاد بأن المملكة الدنيا حقيقية، وأن مملكة الظلام محض وهم. يمكن أن يتجلّى الفساد في أعراض مختلفة مثل الاعتقاد بأن حاضر الكيان؛ جسمه ثلاثي الأبعاد يمثل الحدود الحقيقية لوجوده، ورؤية ذاته منفصلة تمامًا عن الآخرين؛ التعلّق الشديد بالشخصية المؤقتة وتفسير زوال تلك الشخصية على أنها موته؛ والهوس بالحالة الآنية للفرد؛ وبالتالي الفشل في التغيير أو رفض الاقتناع بالاندماج. لا يمكن علاج الكيان الفاسد إلا من خلال

الاندماج، ولكن نظرًا لأنه يمكن أن يلوّث الكيان المحفّز للاندماج؛ فغالبًا ما يُعزل أوَّلًا حتى تتحصَّن حالته إلى حدِّ مُعيَّن.

إقناع

الإقناع ضروريٌّ في الاندماج؛ لأنه بمجرد أن تبدأ الأجساد في التمازج، تتمازج الأفكار أيضًا.

إحجام الكيان الفاسد عن الاندماج يمكن أن يصيب الكيان الآخر، ويوقف عملية الاندماج كلها.

إن كان أحدهما يفوق الآخر حجمًا بهامش عريض، فإن الأضخم سوف يتغلَّب على أفكار الأصغر ويفرض حالة الاندماج فيما يشبه «الأكل» أو «الالتهام».

اندماج كيانين متشابهين في الحجم سيكون أكثر سلاسة إن رغب كل منهما بإرادته في الاندماج مع الآخر.

من الصعب اندماج كيان شديد الفساد، مهما كان حجمه صغيرًا؛ لأن لديه رغبة قوية في البقاء منقسمًا.

توشيتا

عندما وُلِد مفهوم "الفساد"، اندمج الأنبياء الثلاثة ماجو وبانغو وسولمونداي وشكّلوا كيانًا جديدًا اسمه "توشيتا" لحماية سلامة الكل من الفساد. في حيِّز ثلاثي الأبعاد، يبدو توشيتا أشبه بقمر صناعي أبيض يدور حول المملكة الدنيا السوداء. من حيث الحجم، توشيتا مقارنة بالمملكة الدنيا مثل القمر بالأرض. كيان بحجم توشيتا لديه مستوى فائق من الذكاء ولكنه يخلو من أي شخصية أو سلوك مُحدَّد. قبل خلق أمان، كان نابان يشبه توشيتا في الطبيعة.

يحتفظ نابان بذكريات من بداية الزمان، وكان في الأصل إيساتا، أكبر كيانات الجيل الثاني. إن حدث خطأ ما أثناء انقسام الجيل الثاني؛ فسيندمج كل كيان مرة أخرى مع إيساتا بوصفه جسمه المركزي.

أعاد إيساتا تسمية نفسه نابان بعد "ولادته" أمان. هذا السبب في أن البعض يعتبر كلاً من نابان وأمان من الجيل الثاني والبعض الآخر يعتبر كلاهما من الجيل الثالث. بالنسبة لزمان حكايتنا، وجهة النظر الأكثر شيوعاً هي أن نابان من الجيل الثاني بينما أمان من الجيل الثالث؛ لأن الأول فقط هو من يتذكّر بداية الزمان.

عن أصول الأسماء

إيساتا ونابان وأمان

في الميثولوجيا الكورية، نابان وأمان أول إنسانين، يُقال إنهما تزوّجا في مكان يُدعى إيساتا يقع بالقرب من بحيرة بايكال في جنوب سيبيريا. على عكس نظرائهما الأسطوريين، نابان وأمان في حكايتنا ليس لهما جنس مُحدّد، ويتناوبان بين الجنسين في المملكة الدنيا. لكن في قصة "تلك الحياة الواحدة: ن" يختار أمان أن يلعب دور المظلوم من نقطة مُعيّنة فصاعدًا، وغالبًا ما يختار أن يكون أنثى خلال القيام بذلك.

كلمة أمان 阿曼

في الكورية تتجانس لفظيًا مع مصطلح بوذي يعني الهوس بالذات
我慢.

مملكة الظلام (ميونج-جاي) 冥界

اسم شائع في ثقافات شرق آسيا يشير إلى عالم الموتى.

المملكة الدنيا (ها-جاي) 下界

تشير إلى عالم الأحياء كما يُرى من السَّموات العُلى.

فوكسي

مصطلح مذكور في أساطير عديدة، لكن الحقيقة الأكثر أهمية لقصة «نبي الفساد» أنه أحد الأسماء المرتبطة بالكيانات الأوائل؛ مثل نابان وأمان.

الربيع الأصفر (هوانجتشون) 黃泉

تشير إلى ربيع العالم السفلي. ومثل مملكة الظلام (ميونج-جاي) هو أحد أسماء عالم الموتى التي تُستخدم في الثقافات الشرق آسيوية.

ماغو وبانغو وسولمونداي

هذه الكيانات الثلاثة تشكّل توشيتا في هذا الكتاب. ماجو إلهة خالقة في الأساطير الكورية، وبانغو إله خالق في الأساطير الصينية، وسولمونداي إلهة خالقة في بانثيون (مجمع آلهة) جيجو، أكبر جزر كوريا الجنوبية.

ميونغياك وغوانهوا

ميونغياك (مُشرق مثل) وجوانغهوا (مَن يرى النار) أسماء مشتقة من المصطلح الصيني الكوري ميونغياك-غوانغهوا، والذي تعني «واضح مثل رؤية النار».

توشيتا

يُعدُّ توشيتا أحد العوالم السماوية العديدة في علم الكونيات
البوذي، وهو عالم مثالي حيث يقيم بوديساتفا مايتريا. يقال إن مايتريا
سيعيش هناك مدة 5.67 مليار سنة قبل الظهور على الأرض لتنوير
البشرية جمعاء.

مكتبة
t.me/soramnqraa

نبذة عن المؤلفة

كيم بو يونج

إحدى أكثر كُتَّاب الخيال العلمي نشاطاً وتأثيراً في كوريا الجنوبية. تلقت أولى أعمالها المنشورة "تجربة اللمس" جائزة أفضل عمل روائي قصير ضمن أول دورة لجوائز كتابة الخيال العلمي. ثم فازت مرتين بجائزة أفضل رواية خيال علمي كورية التي تُقدَّم سنوياً. كما اشتركت كيم مع المخرج الكوري الجنوبي بونج جون-هو الحائز على جائزة الأوسكار عن فيلمه "الطفيلي" - في كتابة سيناريو فيلم Snow-piercer، بالإضافة إلى كتابتها سيناريوهات أفلام أخرى. تعيش كيم بو يونج في مقاطعة جانجون بكوريا الجنوبية رفقة عائلتها.

نبذة عن المترجم

محمد نجيب

طبيب ومترجم مصري من مواليد المنصورة سنة 1992. له ترجماتٌ عديدة عن الكورية والإنجليزية، منها: الكتاب الأبيض وأفعال بشرية لهان كانج، وأرجوك اعتنِ بأمي وسأكون هناك لكيونج سوك شين. المتأملون الكتاب العاشر الذي يترجمه عن الكورية. ومن أعماله المترجمة عن الإنجليزية: دماغ مُشتعل لسوزانا كهالان، وحالة إرهاب لهيلاري كلينتون ولويس بيني.

الفهرس

9	أنا في انتظارك
11	استهلال
13	1. أنا في انتظارك
81	2. في طريقي إليك
157	3. ما وراء القصة
177	نبي هذا العالم
179	توطئة
183	1. نبيُّ الفساد
339	2. تلك الحياة الواحدة
363	3. ما وراء القصة
367	4. فهرس مصطلحات «نبي الفساد»
377	نبذة عن المؤلفة والمترجم

أنا في انتظارك

"كتابة كيم بو يونج أشبه بقطعة فنية سينمائية تخطف الأنفاس. تُدَّكِّرنا بالعالم الذي عشناه في أفلام على غرار ماتريكس، واستهلال Inception، ومدينة الظلام Dark City، لكنها لا تزال تقودنا إلى هذا البناء الأصيل تمامًا. كتابة بو يونج تجربة أدبية صوفية الأفكار، وسينمائية رائدة في ابتكار عوالمها. باختصار: قوية ورشيقة وباهرة".

بونج جون-هو

مخرج فيلم الطفيلي (Parasite) الحائز على جائزة الأوسكار

من خلال الموازنة بين الكآبة والأمل، بين البشاعة والجَمال، نجحت هذه القصص في أن تكون قويّة، وفي استكشافها المحفِّز للأفكار لمعاني مثل الحب والفقْد والتكْيُف، والطبيعة البشرية.

فأيري فالديس

(Chilling Effects)

استكشافٌ جميلٌ وصادقٌ للعقل والجسد والروح عبر الزمن والمكان. هذه القصص ستفطر قلبك، ثم سترتقه بحنان وتجمع أجزاءه المحطّمة مرة أخرى.

مارينا جيه لوستيتر

(ثلاثية نوميثون Noumenon)

telegram @soramnqraa

